٤

سلسلة المؤرخين

عبد الباسط الحنفي

مؤرخا

تأليف

د. محمد كمال الدين عز الدين

عالم الكتب

عبد الباسط الحنفي

مؤرخا

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الاهداء

إلى روحي والدي وابنتي ولاء « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً » .

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلن « الظاهر برقوق » نفسه سلطاناً [1] على مصر والشام وما والاهما ، يوم الأربعاء ، التاسع عشر من رمضان سنة (٧٨٤ هـ . / ١٣٨٢ م .) بعد خلعه « المنصور ، حاجي بن شعبان » [2] من السلطنة ، فكان بذلك أول

---

(١) راجع بشأن ذلك : ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦١ ، المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٢٤١ ، السلوك ج ٣ ص ٤٧٧ ، ابن خطيب الناصرية . الدر المنتخب ج ١ ق ١٩٩ أ ، ابن قاضي شهبة . التاريخ ج ١ ص ٨٦ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٦٦ ـ ٦٧ ، ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٨ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٧٨ ، مورد اللطافة ق ١٢٥ أ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٢١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ١١ ، عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦٨ أ ، د . حكيم أمين عبد السيد . قيام دولة المماليك الثانية . القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ .

(٢) ويُلحظ أنه أُعيد إلى السلطنة ثانياً يوم الثلاثاء ، سادس جمادي الآخرة سنة (٧٩١ هـ . / ١٣٨٩ م .) بعد ثورة « يلبغا الناصري » و « تمربغا الأفضلي منطاش » ، على « الظاهر برقوق » ، وإيداعه قلعة الكرك سجيناً ، بيد أنه لم يدم في السلطنة طويلاً ، إذ تمكن « الظاهر برقوق » من استيعاد ملكه ، بعد فكه من محبسه ، في التاسع من رمضان سنة (٨٩١ هـ . / ١٣٨٩ م) .

راجع : ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٣ ، ابن الفرات . التاريخ ، ج ٩ ، =

سلاطين الدولة المملوكية الثانية (١) (دولة المماليك الجراكسة (٢)) ، التي استمرت في حكم البلاد قرابة ثمانية وثلاثين ومائة سنة هجرية ، تولى فيها السلطنة أربعة وعشرون سلطاناً ، إلى أن سقطت (٣) على أيدي « الأتراك العثمانيين » سنة (٩٢٣ هـ . / ١٥١٧ م .) بعد هزيمة ومقتل « الأشرف قَانِصَوْه الغوري » (٤) في مرج دابق ـ شمالي حلب ـ في الخامس والعشرين من رجب سنة (٩٢٢ هـ . / ١٥١٦ م .) ، فهزيمة « العادل طومان باي الثاني » وشنقه على باب زويلة (٥) ـ أحد أبواب القاهرة ـ في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة (٩٢٣ هـ . / ١٥١٧ م .) ، وإعلان « سليم الأول » نفسه سلطاناً على البلاد .

وفي ظل هذه الدولة قامت في مصر حركة علمية زاهرة ، ارتقت فيها العلوم والفنون ، من خلال العديد من المراكز العملية التي وجدت فيها ـ آنذاك ـ

= حوادث سنتي ٧٩١ ، ٧٩٢ هـ . ، المقريزي . السلوك ج ٣ ص ٦٥٥ وما بعدها ، ابن قاضي شهبة . التاريخ ج ١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦ ، ٣٩١ ـ ٣٩٢ ، ابن تغري بردى . المنهل الصافي ج ٣ ص ٣١٥ ـ ٣١٩ ، عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦٧ .

(١) عن الدولة المملوكية الثانية يمكن مراجعة : د . محمد مصطفى زيادة . الدولة المملوكية الثانية (ضمن كتاب « تاريخ الحضارة المصرية » . القاهرة ، مكتبة مصر ، مج ٢ ، ص ٥٠٨ ـ ٥٢٨) ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور . العصر المماليكي في مصر والشام . القاهرة ، النهضة العربية ، ط ١ ، ١٩٦٥ .

(٢) ليست هذه تسمية مستحدثة لهذه الدولة ، وإنما هي تسمية ترددت في كتابات المؤرخين المعاصرين لها كالمقريزي (الخطط ج ٢ ص ٢٤١) ، وابن تغري بردى (مورد اللطافة ق ١٢٥ أ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٢١) ، وعبد الباسط الحنفي (نزهة الأساطين ق ٦٨ أ) ، وإن وُجِدَ بين سلاطينهم من هو من أصل رومي ، كالظاهر خشقدم ، والظاهر تمربغا .

(٣) عن سقوط هذه الدولة يمكن مراجعة : د . محمد مصطفى زيادة . نهاية السلاطين المماليك في مصر (ضمن أبحاث مجلة الجمعية التاريخية) . القاهرة ، مايو ـ ١٩٥١ ، مج ٤ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور . العصر المماليكي في مصر والشام ص ١٧٩ ـ ١٩١ ، د . عبد المنعم ماجد . طومان باي آخر سلاطين المماليك . القاهرة ، الأنجلو ، ١٩٧٨ .

(٤) راجع : ابن اياس بدائع الزهور ج ٥ ص ٦٩ ـ ٧١ ، ابن زنبل . آخرة المماليك ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٥) راجع : ابن اياس بدائع الزهور ج ٥ ص ١٧٤ ـ ١٧٧ ، ابن زنبل . آخرة المماليك ص ٤١ ـ ١٤٢ .

وبفضل عوامل متعددة ، وكان لهذه الحركة سماتها المميزة لها (١) .

لكن تأخرت طويلاً العناية بدراسة هذه الحركة على أسس منهجية قائمة على النظرة العلمية المتأنية ، المقتضية العمق والتقصي والنقد ، نتيجة لخطأ شائع ـ تردد في كتابات الباحثين المحدثين ، مستشرقين وعرب ـ مفاده أن نتاج هذه الحقبة ليس سوى كتابات تتمثل في الشروح والعديد من المختصرات ، أو الجمع التأليفي (الموسوعي) ، الخالي من الابتكار والجدة ، سواء في المادة أو في المنهج ، على النحو الوارد في قول « جاستون فييت » :

« . . . ولا ينبغي أن ننخدع بتكاثر المدارس الدينية والمساجد في ظل حكم سلاطين المماليك ، فليس لذلك علاقة بنبوغ المدرسين ، إذ لم يتخلف لنا عنها اسم واحد عظيم ، لم تخرج هذه المعاهد العلمية الكثيرة شخصية عظيمة أو كاتباً موهوباً ، فهي لم تزد على كونها مدارس لتدريب المدرسين . وباستثناء المقدمة لابن خلدون ـ ذلك العالم الفذ الذي تلقى تعليمه في المغرب ـ لم يظهر في القاهرة أي عمل أصيل . وقد تميز هذا القرن بكتاب الموسوعات والسير ، التي كثيراً ما كانت قليلة القيمة ، وواضعي المجاميع ؛ فلم تعرف فيه أعمال تتميز بالأصالة . كان هؤلاء الرجال يستحقون في حياتهم عبارات المديح ، وسيراً موجزة مليئة بالنعوت الرنانة ، ولكن أسماءهم تسقط سريعاً في طيات النسيان » (٢) .

وقول أحد الباحثين العراقيين :

« . . . كانت خسارة الحضارة العربية الإسلامية بسقوط بغداد لا تعوض ، فقد اعتبر السقوط نهاية لعصر ازدهار التراث الحضاري الإنساني الذي أنتجته عقول المفكرين المسلمين في مختلف نواحي الفكر ، والذي كانت بغداد مركزاً رئيساً له ، باعتبارها قاعدة الخلافة ، ومجمع العلماء ، ومقصد الطلاب .

---

(١) راجع مؤلفنا : الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة . بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٠ م .

(٢) جاستون فييت . القاهرة مدينة الفن والتجارة . تر . د . مصطفى العبادي . بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٦٨ ، ص ١٠٧ .

ولم يقتصر ضرر هذه الخسارة على المجتمع الإسلامي الذي نكب بالحكم الأجنبي ففقد حرية التفكير وقوة الإبداع ، وعجز عن الإتيان بالشيء الجديد ، فعاش في ظلام فكري طيلة القرون اللاحقة حتى مطلع القرن الحالي ، وإنما تحسس بهذه الخسارة علماء أوربا ومفكروها أيضاً » (١) .

وهذا وذاك قول توجهه العاطفة ، والعصبية ، مما يفقده الفهم العميق للتاريخ .

ولما لم يكن من سبيل إلى رد هذا الادعاء الخاطىء ، وإلى الإفصاح عن لأصالة والجدة في هذه الحركة العلمية ، وتقديم مادة تأريخية يعتمدها الباحثون في البناء التأريخي إلا بالدراسة المنهجية والمتأنية لمؤرخي هذه الدولة ، تفهماً لمناهجهم وأغراضهم ، فإنه قد اتجه الرأي لدي إلى اتخاذ « عبد الباسط ـ الحنفي » موضوعاً لهذا الكتاب ؛ مقسّماً إياه إلى بابين اثنين ، خُصَّ أولهما بالترجمة لمؤرخنا ، وثانيهما بالتعرف على منهجه في الكتابة التاريخية .

وبالله التوفيق والسداد ، ،

القاهرة ، في سبتمبر ١٩٨٩ م . **د. محمد كمال الدين عز الدين علي**

* * *

---

(١) د . محمد صالح داود القزاز . الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية . النجف ، ١٩٧٠ ، ص ١١١ .

الباب الأول

عبد الباسط ـ الحنفي

« دراسة حياة »

عبد الباسط الحنفي
[٨٤٤ ـ ٩٢٠ هـ . ١٤٤٠ ـ ١٥١٤ م]
دراسة حياة

ولد « زين الدين ، أبو المكارم ، عبد الباسط بن خليل بن شاهين ، الشيخي ، الحنفي » في مدينة ملطية ـ في أطراف آسيا الصغرى ـ ليلة الأحد ، الحادي عشر من رجب سنة (٨٤٤ هـ . / ١٤٤٠م.) لأم ولد سرية، اسمها: «شكرباي»(١)، تزوج بها والده «خليل بن شاهين» بعد عتقها؛ متنقلاً في صباه مع أبيه بين طرابلس ودمشق والقدس والحجاز والقاهرة. ، حافظاً القرآن ـ الكريم ـ ببعض القراءات، وبعض مختصرات علوم عصره، كمنظومة النسفي، والكنز، والمجمع، عارضاً لها ولغيرها من المؤلفات في الفقه الحنفي، والعربية، والمعاني ، والبيان ، والمنطق ،والحكمة ، وعلم الكلام على مشهوري علماء عصره فيها (٣) ، « كحميد الدين النعماني » (٤) (ت ٨٦٧ هـ . / ١٤٦٢ م .) و« شهاب الدين ابن زيد » (٥) (ت ٨٧٠ هـ . / ١٤٦٥ م ..)

---

(١) أشار مؤرخنا (الروض الباسم ج ١ ق ١٣ ب) إلى أنها من خيار نساء عصرها ديناً وخيراً ، وإلى أنها ماتت نفساء سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة للهجرة ، وهو في نحو الثامنة من عمره .

(٢) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ١٣ ب .

(٣) السخاوي . الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٧ .

(٤) هو « محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن ثابت بن عثمان بن محمد بن عبد الرحمن بن ميمون ، النعماني ، البغدادي ، الحنفي » .
له ترجمة في : السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٤٦ ـ ٤٧ تر ٩٨ .

(٥) هو « أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الحنبلي » . له ترجمة في : عبد الباسط الحنفي . المجمع المفنن ق ١١٢ ب ـ ١١٣ أ .

و « شهاب الدين المصباتي » [1] (ت ٨٧٤ هـ . / ١٤٦٩ م .) .

وما أن بلغ الثانية والعشرين من عمره - تقريباً - حتى شرع في رحلة (علمية تجارية) إلى بلاد المغرب العربي والأندلس ، دامت نحو الخمس سنوات ، فيما بين سنتي ست وستين وإحدى وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٦١ - ١٤٦٧ م .) ، استفاد فيها الكثير من العلوم والمعارف ، والتجارب الذاتية ، وجرت له فيها بعض الخطوب والمحن التي تنبىء عن كونه كان سريع الدهشة ، سريع التصديق ، خالي البال مما يدور حوله أو يحاك به ، إذ كان على قدر كبير من الفطرة وسلامة الباطن .

بدأت هذه الرحلة بتوجهه من القاهرة إلى بلاد الصعيد يوم الخميس ، الرابع عشر من ربيع الأول سنة ست وستين وثمانمائة للهجرة ، ليمكث فيها نحو الثلاثة أشهر ، محصلاً أثواباً من الكتاب ، قيمتها نحو الستمائة دينار - للإتجار فيها ببلاد المغرب العربي - عاد بعدها إلى القاهرة ، التي ارتحل منها إلى الإسكندرية [2] . ومن مينائها أبحرت به إحدى سفن البنادقة - صحبة جمع من التجار المسلمين ، الحاملين للكتان ولغيره من أصناف البضائع - يوم الجمعة ، الحادي عشر من شوال ، متوجهين نحو « تونس » ، وبعد انقضاء يوم من إبحارها ، خالفت الريح في هبوبها مقصدهم ، فاستقرت بهم السفينة في البحر المتوسط عدة أيام ، انتظاراً لهبوب ريح مواتية لغرضهم [3] . وفي تلك المدة التي كان فيها مكثهم في البحر دارت معركة في السفينة بين أحد المسافرين - وقد سرق دجاجة بعضهم - وبين أرباب السفينة ، فقد فيها السارق وأحد البحارة ، حيث قتل الأول قصاصاً لقتله الثاني بسكين كان يخفيها .

ومن الطريف أن يذكر أن ما حدث من هياج في السفينة ، نتيجة لمطاردة أربابها للسارق - القاتل ، لم يكن مؤرخنا على علم به ، إذ لم يعرف بذلك إلا

---

(١) هو « أحمد بن العطار » .
له ترجمة في : عبد الباسط الحنفي . المجمع المفنن ق ١٤٣ أ - ١٤٤ ب .
(٢) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ٢ ق ٣٦ أ .
(٣) نفسه ج ٢ ق ٣٩ ب .

عندما أمسك بالسارق وأوثق ، ومن الطريف ـ كذلك ـ أن يذكر أنه رأى في قتلهم للسارق ـ وقد فصلوا رأسه عن سائر جسده ـ قصاصاً عادلاً لقتله الدجاجة المسروقة ، بفصل رأسها عن جسدها ليا بيده (١) .

وبعد ثلاثة وثلاثين يوماً قضيت في البحر ، دخل مؤرخنا مدينة « تونس » يوم الأربعاء ، الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة (٨٦٦ هـ . / ١٤٦٢ م .) متنزلاً في أحد فنادقها ـ « فندق الرماد » ـ متجولاً فيها للإتجار والسياحة وتحصيل العلم (٢) .

وفي أثناء ذلك نمى إلى علم ولي عهد « تونس » أن مؤرخنا ممن ينظمون الشعر ، فبعث إليه يوم السبت ، التاسع والعشرين من جمادي الأولى سنة (٨٦٧ هـ . / ١٤٦٣ م .) يستقدمه إلى مجلسه ، ووفد مؤرخنا عليه ، فأنس ولي العد به ، ورفع من شأنه ، وأنشده مؤرخنا بيتين من الشعر ، هما :

ألا يا آل حفص يا ملوكاً ويا درراً بهم نظمت ملوك
ألا فقتم ملوك الأرض طراً فما من بعدكم أحد مليك

(الوافر)

فأعجباه إلى الغاية ، وأجاز مؤرخنا عليهما ، شافعاً هذه الجائزة بظهير (مرسوم) أعفى « عبد الباسط » بمقتضاه من كافة الرسوم التي تؤخذ ـ عادة ـ من التجار عما يتجرون فيه ، وكان هذا اللقاء سبباً في تردده عليه واجتماعه به فيما بعد (٣) .

وفي يوم الخميس ، الثاني من رمضان سنة (٨٦٧ هـ . / ١٤٦٣ م .) غادر مؤرخنا « تونس » عائداً إلى بلاده ؛ وما أن وصل إلى « طرابلس ـ المغرب » ـ بكرة نهار السبت ، الخامس عشر من رمضان ـ حتى فتر عزمه عن مواصلة السفر إلى الإسكندرية ، وانتوى الإقامة في طرابلس ، آخذاً في تهيئة أسباب الإقامة فيها ، بمساعدة ناظرها وكبير تجارها ـ آنذاك ـ « عبد الحميد

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ق ٤١ ب ـ ٤٢ أ .
(٢) نفسه ق ٤٢ ب .
(٣) نفسه ج ١ ق ٤ أ . ج ٢ ق ٥٢ ب .

العواد » ؛ وهناك تعرف على قاضيها ومفتيها وخطيب جامعها الأكبر ، وإن لم ير فيها من هو أهل لبث العلم ، فضلاً عن تحصيله (١) .

وفي السابع من ذي القعدة ، راسله قائد طرابلس ، طالباً منه ثوباً من الصوف الأرجوان السميك ـ الذي قدم به من تونس للإتجار فيه كذلك ـ فبعث « عبد الباسط » إليه بثوب قيمته ثمانية وعشرين ديناراً ، بيد أن القائد أخذ الثوب ومطله ثمنه ، فنم مؤرخنا عنه إلى القاضي ، وأغلظ القاضي على القائد في رده ، فرده إليه ، وأخذه مؤرخنا دون التفات منه إلى القائد ، فحملها له (٢) .

وكان « عبد الباسط » قد اشترى عشراً من الجواري الزنجيات للإتجار بهن في ساحل « بيروت » ـ بإغراء من أحد مماليكه ـ لكن خدع في الصفقة وفي المملوك ، الذي ارتد عن موالاته له ، ونزل بالجواري « جزيرة رودس » ـ وليس ساحل « بيروت » كما أوهمه ـ فباعهن هناك بأكثر من خمسمائة دينار ، قبضها عائداً إلى موطنه « سردينية » ، مسبباً بذلك لمؤرخنا محنة أودت به إلى السجن .

ويجمل « عبد الباسط » ذلك قائلاً :

« . . . وفيه (ذي القعدة) شريت عشرة من الجواري الزنوج ، وأسلمتهم لمملوك لي كنت شريته بتونس ، وأصله من علوج سردينية ، أسر وأسلم ، وصار مملوكاً ، وتنقلت به الأحوال بعدة بلاد إلى أن شريته ، وأحسنت إليه ، وأنست به ، وأعتقته ، وصرت أركن إليه في كثير من أموري وتعلقاتها ، وهو يظهر المودة الزائدة والمحبة لي ، والخدمة ـ خداعاً ومكراً ـ وأنا لا شعور لي بغرضه ، ثم احتال عليّ بأن قال لي : إن الرقيق في غاية الرخص بهذه البلاد ، وفي غاية ارتفاع السعر بساحل بيروت ، فاشتري لي عدة من ذلك أتوجه به إلى بيروت صحبة الشواني للبنادقة مع التجار فأبيع ذلك ببيروت ثم أحضر مع الشواني ـ أيضاً ـ بمال طائل ، فأعجبتني إشارته عليّ بذلك ، مع ركوني إليه وعدم شعوري بشيء من حيلته ، بل ولا توهمت منه شيئاً من ذلك ، فضلاً عن أن أتحققه ، وهيأت له ذلك ، وصرفت مبلغاً جيداً في ثمن الجواري وفي زادهن

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ق ٥٤ ب .

(٢) نفسه ج ٢ ق ٥٦ ب .

وعمل برد ، وأنزلته صحبة التجار ؛ ثم ورد الخبر بعد مدة لطرابلس بأن الذي توجه بالرقيق نزل بهن في جزيرة رودس وباعهن بها ، وورد هذا الخبر على قائد طرابلس ، وأن الذي أنزلهن قبض أثمانهن من فرنج رودس وارتد عن الإسلام ، وخرج إلى سردينية ؛ ولما تحقق قائد طرابلس هذا الخبر من بيع الجواري برودس وأنا لا علم عندي بشيء من ذلك بعث إليّ من أحضرني إليه ، وسألني عن الجواري ، وقال لي : بعثت بهن إلى أي مكان ؟ فقلت : إلى بيروت . فقال : إنك بعثت بهن لرودس ، وأمرت بأن يبعن بها . فقلت : إن فعلت ذلك فعلي ألف دينار لبيت مال المسلمين . فسكت عني حتى قمت من عنده ، ثم لم يلبث إلا وقد بعث إليّ ثانياً ، وأحضر اثنان من الأساري كانا هربا من رودس ، فأخبراه ـ بحضوري ـ بما ذكرناه . فقلت : أبعن في رودس للفرنج ؟! فقالا : نعم ، وذكرا البائع ووصفاه ؛ فأخذت أتعجب من ذلك وظننت أن هذا من وضع هذين الأسيرين بتعليم هذا الظالم واتفاقه معهما ، لانتقام مني ، لكونه يغض مني . فقلت : أنا ألتزم لبيت مال المسلمين بالعدول بألف دينار إن صح أنني بعثت بهن إلى رودس للبيع بها ، فأحضر اثنين من شهود ديوانه ، شهدا علي النوايا بذلك ، وأنا غافل عما هم فيه.؛ ثم قال لي : إن أتانا آت فأخبر ـ غير هذين الأسيرين ـ بما أخبرا وجبت عليك ما قد التزمت به ؛ ثم انفض الأمر » (١) .

« . . . وفيه (المحرم سنة ٨٦٨ هـ .) في يوم الخميس نصفه ، وصل إلى طرابلس ـ المغرب قارب فيه اثنان من الأسرى المسلمين فروا هرباً من رودس بهذا القارب ، فوصلوا إلى طرابلس في هذا اليوم ، وأخبرا بأن شخصاً نزل من شواني البنادقة بعدة جواري من طرابلس ، وباعهن برودس ، وارتد عن الإسلام ، وهو مقيم برودس يطلب السفر إلى سردينية . ولما بلغ هذا قائد طرابلس ـ الماضي ذكره ـ بعث بطلبي لأجل الألف دينار التي كنت التزمتها ـ على ما تقدم ذكر ذلك على ذلك الوجه الماضي ـ بعد أن رتب أن يذكر المخبر بيع الجواري برودس ـ فقط ـ ولا يذكر ارتداد البائع ولا غير ذلك .

فلما حضر أحضر إليّ الشخصان ، فأخبرا بأنهما رأيا شخصاً ووصفاه بأنه

(١) المصدر السابق ج ٢ ق ٥٧ أ .

باع عدة جواري مسلمات للكفار برودس ، فعرفت أن هذه الصفات صفات ذلك المملوك الذي جهزت معه الجواري ، فأخذت في المدافعة في ذلك ، فما أفادني ولا سمع هذا الظالم شيئاً مما أقوله ، وأمر فيّ أن أسجن بقصبة طرابلس بسجنها ، فحملت إلى سجنها ، ثم بعث إلى داري بجماعة، فأخذ جميع ما وجده بها من المتاع ، وحملت أم ولدي إليه ، وبت في السجن ليلة ، ثم قام جماعة من أعيانها ـ من غير أن أسألهم في شيء من ذلك ـ فكلموا القائد ـ المذكور ـ في أن هذا ليس بمصلحة ، وقام القاضي في ذلك قومة ، وكان بلغه أن الذي باع الجواري ارتد عن الإسلام ، فبعث يقول للقائد : إن هذا أمر لا يلزم به شيء لهذا الإنسان شرعاً ، كيف وقد ذهب ماله على يد إنسان كان يأتمنه فارتد عن الإسلام ! ، ولما علم القائد أن الأمر على خلاف مقصده وعدهم بأنه في الغد من هذا النهار يفرج عني .

فلما كان الليل أحضرني إليه ، وتوعدني وأخافني ، وحلف أن الجواري قد أبعن برودس ـ ولا علم عندي أنا بارتداد ذلك المملوك إلا بعد ذلك ـ وكان على وسطي نحو الثلاثمائة دينار ، فأخذها مني بمكر وخديعة ، وحلفني يميناً على عدم إبداء شيء من ذلك لأحد من أهل طرابلس ؛ وأنا لا علم عندي بما فعله الناس والقاضي في غيبتي ؛ ثم أطلقني » (١) .

ولما أطلق مؤرخنا من السجن ، واطلع على جلية الأمر ـ بعد ذلك ـ ندم على إعطائه المال ، وصمت على مضض كبير . . . بيد أن هذا الصمت لم يدم طويلاً ، إذ ذهب ـ بعد تحققه جلية الأمر من الأساري الوافدين عليه من رودس ـ إلى القائد متوعداً له بعوده إلى « تونس » وشكوه إلى صاحبها وولي عهدها ، وما زال به حتى أعاد إليه المال الذي أخذه منه (٢) ، بل ومهاداته بهدية قبلها مؤرخنا منه بعد إلحاح من القائد في قبولها (٣) .

ويعلق مؤرخنا على ذلك قائلاً :

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ق ٧٣ .
(٢) نفسه ج ٢ ق ٧٤ أ .
(٣) نفسه ج ٢ ق ٧٦ أ .

« . . . وذهبت الجواري والمحنة بالسجن ، ونجانا الله ـ تعالى ـ من هذه » (1) .

وبعدها غادر « عبد الباسط » طرابلس في طريقه إلى تونس ، حيث دخل مدينة « القيروان » في الخامس عشر من رجب سنة (٨٦٨ هـ . / ١٤٦٤ م .) ، فأقام بها مدة ، متردداً على « ابن البكوش » ـ أشهر أعلامها في الطب ـ آخذاً عنه « نبذاً جيدة » من هذه الصناعة (2) ، كما زار جبانتها ، محرراً ثبتاً بأسماء أكثر المدفونين فيها (3) .

ثم غادر « القيروان » في طريقه إلى « تونس » ، التي دخلها آخر نهار الثالث والعشرين من شوال ، ليقيم فيها إلى أواخر الشهر ؛ ومنها توجه إلى « الجزائر » ، متنقلاً بين باجة ، وبلد العناب ، وتلمسان ، التي قضى فيها أيام عيد النحر ، متعرفاً على الكثيرين من أعيان علمائها (4) .

وفي فجر يوم الأربعاء ، الثامن عشر من ذي الحجة ، رزق مؤرخنا في تلمسان بنت أسماها : « عائشة » (5) ، احتفى بها كثيراً ، وقام على تربيتها قياماً كبيراً .

وهناك جرت له محنة أخرى لطيفة ، أشار إليها بقوله :

---

(1) المصدر السابق ج ٢ ق ٧٥ أ .
(2) نفسه ج ٢ ق ٧٧ أ .
(3) نفسه ج ٢ ق ٧٧ أ ـ ٧٨ أ .
(4) نفسه ج ٢ ق ٧٩ ب ـ ٨٠ ب .
(5) نفسه ج ٢ ق ٨٠ ب ؛ حيث ترجمها في الحوادث قائلاً :
« . . . وفيه (ذي الحجة) في طلوع فجر يوم الأربعاء، ثامن عشره ولدت لي ابنة بتلمسان من أم ولدي شكر باي ، أم الفتح ، وسميتها عائشة ـ أيضاً ـ واغتبطت بها ، بحيث كنت أتولى أكثر أمورها في التربية بيدي ، ودامت معي إلى أن دخلت بها للقاهرة في عودي من بلاد المغرب ، ونشأت كيسة فطنة على صغر سنها ، وأقرأتها شيئاً من القرآن ، وتعلمت الكتابة ، فلما دخل طاعون سنة ثلاث وسبعين الآتي ماتت مطعونة في ليلة نصف شهر رمضان ، ولم تكمل الخمس سنين ، وكثر أسفي عليها ، عوضني الله من أمرها » .
ويلحظ أنه فقد ابنة أخرى اسمها « عائشة » ، ماتت يوم مولدها (في جمادي الأولى سنة ٨٦٧ هـ .) ، كما افتقد في الطاعون ابنة غيرهما اسمها « زينب » .
راجع : عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ٤ ق ٢١٨ ب .

« . . . وفيـه (ذي الحجة) في أواخـره ، دخل لمكـان سكني بتلمسان اثنان من السراق ، واختفيا بالمنزل من غير أن أشعر بهما ، ثم ثاراعلينا ليلاً ، وجرى لي معهما أنا ومملوك لي خطب كبير ، بعد أن أحسسنا بهما ، قبـل أن يأخذنا النوم ، وسلم الله ـ تعالى ـ من شرهما ، وخلصا من أيـدينا هـرباً بحيلة منهما ، ولو ثارا بنا ونحن رقود لحصل ما لا خير فيه ، لعل على النفس ، لكن سلم الله ـ تعالى ـ وله الحمد على المهلة » (١) .

وفي ربض تلمسـان (القباد) تـردد على دروس أبي عبـد الله محمـد بن العباس شيخ تلمسان وعالمها وخطيب جامع القباد في كثير من الفوائد العلمية ، كما تتلمذ على قاضيها أبي عبد الله محمد العقباني ، وعلى أخيه إبراهيم خطيب جامع تلمسان الأعظم وإمامه ، ومفتيها محمد بن زكريا ، كما التقى بجماعة من الأطباء ، آخذاً عنهم بعض معارفه الطبية ، لعل من أبرزهم « محمد بن علي بن فوش » و « موسى بن شمويل الإسرائيلي » (٢) .

ثم خرج من « تلمسان » متـوجهاً إلى « وهـران » التي دخلها في السـابع والعشرين من رمضان ، متنزلاً على « عبد الرحمن بن النجار » ـ أحـد مدبـري مملكة تلمسان ـ فأنس به وبولديه « عبد الله » و « عبد الواحد » ، وكان ثـانيهما في هيئة الجند المقـربين إلى السلطان ، فنظم مؤرخنـا قصيدة من أربعين بيتـاً أوصلها « عبد الواحد » إلى السلطان ، فلما وقف عليها دعا مؤرخنا إليه ، ورفع من محله لديه ، وشكره عليها ، وكتب له ظهيراً بمسامحته في كل ما يتصرف فيه من نوع المتجر ، واستضافه إلى حين سفره ، مرتباً له راتبـاً من اللحم والدقيق والعليق (٣) .

وفـي منـتصـف ربيـع الأول سـنــة (٨٧٠ هـ . / ١٤٦٥ م .) غـادر « عبد الباسط » وهران صحبة جماعة من التجار إلى بلاد الأندلس (أسبانيا) عن طريق البحر ، تاركاً أهله في منزل « ابن القصار » ـ خطيب جامع البيطار ـ وفي يوم الجمعة ، الثالث والعشرين منه دخل مدينة « مالقة » ، واجتمع فيها بقاضي

---

(١) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ٢ ق ٨٠ ب ـ ٨١ أ .

(٢) نفسه ج ٢ ق ٩٢ .

(٣) نفسه ج ٣ ق ٩٨ .

غرناطة ومالقة ، حيت تتلمذ على أولهما ، وأفاد ثانيهما ترجمة « الشيخ خليل المالكي » عن « الدرر الكامنة » لابن حجر [1] .

ثم خرج من « مالقة » صحبة بعض التجار ـ على البغال ـ متوجهاً إلى « غرناطة » ، التي دخلها صبيحة اليوم التالي ، ملتقياً فيها بجماعة من العلماء ، كأبي عبد الله ، محمد بن منظور ، فحضر دروسهم وسمع عليهم الكثير من الفوائد العلمية [2] .

وفي يوم الجمعة ، التاسع والعشرين من جمادى الأولى اتصل بصاحب غرناطة ، الذي بعث إليه مستقدماً للاستفسار عن أخبار « صاحب تلمسان » مع « صاحب تونس » ، وكذا أحوال الشام ومصر ؛ وأسفر هذا اللقاء ـ كذلك ـ عن كتابة ظهير لمؤرخنا بالإعفاء من الرسوم المتحصلة من التجار [3] .

وفي العاشر من جمادى الآخرة خرج « عبد الباسط » للتنزه في « ربض البيارين » ، حيث الجامع الأعظم ، ومسجد فروج الرياح ، ثم عاد إلى « الحمراء » ، دار الإمارة وقلعة السلطنة [4] .

وكان قد انتوى زيارة « قرطبة » لكن حدثت له ـ آنذاك ـ محنة أعاقته عن تحقيق أمنيته ، وكادت تودي بحياته ، أوجز الحديث عنها ، قائلاً :

« . . . وكنت قد عزمت على التوجه لرؤية قرطبة ، لقربها من غرناطة لا سيما والصلح بين المسلمين والكفار من أهل تلك الديار باق ، وكانت تجار طائفتي الإسلام والكفر كل يتردد إلى بلاد الآخرين ، فحصلت لي الكائنة التي أعاقتني عن ذلك ؛ وهي ضربة السيف التي جاءت بوجهي من ذلك الإنسان العدو لله ـ الماضي خبره ـ الذي أسلم عن اليهودية ، وسمي بعبد الرحمن ، وحضر من القاهرة إلى طرابلس الغرب ، وتوجه فدخل إلى غرناطة وقطنها ؛ ولا عن ذهني شيء من خبره ، ولا علم عندي به من يوم خروجه من طرابلس ، وكان لما توجه من طرابلس جال بعض البلاد حتى قدم غرناطة ، وادعى بها أنه

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١١٢ أ .
(٢) نفسه ج ٣ ق ١١٣ .
(٣) نفسه ج ٣ ق ١١٣ ب .
(٤) نفسه ج ٣ ق ١١٤ أ .

من الأشراف ، وأنه من القاهرة ، وأنـه عارف بـالطب ، رأس فيـه ، وأخذ في معاداة الناس من أعيان أهل غـرناطـة ، وأطبائهـا ، مع جهله وقصـوره في كل ذلك ، وصار يضيق عليهم في كثير من الأشياء ، والعادة جرت بتلك البلاد ، بل بغالب بلاد المغرب أن الشرفاء بها عدل . ومهما فعلوا جاز ، وأنا لا علم عندي بشيء من خبره ولا بدعواه ما ادعى ، وهـو ـ أيضاً ـ لا شعـور له بقـدومي إلى غرناطة ، فاتفق لما أن قدمت إليهـا بعد أيـام بأن سئلت عن إنسـان وصف لي خاصة من غير أن يذكر لي واصفه السائل عنه شيئاً من أحواله ، لأنني لـو كنت عرفت أو اطلعت على صفة دعواه وحاله لربما سترت عليـه بما لا يضـرني في ديني ؛ فلمـا وصف لي السائـل صفات إنسـان سألني عنـه تأملت ، فـإذا هي صفات عبد الرحمن الذي ذكرته فيما تقدم ، فعرفته بصفاته ، وأظهرت له ما كان عليه ، وما جرى له في إسلامه ، وكيف ورد إلى طرابلس ، وأخلصت له وليـاً ، وقمت معه ظناً مني بأنه لا تخفى حاله ، وبلغه ذلك ، ورأى أنـه فسدت حـاله وصورته ، فأخذ يترقبني ، واتفق أن اجتزت بمكان من أزقة غرناطة يقال له زنقة الكحل ، فسعى وانفرد لي من ورائي ، ولا شعـور لي به لآخـذ حذري منـه ، وبيده سيف ، فالتفت وإذا به معي وضربني بمـا في يده من السيف في الغفلة قاصداً بها عنقي ، فأخطأت الضربة لتلك ، ذلك كونه يهودياً في الأصـل ، لا خبرة له بضرب السيف ، فجاءت بوجهي ، فسقطت من قوتها إلى الأرض ، وفر هو هارباً مختفياً، ظناً منه أنـه قتلني ، إذ لو تحقق حيـاتي عقيب تلك الضربـة لثنى ، ولكن سلم الله من الموت ، وأطاحت هذه الضربة طرف أنفي مع الشفة العليا والخد الأيسر وثمانية من الأسنان ، وفصلت الشفة ؛ ثم أعان الله ـ تعالى ـ بأن أخيطت الجراحة ، وتمرضت بغرنـاطة نحـو الشهر ، وبلغت المـوت ، ثم عافاني الله وله الحمد على المهلة .

ولما بلغه أنني في قيد الحياة ، وأخبرت به أنه هو الفاعل بي ذلك ، هرب فاراً لئلا يؤخذ ، ودخل إلى بلاد الكفر مرتداً عن الإسـلام ، ثم بلغني عنه أنـه اغتـاله إنسـان من أسرى المسلمين ، ضـربه بخنجـر معـه قتله لكـائنـة اتفقت معه » [1] .

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١١٤ .

ويبدو أن هذه الحادثة كانت السبب الرئيس في اتجاه مؤرخنا إلى التصوف وانخراطه فيه (١) .

وفي مستهل رجب ، ركب مؤرخنا البحر عائداً إلى « وهران » ـ وقد تماثل للشفاء ـ فدخلها في رابعه ، عازماً على السفر بحراً إلى تونس ، وفي ذات السفينة التي أقلته إليها ؛ لكن حال بينه وبين ذلك ما بقي به من آثار الضعف ، وهناك زاره « عبد الله » ولد مدبر تلمسان ، وأبلغه أسف والده وأسف صاحب تلمسان لما أصابه من جراحات (٢) .

وما أن حل الحادي عشر من ربيع الأول سنة (٨٧١ هـ . / ١٤٦٦ م .) حتى أقلع مؤرخنا من تلمسان متوجهاً إلى تونس ، لكن نتيجة لسكن الريح وثقل السفينة بحمولتها قل سيرها ، مما كان سبباً في نزول ركابها ـ عصر ذلك اليوم ـ إلى الساحل ، قريباً من « بجاية » ، التي دخلها « عبد الباسط » في اليوم التالي (٣) .

وفي التاسع والعشرين من ربيع الأول دخلت السفينة ساحل مرسى تونس ، فمكث مؤرخنا في السفينة ـ بأهله وأثقاله ـ أربعة أيام (٤) ، أبحرت بعدها إلى طرابلس التي وصلتها في أواخر جمادى الأولى (٥) ، ليقيم فيها عدة شهور ، رحل بعدها في شعبان صحبة الحاج ـ بالجمال والبعير ـ إلى الإسكندرية ، مجتازين « مراقية » إلى « برقة » ، وقد قاسوا الكثير في مشوارهم هذا ـ سواء بنفاد أكثر ما معهم من الماء والزاد ، أو بإخافة العربان لهم وقصدهم نهبهم ، وقد سلموا منهم بجهد جهيد وخوف شديد ، ولم يهدأ لهم

---

(١) يؤيد ذلك قوله (المصدر السابق ج ٦٢ ب ، المجمع المفنن ق ٣٤ ب) مترجما إبراهيم بن محمد التازي :

« . . . وكنت أنا رجعت من الأندلس إلى وهران مع جملة من الكتب ، حصلتها بتلك البلاد ، وغيرها مما كان معي من كتبي ، نحو الأربعين مجلدة ، وقفتها بزاويته ، لما كنت تركت التعلقات الدنيوية ، وحصل لي بعض توجه إلى ذلك الجناب ، فياليت ذلك لو دام ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

(٢) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ٣ ق ١١٥ ب .

(٣) نفسه ج ٣ ق ١٢٩ ب .

(٤) نفسه ج ٣ ق ١٣٠ .

(٥) نفسه ج ٣ ق ١٣٢ ب .

بال إلا بوصلهم إلى « عرب لبيد » ـ وكانت بلادهم محصية ـ فأقاموا لهم الأسواق ، وواصل الركب سيره متجهاً إلى الإسكندرية [١] .

ويصف لنا « عبد الباسط ـ الحنفي » بعض ذلك ، قائلاً :

« . . . رأينا هلال شهر رمضان ليلة الأحد ، فأصبحنا صياماً بالطريق ، وحصل لنا في أوائل هذا الشهر عطشة بالطريق لقلة المياه ، وكاد أن يهلك الكثير من الناس ، وخلص الله ـ تعالى ـ بالوصول إلى الماء ، وكان من معه الماء من الناس خافوا واختشوا من هجوم من لا ماء معه عليهم لأخذ الماء منهم ، فألهمني الله ـ تعالى ـ أن جعلت قربة معي فيها الماء في غرارة ، وأظهرنا أنه لا ماء معنا ، إذ ما معنا لا يكفينا إلا بجهد ، ولو غفلنا عن إخفائه لهلكنا عطشاً ، مما كان من قلة الماء ، وكان معنا ابنة صغيرة لي ، لا صبر لها عن الماء ، وأنا خائف عليها » [٢] .

« . . . وفيه (رمضان) في سادس عشره ، قلت الأزواد معنا ونحن بالطريق ، وكادت أن تفرغ ، بل فرغ الكثير من أزواد بعض الركب ، وبقوا يأكلون الحلزون ، وعمد من معه الزاد ـ أيضاً ـ إلى أكل الحلزون ـ أيضاً ـ خوفاً من انتهاء ما معه » [٣] .

وعيد الركب في بلاد لبيد ـ بالقرب من الإسكندرية ـ وقد أعاق أكثرهم عن الجد في السير قلة الظهر لموت الكثير من الجمال أو وقوفها ، ووقف لمؤرخنا بالطريق بعض الجمال فتضرر بوقوفها حتى تسير ، فكان يسير على قدميه حيناً وراكباً أحياناً أخرى ، خوفاً من تعطل بعيره أو موته ، خاصة وقد مرض مملوكه في الطريق . . وبعد خمسة أيام قاسية دخل مؤرخنا مع الركب الإسكندرية ـ موعوكاً ـ في الخامس من شوال ، وانفصل عن الركب [٤] ، ليدخل القاهرة بعده في السابع من ذي القعدة ، وقد انثنى عزمه عن الحج [٥] ،

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٣٣ ب ـ ١٣٤ أ .
(٢) نفسه ج ٣ ق ١٢٤ أ .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه ج ٣ ق ١٣٦ أ .

مستوطناً لها ، وقد تنزل في الخانقاه الشيخونية - التي نسب إليها - متردداً على مشهوري علماء عصره ، « كالمحيي الكافيجي » (ت ٨٧٩ هـ . / ١٤٧٤ م .) - وقد اختص به - و « النجم القرمي »[١] (ت ٨٨٠ هـ . / ١٤٧٥ م .) ، و « الشمس السخاوي » (ت ٩٠٢ هـ . / ١٤٩٧ م .) ، و « الجلال السيوطي » (ت ٩١١ هـ . / ١٥٠٥ م .) ، مشتغلاً بالتأليف في الفقه الحنفي ، والطب ، والتاريخ ؛ والتدريس[٢] ، شاغلاً بذلك قدراً من حياته الممتدة نحواً من ست وسبعين عاماً ، قدرت نهايتها بيوم الثلاثاء ، الخامس من ربيع الآخر سنة (٩٢٠ هـ . / ١٥١٤ م .) بعد تعلل بالسل دام نحو ثمانية عشر شهراً .

وكان مؤرخنا - رحمه الله - فيما أشار إليه « ابن إياس » - وقد تتلمذ عليه - طويل القامة ، نحيف الجسم ، له ذؤابة شعر - على طريقة الصوفية - وأنف وافر جداً ، دوعب فيه بقول بعضهم :

أدخلت في منخره إصبعي وقلت : ماذا العضو سميته ؟
فقال لي مستعجلاً : منخري قلت : أنا يا سيدي فيه
(السريع)

كما كان ضنيناً بنفسه ، ذا شمم زائد[٣] ، وسكون ، وانجماع عن الناس[٤] .

* * *

---

(١) هو « إسحاق بن إسماعيل بن إبراهيم بن شعيب بن محمد بن إدريس ، الحنفي » .
له ترجمة في : عبد الباسط الحنفي . المجمع المفنن ق ١٦٣ .
(٢) نفسه ق ٦٥ أ ، ١٠٨ أ ، ٢٠١ ب .
(٣) نفسه ق ١٩٨ ، ٢٣٣ أ ، ٢٤٢ أ .
(٤) ابن إياس . بدائع الزهور ج ٤ ص ٧٣ - ٧٤ .

الباب الثاني

مجهوداته في الكتابة التأريخية

ـ الفصل الأول :

مؤلفاته

ـ الفصل الثاني :

الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم

ـ الفصل الثالث :

غاية السؤل في سيرة الرسول

ـ الفصل الرابع :

المجمع المفنن بالمعجم المعنون

ـ الفصل الخامس :

نزهة الأساطين في من وَلِيَ مصر من السلاطين

الفصل الأول

مؤلفاته

« عبد الباسط - الحنفي » من المؤرخين الموسوعيين ، أصحاب الجمع التأليفي ، فقد كانت له مقطوعات شعرية ، انتشر بعضها في كتاباته وفي كتابات تلميذه « ابن إياس » ، كما كانت له شروح أو مؤلفات مستقلة في الفقه الحنفي [١] والطب [٢] . أما مؤلفاته التاريخية ، فيمكن إجمال المعروف منها حتى الآن على النحو التالي :

(١) تاريخ الأنبياء الأكابر وبيان أولى العزم منهم [٣] .

(٢) الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم [٤] .

---

(١) ابن إياس . بدائع الزهور ج ٤ ص ٣٧٤ ، د. محمد مصطفى زيادة . المؤرخون في مصر ص ٧٠ .

(٢) عبد الباسط - الحنفي . المجمع المفنن ق ٦٥ أ ؛ حيث أشار إلى أن له شرحاً على « قانون شاه » في الطب ، كان يدرسه .

(٣) رسالة لطيفة الحجم ، شغلت ثماني عشرة ورقة مزدوجة الصفحات ، متوسطة القياس ، مسطرتها تسعة أسطر ، كتبت بخط نسخي مشكول ، تحتفظ بها مكتبة « أحمد الثالث - تركيا » ضمن مجموع برقم : ٢/٢٨٠٣ ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة ، برقم : ١٠٣ - تاريخ .

وهي تشتمل على مقدمة وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما سبعا وعشرين ترجمة مقتضبة جداً للأنبياء أولي العزم (المرسلين إلى الأمم بالكتب السماوية - راجع : (المطهر المقدسي البدء والتاريخ ج ٣ ص ٧) ، فيما بين آدم ومحمد عليهما السلام .

(٤) سوف يعرض له بالدراسة في الصفحات التالية .

(٣) غاية السؤل في سيرة الرسول [١] .
(٤) المجمع المفنن بالمعجم المعنون [٢] .
(٥) نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين [٣]
(٦) نيل الأمل في ذيل الدول [٤] .

* * *

---

(١) سوف يعرض له بالدراسة في الصفحات التالية .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه .
(٤) ابن إياس . بدائع الزهور ج ٤ ص ٣٧٤ ؛ ولم اهتد بعد إلى مظان وجوده .

الفصل الثاني

الروض الباسم
في حوادث العمر والتراجم «١»

أشار إليه مؤلفه بقوله :

« . . . فهذا تعليق جمعته في التاريخ أنيق ، وابتدأت فيه من مولدي الذي هو سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، ليكون أعون في الحوادث المتجددات

---

(١) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . الفاتيكان ، ذات الرقم : (٧٢٨) ، في مصورتها المحتفظ بها لدى دار الكتب المصرية ، برقم : ٢٤٠٣ ـ تيمور ، وتقع في نحو ٢٦٠ لوحة ، ذات قطع كبير ، مسطرتها نحو ٣٣ سطراً ، تضمها أربع مجلدات ؛ وقد أشير في أولها ونهايتها إلى أنها بخط مؤلفها إذ جاء على صفحة الغلاف من المجلد الأول قوله :

« كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، تأليف العلامة الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفي ، وهو بخطه ، رحمه الله ـ تعالى ـ ونفع به آمين » .

كما جاء في آخر المجلد الرابع (ق ٢٦٠ أ) قوله :

« تم . . . (كشط) الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم على يد مؤلفه وجامعه وكاتبه الفقير إلى الله تعالى الحفي ، عبد الباسط الحنفي ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عليه عيوبه ، بمنه وطوله » .

ويبدو أن هذه القطعة لا تمثل سوى المجلد الأول من الكتاب ، وأن الكشط متعلق برقم الجزء ، ويؤيد ذلك وجود العديد من الإحالات ـ في مادة الكتاب ـ إلى تتمات تأتي في حوليات تالية ، لا وجود لها في هذه القطعة .

وتشير هذه القطعة إلى ابتداء مؤرخنا تأليف الروض سنة سبع وثمانين وثمانمائة للهجرة ، وفراغه من إنجاز هذا الجزء يوم الاثنين ، الثامن عشر من ربيع الأول سنة تسعين وثمانمائة للهجرة .

(راجع : عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ١٨ ب ، ج ٤ ق ٢٦٠ أ) .

وهي محتوية على الحوليات فيما بين سنتي ٨٤٥ و ٨٧٤ هـ . ، مع وجود بعض الفجوات ، لانخرامها في عدة مواضع ، ذهبت بوفيات حولية ٨٤٤ هـ . وأول حولية ٨٤٥ هـ . ، وباقي وفيات حولية ٨٤٦ هـ . ، وحولية ٨٤٧ هـ ، وباقي وفيات حولية ٨٤٩ هـ . وبقية حولية =

والوفيات على التحقيق ، أذكر فيه غرر المتجددات اليومية ، ومشتهر الحوادث العصرية ، ونبذا من تراجم ووفيات جماعة من الأعيان ، من أهل هذا العصر ، على جهة الكشف والبيان ، وربما ترجمت جماعة من موجودي الأعيان بمناسبة أو استطراداً في ترجمة ، أو محل ولاية ، أو غير ذلك من المجال ، من غير إغفال ولا إهمال . . . وقد يحسن ويصلح أن يكون تاريخنا هذا ذيلاً على عدة من التواريخ المعتبرة المشتهرة للسادة الأئمة المهرة ، كتاريخي قاضي القضاة البدر العيني ـ طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مأواه وقراه ـ وتاريخ شيخ الإسلام حافظ العصر ابن حجر ـ تغمده الله برحمته ولضريحه نور ـ وتاريخ التقي المقريزي ـ رحمه الله برحمة نماها ـ وغير ذلك من التواريخ التي يمعناها ، وإن داخلها في بعض السنين الماضية ، فيحسن ذيلاً من حيث السنين الآتية عقب سني التواريخ المذكورة بعد التداخل ، على أن بها من الزيادة ما يصلح أن يكون ذيلاً لتلك السنين المتداخلة ، فتم التداخل .

ولما كمل هذا الترتيب وتم ، وفاح شذا عرفه ونم ، سميته : الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم .

وتوخيت فيه ما ثبت عندي من نقل السادة المعتمدين الأخيار ، أو شاهدته عياناً أو مستقصياً يقيناً من الأخبار ، ومن الله ـ سبحانه ـ أستمد المعونة والتوفيق ، وأسأله ـ تعالى ـ الهداية للنطق بما يليق ، والابتعاد عن الإفحاش وهضم الناس ، والإرشاد لإعطاء كل ذي حق حقه من غير تعصب ولا اختلاس ، وأن يجعله حاثاً للواقف عليه على فعل ما يحمد ، وملازمة شهرة يذكر بها ويرشد ، ومبعداً عن رذائل ذوي السير الذميمة ، هذا مقصدي ، ولم أقصد الغيبة والنميمة ، والله بذلك هو الكفيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل »[1] .

وهو بهذا يشير إلى عدة أمور ، هي :

أولاً ـ ابتداء المدى الزمني للكتاب بسنة مولده ، وهي سنة أربع وأربعين

= ٨٥٠ هـ ، حتى أول حوادث حولية ٨٦٥ هـ ، وأثناء وفيات حولية ٨٧٤ هـ ، فيما بين ترجمتي يشبك من حيدر الأشرفي ويوسف بن تغري بردى ، حيث خرمتا ، وسقط ما قد يكون بينهما من ترجمات .

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ٢ .

وثمانمائة للهجرة ، وإن لم يعـرف على وجه اليقين منتهـاه ، لفقدان آخره بانخرامه .

أمـا البعد المكـاني ، فيتمثل في دولـة سلاطين الممـاليك في مصـر والشام والحجـاز ، والممالـك ذات العـلاقـة بهـا كـالعـراق ، والمغرب ، والأندلس ، وبلاد الروم .

ثانياً ـ التـذييل على عـدد من التواريـخ السابقـة عليه ، مـع مـداخلتهـا في مادتها ، وهي : السلوك للمقـريزي (ت ٨٤٥ هـ . / ١٤٤١ م .) وإنبـاء الغمر لابن حجـر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ . / ١٤٤٩ م .) وعقد الجمان ومختصره تاريـخ البدر في أوصـاف أهل العصـر للبدر العيني (ت ٨٥٥ هـ . / ١٤٥١ م .) باعتبارها « عدة من التـواريخ المعتبرة ، المشتهرة ، للسادة الأئمة المهـرة » ، بمعنى المعرفـة بها لاشتهارها ، والاعتماد عليها وثوقاً في مؤلفيها .

ثالثاً ـ أن مفهوم مؤرخنا للتذييل لا يعني التعقيب على فائت زمنياً ، وإنما هو إلى جانب ذلك « المداخلة بالزيادة » .

رابعاً ـ محتواه : الحوليـات المتتابعـة ، الحاويـة « للحوادث المتجـددات » و « الترجمات » ، سواء ما كان منها للأحياء أو للأموات .

خامساً ـ تسميته له : « الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم » .

سادساً ـ تحـري مؤرخنـا الـدقـة في إثبـات معلومـاتـه « على وجـه الكشف والبيان » ، « عياناً » ، « يقيناً » ، والإنصاف في النقد ، مع البعد عن الإفحاش في القول : « . . . وأسـأله ـ تعـالى ـ الهدايـة للنطق بمـا يليق ، والابتعاد عن الإفحاش وهضم الناس ، والإرشاد لإعـطاء كل ذي حق حقه من غير تعصب ولا اختلاس . . . ولم أقصد الغيبة ولا النميمـة ، والله ـ سبحانـه ـ بذلـك هـو الكفيـل ، وهـو حسبي ونعم الوكيل » .

سابعاً ـ دافعه إلى تأليفه :

أ ـ « ليكون أعون في الحوادث المتجددات والوفيات على التحقيق » .

ب ـ « حاثاً للواقف عليه على فعل ما يحمد ، وملازمة شهرة يذكر بها ويرشد ، ويبعد عن رذائل ذوي السير الذميمة » .

أي أن للتاريخ لدى « عبد الباسط ـ الحنفي » وظيفة تعليمية أخلاقية .

يلي هذه المقدمة عدد من الحوليات المتتابعة ، المنقسمة في داخلها إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، وهي :

أ ـ قائمة الاستقرارات الوظيفية :

وتتصدر حوليات الكتاب ، وقد أشير من خلالها إلى أهم الوظائف المدنية والعسكرية ـ في دولة سلاطين المماليك في مصر والشام والحجاز ـ مع التعريف بمتولي هذه الوظائف ، وكذا أسماء السلاطين والملوك ذوي العلاقة بدولة المماليك ، ممن ترد عنهم أخبار في حوليات الكتاب .

وهي قائمة متجددة ، ينص فيها على ما يحدث في هذه الوظائف من تعديل ، أو تغاير في شاغليها .

وقد اعتنى فيها ابتداءً بأولى حوليات الكتاب (٨٤٤ هـ .) بذكر الخليفة العباسي في مصر ، ومن نازعه لقبه في كل من اليمن ، وتونس ، وغرناطة وسلاطين المماليك (في مصر) ، واليمن ، والعجم ، والروم ، والمغرب ؛ والأمراء الكبار في مصر ، وهم : أتابك العساكر ، وأمير سلاح ، وأمير مجلس ، وأمير آخور كبير ، ورأس نوبة النوب ، والدوادارالكبير ، وحاجب الحجاب، ومقدمو الألوف ، مهملاً ذكر من دونهم : « وأما الطبلخانات وأرباب الوظائف منهم ، والعشرات وأرباب الوظائف منهم ـ أيضاً ـ فكثير لا حاجة لنا بذكرهم »(١) وأرباب الأقلام والمباشرون ، وهم : كاتب (أو كاتم) السر ، وناظر ديوان الجيش ، وناظر الخاص ، والوزير ، والآستادار ، مهملاً ـ كذلك ـ ذكر من دونهم « وأما غير هؤلاء من المباشرين وأرباب الأقلام فكثيرون جداً ، ككاتب المماليك ، وناظر الإسطبل ، وناظر الذخيرة ، والدولة ، والمفرد ، وغير ذلك ، ولا حاجة لنا بذكرهم »(٢) ؛ وأرباب الوظائف الدينية كالقضاة

---

(١) المصدر السابق ج ١ ق ٤ ب .

(٢) نفسه ج ١ ق ٥ أ .

الأربعة (الشافعي ، فالحنفي ، فالمالكي ، فالحنبلي) ، وكفال الممالك (ملوك الأمراء) ، ومنهم نواب : الشام وحلب وطرابلس وصفد وغزة والكرك وملطية ، مهملاً ذكر نواب القدس وحمص وبعلبك وسيس وطرسوس وعينتاب ، لكونهم « من صغار الأمراء ، ومن الأجناد ، لا طائل بحيث ذكرهم ، فإنهم لا ممالك ولا معاملات من تحت أيديهم بخلاف الأول »[1] ، فالكشاف ونائب الإسكندرية[2] .

ب ـ المتجددات (الحوادث) اليومية :

يلي هذه القائمة الاستقرارية حوادث موزعة على الشهور ، المنقسمة في داخلها إلى أيام الأسبوع المؤرخة بها ، وقد عنونت بقوله : « ذكر نبذ[3] من المتجددات اليومية في هذه السنة القمرية الهجرية »[4] ، وهي حوادث يمكن إجمال عناصرها على النحو التالي :

١ ـ التغاير على الوظائف والمناصب[5] ، والإمريات والإقطاعات[6] .
٢ ـ ثورات وفتن المماليك من الأجلاب وغيرهم[7] .
٣ ـ المصادرات والعقوبات[8] .
٤ ـ خروج العربان عن الطاعة ، ومحاولة الدولة إخضاعهم[9] .
٥ ـ أحوال النيل[10] .

---

(١) المصدر السابق ج ١ ق ٥ أ .
(٢) نفسه ج ١ ق ٢ ب ـ ٥ أ .
(٣) في الأصل : « نبذا » .
(٤) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ٦ ب .
(٥) نفسه ج ١ ق ٨ ب ـ ٩ أ (حيث إعادة العيني إلى الحسبة) ، ج ١ ق ٣٢ أ ـ ٣٤ أ (حيث عزل ابن حجر عن قضاء الشافعية) .
(٦) نفسه ج ٣ ق ١٧٦ أ .
(٧) نفسه ج ١ ق ٦٥ ب ، ج ٣ ق ٩٦ ب ، ١٠٩ ب ، ١٨٧ .
(٨) نفسه ج ٣ ق ٢٠٥ (حيث مصادرة الشمس الأهناسي)، ق ٢٠٦ (حيث مصادرة العلاء ابن الصابوني) .
(٩) نفسه ج ٣ ق ١٤٦ أ (فيما تعلق بعرب هوارة) ، ق ١٨٤ أ (فيما تعلق بعرب البحيرة) ، ق ٢٠٦ ب (فيما تعلق بعرب البحيرة) .
(١٠) نفسه ج ١ ق ١١ ب ، ٣٩ ب ، ج ٣ ق ١١٨ أ ، ١٨٥ ب ، ٢٠٢ أ .

٦ ـ الارتفاع والانخفاض في أسعار النقد ، وبعض المأكولات [١] .

٧ ـ الأوبئة والطواعين [٢] .

٨ ـ الكوائن والمحن [٣] .

٩ ـ الحاج وإدارة المحمل [٤] .

١٠ ـ الاحتفال بالمولد النبوي [٥] ، واختتام قراءة صحيح البخاري في القلعة [٦] .

١١ ـ المواكب السلطانية [٧] .

١٢ ـ ما يقع بين دولة سلاطين المماليك والممالك الأخرى من حروب وغزوات [٨] .

١٣ ـ تبادل القصاد (السفراء) والمكاتبات بين سلاطين المماليك والممالك الأخرى ذات العلاقة بهم [٩] .

١٤ ـ الأحوال المناخية والفلكية ، والكونية ، كالزلازل ، والأمطار ، والرياح ، والكسوف والخسوف في جرمي الشمس والقمر ، والتغاير في الفصول الأربعة [١٠] .

١٥ ـ مشاهير المهمات (الأفراح) المتعلقة بالمولد أو الزواج [١١] .

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٨١ أ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ب ، ج ٤ ق ٢٦٣ أ ، ٢٤٩ أ .

(٢) نفسه ج ١ ق ٢١ أ ، ج ٣ ص ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ج ٤ ق ٢١٦ ب .

(٣) نفسه ج ١ ق ٧ (فيما تعلق بكائنة القرمى) ، ق ١٢ (فيما تعلق بكائنة الشهاب الكوراني) ، ق ١٦ ب (فيما تعلق بطغيان بحر يوسف وخراب الفيوم) .

(٤) نفسه ج ١ ق ١٣ ب ، ١٥ ب ـ ١٦ أ ، ٢٥ أ ، ٤٩ أ .

(٥) نفسه ج ٢ ق ٤٨ ، ج ٣ ق ١٢٩ ب ، ١٥١ أ ، ٢٠٥ أ .

(٦) نفسه ج ١ ق ١٥ ب ، ٤٥ ب ، ج ٢ ق ١٨١ أ .

(٧) نفسه ج ٣ ق ٢٠٣ أ .

(٨) نفسه ج ١ ق ١١ (غزوة قبرس) ، ق ٤٩ ب (غزوة رودس) ، ج ٣ ق ١٨٢ ب ـ ١٨٦ ب (هزيمة المماليك في حربهم مع التركمان) .

(٩) نفسه ج ١ ق ١٠ ، ١٤ ب ، ج ٣ ق ٩٤ أ ، ٢٠٢ ب .

(١٠) نفسه ج ١ ق ١٤ ب ـ ١٥ أ (فيما تعلق بالريح المريسية والصقيع والمطر) ، ج ٣ ق ١٦٤ ب (حيث زلزلت القاهرة) ، ج ٤ ق ٢١٥ ب (فيما تعلق بخسوف جرم القمر) .

(١١) المصدر السابق ج ٢ ق ٧٧ ب (فيما تعلق بإنجاب السلطان لولد ذكر)، ج ٣ ق ١١٨ ب (فيما تعلق بزواج أزبك من ططخ بابنة الظاهر جقمق) .

١٦ ـ ما يستحدث من العمائر الدينية والمدنية [١] ، أو يكون من تجديد للعمائر القديمة [٢] .

١٧ ـ التغاير في الرسوم السلطانية [٣] .

١٨ ـ النوادر ومستغربات الحدوث [٤] .

١٩ ـ التنبيه على مشاهير العلماء الوافدين إلى مصر ، سواء للإقامة أو في طريقهم إلى الحج والمجاورة [٥] .

٢٠ ـ التنبيه على مشاهير الوفيات [٦] .

فضلاً عن الكثير مما تعلق بترجمته الذاتية ، على النحو المستخدم في ترجمته من هذا الكتاب .

وقد تأتي هذه العناصر مقطعة ، موزعة على أيام الأسبوع الواقعة فيها ، وقد تأتي على سبيل الجمع الشمولي ، دون مراعاة للأيام المؤرخة بها ، اكتفاء بنسبتها إلى الشهر أو السنة الواقعة فيها ، حيث يعمد مؤرخنا إلى الموازنة بين بعض الحوادث المعاصرة ومثيلاتها الفائتة ، أو يجمل في ذيل « المتجددات » الكثير من الحوادث المتقاربة الواقعة في ذات السنة ، أو في سنوات متتالية .

ومن نماذج الأولى (الموازنة بين الحوادث) ، قوله موازناً بين حادثتين وقعتا في سنتي ٨٤٥ و ٨٨٧ هـ . :

« . . . وفيها (٨٤٥ هـ .) وقع الغلاء بالينبع حين قدوم الحاج إليه ، وحصل به التشويش ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قرأت بخط من أثق به : لما وصل الحاج إلى مدينة ينبع كان به الدقيق في أول النهار كل حمل

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ق ٥٦ (حيث الانتهاء من عمارة زاوية جنبك ، ج ٤ ق ٢١٩ أ (حيث الانتهاء من بناء سبيل للسلطان تحت الربع) .

(٢) نفسه ج ١ ق ١٦ أ (حيث جددت بعض المدارس والجوامع في القاهرة ومصر والضواحي) .

(٣) نفسه ج ١ ق ١١ أ ، ١٣ أ ، ٢٥ أ ، ٤٩ أ ، ج ٢ ق ٥٠ .

(٤) نفسه ج ١ ق ٢٧ ب (ولادة طفلة برأسين) ، ج ٢ ق ٣٧ أ (ولادة بقرة بفمين) ، ق ٧٦ (منع أحدهم من دفن ميت حتى يستوفى ما عليه من دين) .

(٥) نفسه ج ١ ق ١٧ (استقدام السلطان لثلاثة من المسندين من الشام إلى القاهرة) ، ج ٢ ق ٤٨ ب ـ ٤٩ أ (مقدم الحافي إلى القاهرة في طريقه للحج والمجاورة) .

(٦) نفسه ج ٣ ق ٢٠٤ (وفاة خوند فاطمة ، والظاهر بلباي) .

بسبعة دنانير فارتفع الظهر إلى اثني عشر ثم العصر إلى ستة عشر ، وكان العليق أربع ويبات بدينار فوصل إلى ويبتين ، ووصل الحمل الفول الصحيح إلى عشرة ، وكان البقسماط رخيصاً فوصل إلى ستين درهماً كل عشرة ، وكاد الجمالة أن يهربوا ، فقدر وصول الخبر بوصول المركب إلى الساحل ، فتراجع السعر إلى أن صار وسطاً بعد أن كان أولاً وآخراً ، انتهى .

أقول : ووقع عكس هذا في زماننا هذا في سنة سبع وثمانين في عود الحاج .

أخبرني من أثق به ممن كان مع الحاج في هذه السنة أنه لما وصل الحاج إلى الينبع بيع الشيء في أول النهار بأعلى الأثمان ، فمنع أمير الحاج ـ وكان يومئذٍ أزبك اليوسفي أحد مقدمي الألوف ، المعروف بناظر الخاص ـ الناس من الشري أولاً حتى يستكفي هو ، فاشترى الدقيق والعليق وغير ذلك بأغلى ثمن ، ولما استغنى نزل السعر في وسط النهار ، ثم انحط في آخره بحيث ندم أمير الحاج ـ المذكور ـ ومن اشترى من الأتراك ، وانتصف الفقير بعد تكفية الأمراء ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » (١) .

وقوله موازناً بين حادثتين وقعتا في سنتي ٨٤٥ و ٨٥٤ هـ . :

« . . . وفيه (المحرم) في يوم الأحد ثامنه ، أمر السلطان والي الشرطة بإصلاح الطرقات ، بأن ينادى من قبله بتنظيفها بعد قطع أراضيها ، فألزم الوالي أصحاب الحوانيت والدور كل بقطع ما حده له من أمام داره أو حانوته وبقي القطعة يقطعون والحمارة تشيل ما يقطع شيئاً فشيئاً ، وغاب الكثير من أهل الدور والحوانيت خوفاً على أنفسهم من الضرب والبهدلة لا سيما الفقراء ، وبقي غالب الناس في هذا اليوم في غاية النكد ممن له تعلق بذلك ومن لا تعلق له ـ أيضاً ـ لازدحام الناس لأجل القلعة والعمال في ذلك من حمارة وغيرهم بواسطة القطع ، وحمل ما يقطع ورميه بالكيمان ، وحصل للمارة في هذا اليوم وفيما بعده غاية النكد والتشويش ، فإن من غاب بقي ما يتعلق به من الأرض المستطرقة أمام داره أو حانوته بغير قطع ، فتوعرت الطرقات بسبب ذلك ،

---

(١) المصدر السابق ج ١ ق ٥٠ أ .

وقاسى الخلق من المارة بسبب ذلك غاية الضرر الذي ما عنه مزيد ، لا سيما من يمشي ليلاً ، وخصوصاً ضعفاء البصر والسمع .

أقول : وقد جرى مثل ذلك في زماننا هذا في سنة أربع وخمسين وثمانمائة ، بل وفي التي قبلها ، وتمادى الأمر على ذلك في أيام يشبك من مهدي الدوادار ، حين ألزم الناس بإصلاح الطرقات وتوسعتها ، وهدم الكثير مما أحدث أو لم يحدث بالطرقات ، فكان الهدم والقطع ، وكان يغيب البعض منهم ويقطع البعض ، فتوعرت الطرقات ، بل وأردمت بالهدم ، ودام ذلك مدة ، وحصل للمارة الضرر والتشويش بسبب ذلك ، وعطب كثير من الناس وكسرت جمال محملة .

لكنه داوم على ذلك ، وقام فيه القيام التام ، وبقي إذا غاب الواحد ممن له تعلق نظف من ماله ثم أخذ منه بعد ذلك ، ظناً منه أن ذلك حقاً لازماً للغائب ، حتى أصلح عامة الشوارع والطرقا (ت) ووسعها وهدم الكثير من الدور والحوانيت بحق وبغير حق ، لكن فيما يظهر لي أن الذي بالحق أكثر ، ولقد حصل بذلك للمارة بعد ذلك غاية الراحة ، ولقد كشف بسبب الكثير من ذلك غمة عظيمة » (١) .

ومن نماذج الثانية (الحوادث المجملة في ذيل الحوليات) قوله في حولية اثنتين وسبعين وثمانمائة للهجرة :

« . . . وخرجت هذه السنة ـ أعني سنة اثنتين وسبعين المذكورة ـ وقد وقع فيها من الفتن ما ظهر منها وما بطن ما لا يكاد أن يحد ولا يضبط بعد ، فكادت أن تكون بل لعلها كانت سنة لا نظير لها في هذا القرن من كثرة الفتن والأنكاد والشرور الكائنة بها والفساد وهلاك العباد وخراب البلاد ووجود الحروب والملاحم بسائر الأقطار وغالب البلاد والأمصار في سائر مشارق الأرض ومغاربها من تغير الدول ووقوع الخطوب والكروب ، وكثرة الحروب وغلاء الأسعار والقتال بين المسلمين بل والكفار والأتراك والأملاك والعربان والتركمان ومخافة السبل ، وقلة الأقوات والزراعات ، واعتلاء الفواكه والثمار العاهات والآفات ،

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ق ٦٤ أ .

لا سيما بالبلاد الشامية ، وقد عرفت أحوال الديار المصرية من تغير أربعه سلاطين في نحو أربعة أشهر ، بل خمسة إن شئت : بخير بك . وكان في أول هذه السنة من الوباء العظيم في بلاد الروم والمغرب ، بل وبلاد الفرنج من بر الأندلس وما إلى تلك النواحي ، مما هو في البحر المحيط من بلاد الفرنج ما فنى به الخلق الكثير والجم الغفير بالطاعون والوباء والمقاتلة بين عساكر ابن عثمان والفرنج ، والفتن ببلاد ابن قرمان بين ابن عثمان وأحمد بن بشارة قريبه من النساء على ما بين ، والفتن بين جهان شاه وحسن بن قرايلك ، وقتل جهان شاه مع ملكه الطائل وشهامته وسلطنته ، ثم الحروب الثائرة ببلاده وبالعراقيين وبلاد العجم إلى أن آل ذلك إلى قطع رأس القان بو سعيد في السنة الآتية ، فما ذلك غير فتن كبيرة وحروب كثيرة ، ثم فتنة شاه سوار بن دلغادر بهذه المملكة وحروبه أولاً وثانياً ، ثم الفتن بأعلى بلاد الصعيد ، ثم ما بلغنا من المصيبة العظمى ببلاد المغرب في أخذ طنجة وأصيلا من بلاد الإسلام وصيرورتها دار خراب وكفر ، ثم فتن فاس الباقية ، بل وحصارها في هذه السنة من بني وطاس الذي دام بعد ذلك ، ثم تغير صاحب تونس على صاحب تلمسان ونقض صاحب تلمسان الصلح الكائن بينه وبين صاحب تونس المذكور ما بينا على ما تقدم بيانه ، وأما بلاد الأندلس فناهيك بفتنها التي لا تنقضي ، القائمة بين المسلمين والكفار ، وكذا الفتن القائمة بين طوائف الكفار - أيضاً - أنفسهم في بعضهم البعض من الفنس صاحب قشتالة وكذا البرطال والكيلان وغيرهم ، وما كان من الشرور في طريق الحجاز وأخذ ركب الينابعة ، ثم المقتلة الكائنة بعد ذلك بين صنافر وسبع وسباي ولدى هجار الماضي ذكرهم ، والفتن الكائنة بقبلي مصر وبحريها شرقاً وغرباً ، ومقاتلة العزبان - أيضاً - بعضها البعض ، وما غاب عنا ببلاد الهند والسند والصين واليمن ، فلعل ذلك ، ولعل هذه السنة كانت أصعب السنين للمعتبرين ولمن نظر وتبصر ، وبالله المستعان »[1] .

وهكذا فإن مؤرخنا قد أجمل في ذيل هذه الحولية حوادثها ملخصاً وإن اقتصر فيما لخصه على ما ينبىء بالشرور والخراب .

ولكن قد يوظف « الشمول الموضعي » لاتساق الكلام والمعرفة بما

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٩٠ ب - ١٩١ أ .

يستجد من حوادث ، فيكون في ذلك الإتيان بحوادث لاحقة في حوليات متقدمة ، كما هو مفهوم من قوله :

« . . . وإنما ذكرنا هذا مقدماً على وقته لأن عليه يتسق الكلام ، ويحسن الانتظام ، لتكون معرفة بهذه الكائنة ، وإن كان قد وقع بعد ذلك » (١) .

وكثيراً ما يترجم من خلال هذه العناصر (عناصر الحوادث) لبعض الشخصيات ذات الصلة بها ، ممن يكونون على قيد الحياة ، ناصاً على ذلك ، كنحو قوله :

« . . . ولا بد في هذا التعليق من التعريف به قبل الخوض في ذكر ما جرى من كائنته ، إذ لا تأتي له ترجمة في هذا التعليق ، فإنه لم يتوف إلى الآن ، وهو باق ببلاد الروم » (٢) .

ونتيجة لذلك فقد اختلطت الحوادث بالترجمات ، وتداخلتا ؛ ولذا اقترنت تلك الترجمات بعنوانات تأتي في جوانب الصفحات وقد علم عليها بالحمرة ، مع تنبيه إلى ذلك في مقدمة الكتاب ، بقول مؤلفه :

« . . . وكتبت بالحمرة على هامش هذا التعليق ما يرشد إلى المقاصد من بعض التراجم والوفيات ، ليكون ذلك مسهلاً على الوقوف عليها لمن طلب معرفة تلك الحالات ، وقد آثرت لناسخ هذا الكتاب أن لا يسقط ذلك من الهوامش ليسهل التطلاب » (٣) .

جـ ـ ترجمات الوفيات :

يلي ذلك قائمة تنتظم عدداً من ترجمات الأعلام المتوفين في السنة المترجمين فيها ، وقد رتبت ترجماتهم على حروف الهجاء في الاسم العلم ، مصدراً لها بقوله : « ذكر نبذ (٤) من تراجم الأعيان ووفياتهم في هذه السنة » (٥) ؛ ناصاً على ذلك في أولى حوليات الكتاب بقوله :

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٥٤ أ .
(٢) نفسه ج ١ ق ١٢ أ .
(٣) نفسه ج ١ ق ٢ أ .
(٤) في الأصل : « نبذا » .
(٥) نفسه ج ١ ق ١٧ بـ

« . . . اعلم أنني أذكر في هذا التعليق تراجم الأعيان الذين بلغني وأمكنني الوقوف على تراجمهم ووفياتهم ، على ترتيب حزوف المعجم في مراتبها ، فأبدأ بمن اسمه الهمزة ، وكذا اسم أبيه ، إذا اتفق ذلك ، وهكذا إلى آخر الحروف إن وجد من اسمه على الحرف في الرتبة ، وإلا فأعد إلى الحرف الذي يليه ، ثم وثم حتى أنتهي ، وأذكر في بعض تراجم الأموات تراجم بعض الأحياء بمناسبة كما أشرنا إلى ذلك في أول تاريخنا هذا ، وبالله التوفيق » (١) .

وقد تتضمن بعض الترجمات ترجمات الغير ، سواء كانوا من الآباء ، أو الأبناء ؛ كما في ترجمة « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن يوسف ، المعروف بابن النقاش » (٢) وقد تضمنت ترجمة والده ، استطراداً ؛ وترجمة « محمد بن محمد بن أحمد الأوجاقي » (٣) وقد ترجم من خلالها ـ استطراداً ـ لعدد من أولاده ، قائلاً :

« . . . وإنما طولت في هذه الترجمة ، لأنها تتضمن عدة تراجم ، ولأن محبة الآباء وصحبتهم صلة في الأبناء » .

ونظراً لجمع « عبد الباسط ـ الحنفي » لهذه الترجمات في مؤلف مستقل ، هو « المجمع المفنن » ، وقد انتزعت بأكملها من « الروض » ، فسوف تدرس ـ تفصيلاً ـ هناك .

* * *

---

(١) المصدر السابق ج ١ ق ١٧ ب ـ ١٨ أ .
(٢) نفسه ج ٢ ق ٥٩ أ .
(٣) نفسه ج ٣ ق ٦٠ ب ـ ٦٢ أ .

أولاً ـ أنواع المصادر :

اعتمد « عبد الباسط ـ الحنفي » في جمع مادة كتابه على خمسة أنواع من المصادر ، وهي :

أ ـ المشاهدة :

ويمثلها قوله :

« . . . وفيه ، في يوم الثلاثاء ، سادس عشرينه ، اتفق أن كنت جالساً على جرف مطل على النيل ببعض سواحل البلاد القبلية ، وإذ بامرأة نزلت للبحر تملأ جرة معها ، وإذا بتمساح وثب عليها من البحر حين انحنت على الجرة ، فصادف أن أخذها من رأسها بأن قصدها فاتحاً فكه وطبق على رقبتها ، وبقي رأسها في فمه ، ثم جرها إليه ، وكان آخر العهد بها .

فحصل عندي الباعث والتألم على تلك المرأة ؛ وبلغ خبرها أهل البلد التي هي فيها ، فتأسفوا عليها لجودتها .

وكان هذا التمساح قد عرف بهذا المحل ، فانتدب إنسان يقال له : أبو عوكل ـ من أهل تلك الناحية ، كان معروفاً بصيد التماسيح ـ فخرج إلى الساحل وما زال إلى أن صاد ذلك التمساح بعينه على ما قالوه أنه هو الذي عرف بالأذى في ذلك المكان ، وخرج كثير من الناس لرؤية ذلك التمساح ، ثم حمل إلى البلد فرأيته أنا ـ أيضاً ـ على صفة هائلة ، وعجبت من قدرة الله تعالى ، وبرد بعض ما كنت أجده من الألم على تلك المرأة في الجملة » [1] .

وقوله :

« . . . وكنت أنا في ذلك اليوم بمصر العتيق ببعض الديار ، ورأيته

(١) المصدر السابق ج ٢ ق ٣٦ أ .

(الظاهر خشقدم) في ذهابه وإيابه ، واتفق أنه لما ركب الحراقة وأخذوا في السير به كسر علم من الأعلام السلطانية بالحراقة المذكورة ، فتشاءم الناس بذلك ، ولهجوا بزوال ملكه ، ووقع ذلك بعد قليل كما تفاءلوا ، وكانت هذه الركبة آخر ركباته لكسر البحر ، بل لم يركب بعدها » (١) .

وقوله :

« . . . ثم إنني شاهدت في أثناء طلوع الأمراء قانباي وهو أحد مقدمي الألوف إذ ذاك ، وقد طلع ، ولما دخل من باب القلعة قامت الجلبان على ساق ومشوا إلى جهته بالسيوف المصلتة واضطربوا حين رؤيته اضطراباً كبيراً ، حتى أنني خشيت عليه ، ثم مشوا معه إلى أن شيعوه إلى داخل وعادوا فتوسمت في ذلك اليوم فيه السلطنة » (٢) .

ب ـ المساءلة والمكاتبة :

ويمثلها قوله مترجماً « محمد بن محمد بن أحمد الأوجاقي » :

« . . . وكنت أنا قد سألت ولده ـ المذكور ـ أن يوقفني على ترجمته وترجمة نفسه وإخوته ـ أيضاً ـ وكان الموجب لذلك أنني رأيت في تاريخ البدر العيني ـ رحمه الله ـ ترجمة المحب هذا ، بأن ذكر فيه ما هو نصه :

وفيها في يوم الاثنين ثالث عشرين رجب مات الشيخ محب الدين ابن الأوجاقي الشافعي .

ثم وصفه بالخير والدين واعتقاد الناس له ، ولم يذكر اسمه ولا اسم أبيه ولا جده .

ثم رأيت في تاريخ ابن تغري بردى ـ أيضاً ـ ما نصه :

وتوفي الشيخ محب الدين الأوجاقي الحنفي .

وذكر التاريخ الذي ذكره الشيخ بدر الدين العيني بعينه ، فكأنه نقل منه ، ثم ترجمه مختصراً .

أقول : وقد وهم كلاهما في تاريخ وفاته على ما هو ظاهر ، فإن ولده

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٤٤ أ .

(٢) نفسه ج ٣ ق ١٤٨ ب .

أضبط ، ووهم ابن تغري بردى في مذهبه ـ أيضاً ـ وما علمت من أين جاءه هذا الوهم ، ولعله سبق قلم ، فإنه نقل في ترجمته من تاريخ البدر العيني ، ثم ما أمكنني أن أنقل عنهما واقتصر على ما ذكراه مع وجود ولده الشيخ تقي الدين ـ المذكور ـ مع صحبة بيننا ، فسألته عن ذلك وعن نفسه وأخيه المسند وغيره ، فكتب إلى ما ذكرته » (1) .

جـ ـ المشافهة :

كنحو قوله :

« . . . وكان من خبر هذا الأمر ما أخبرني غير واحد ممن اطلع على جلية هذه القضية ، ومنهم من أثق به وبدينه ، وخيره أنه . . . » (2) .

وقوله :

« . . . ذكر لي ذلك شيخنا وسيدنا ومولانا العلامة أستاذ العالم ، الشيخ محيي الدين الكافيجي ـ رحمه الله ـ وكان يثني عليه ويصفه بجلالة القدر » (3) .

وقوله :

« . . . وأخبرني رجل من أصحابنا يسمى شمس الدين محمد بن يوسف بن سليمان بن خليل بن عبد الوهاب الفيومي القاهري الحنفي ، أحد السادة الصوفية بالخانقاه الشيخونية ، وخطيب الجامع والزاوية القانيانية بالرملة ، سمع ممن يثق به عن ابن زين هذا ، أنه . . . » (4) .

وقوله :

« . . . واشتد حنق السلطان في ذلك اليوم وغضبه ، حتى حكى لي بعض أصحابنا ممن كان حاضراً ذلك المجلس في هذا اليوم . . . » (5) .

---

(1) المصدر السابق ج ١ ق ٦٠ ب ـ ٦١ أ .
(2) نفسه ج ١ ق ٦ ب .
(3) نفسه ج ١ ق ٤٩ ب .
(4) نفسه ج ١ ق ٥٧ ب .
(5) نفسه ج ١ ق ٢٤ أ .

وقوله :

« حكى لي الوالد . . . » [1] .

د ـ الإجازات والخطوط :

ويمثلها قوله :

« . . . وعلى أنني رأيت خط الحمصى في إجازة ، وهو . . . . » [2] .

وقوله :

« . . . نقلت هذه الجملة من تعليق بخط الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ وفيه من الغرائب ما وقفت عليه » [3] .

هـ ـ المؤلفات السابقة :

وهي محدودة ، تتمثل في :

١ ـ إنباء الغمر بأنباء العمر [4] لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ . / ١٤٤٩ م .) .

٢ ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان [5] للبدر العيني (ت ٨٥٥ هـ . / ١٤٥١ م) .

٣ ـ كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك [6] لخليل بن شاهين (ت ٨٧٣ هـ . ./ ١٤٧٨ م .) .

٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة [7] لابن تغري بردى (ت ٨٧٤ هـ . / ١٤٧٠ م .) .

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ق ١٣٣ أ .

(٢) نفسه ج ١ ق ١٤ ب .

(٣) نفسه ج ٣ ق ١٣٦ أ .

(٤) نفسه ج ١ ق ٥ ب ، ٨ ب ، ١١ ب ، ١٣ أ ، ١٤ ، ١٨ ب ، ٢٠ ، ٤٩ ب ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ أ ، ٥٧ ، ٥٩ أ ، ٦٠ أ ، ٦٣ أ ، ج ٢ ق ٢٦ ب ، ٢٧ أ ، ٢٨ أ ، ٣٨ ب ، ٣٩ ب ، ٤٠ ب ، ٤١ ب ، ٤٢ أ .

(٥) نفسه ج ١ ق ٥٧ ، ٦٥ ، ج ٢ ق ٢٤ ب ، ٣٧ أ ، ٣٩ .

(٦) نفسه ج ١ ق ١٨ أ .

(٧) نفسه ج ١ ق ٥٣ ب ، ٥٧ ب ، ٦٥ ب .

٥ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع [١] للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ . / ١٤٩٧ م .) .

ثانياً ـ الإسناد إلى المصادر :

أسند « عبد الباسط ـ الحنفي » منقوله عن مصادره إليها ، مهملاً التصريح بعنواناتها ، اكتفاء بنسبتها إلى مؤلفيها ، أو بنعتها بكلمة « تاريخ » ومن ذلك قوله :

« . . . وقال ابن تغري بردى . . . » [٢] .

وقوله :

« . . . وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله . . . » [٣] .

وقوله :

« . . . ذكره الحافظ السخاوي في تاريخه ، وقال : . . . » [٤] .

ثالثاً ـ طرق النقل :

راوح « عبد الباسط » بين النقل الحرفي عن مصادره ، والنقل متصرفاً في النسقين الترتيبي والتعبيري المصاحبين لمنقوله عن مصدره ، أو في أحدهما .

أ ـ النقل الحرفي عن مصادره :

ويمثله قوله مترجماً « الشهاب العجمي » :

« . . . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وعزل ابن عمه القاضي جلال الدين بسبب قيام الناس عليه ، فعزل هو أيضاً ، واستمر ثم عاد بعد ذلك وولي مراراً إلى أن مات ، انتهى كلامه » [٥] .

ويقابله لدى « ابن حجر » قوله في الإنباء :

---

(١) المصدر السابق ج ١ ق ٥٧ أ ، ٦٣ أ ، ج ٢ ق ٣٣ ب

(٢) نفسه ج ١ ق ٥٣ ب .

(٣) نفسه ج ١ ق ٥٦ أ .

(٤) نفسه ج ١ ق ٥٧ أ .

(٥) نفسه ج ١ ق ١٨ ب .

« . . . وعزل ابن عمه القاضي جلال الدين بسبب قيام الناس عليه ، فعزل هو أيضاً ، واستمر ثم عاد بعد ذلك ، وولي مراراً إلى أن مات » [1] .

ولا يخفى وجه التطابق بين النصين .

ب ـ التصرف في منقوله عن مصدره :

ويمثله قوله مترجماً « الزين المادح » :

« . . . قال شيخ الإسلام بدر الدين العيني في ترجمته له في تاريخه : نظم أربعة عشر ألف قصيدة وخمسمائة قصيدة وثلاثاً في قصص الأنبياء وغيرها ، وعاش تسعين سنة ، فقيل : إنه رأى النبي ـ ﷺ ـ تسعمائة مرة . انتهى » [2] .

ويقابله لدى « البدر العيني » في « عقد الجمان » قوله :

« . . . نظم أربع عشرة ألف قصيدة وخمسمائة قصيدة وثلاثاً في قصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وغيرها . مات يوم الأربعاء ، مستهل ربيع الأول من هذه السنة في البحيرة ، ومولده بطنتتا، وعاش تسعين سنة ، وقيل : إنه رأى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في منامه تسعمائة مرة » [3] .

وبالمقابلة بين النصين نجد أن « عبد الباسط » قد تصرف في منقوله عن مصدره ـ على صغره ـ سواء باللحن في إثبات العدد الأول « أربعة عشر ألف قصيدة » ، أو بالحذف لقول مصدره : « عليهم السلام » ، و« ومات ـــ بطنتتا » ، و« في منامه » ، فضلاً عن إبداله قول مصدره : « قيل » بـ« فقيل » ، و« عليه الصلاة والسلام » بـ« ﷺ » .

ومن نماذج ذلك ـ أيضاً ـ قوله مشيراً إلى ثورة « الجلبان » على « الظاهر جقمق » :

« . . . وقال ابن تغري بردى : وكسروا باب الزردخاناة السلطانية وأخذوا منها سلاحاً كثيراً ، وضربوا جماعة عند باب الزردخاناة من أهلها ، ووقع منهم

---

(١) ابن حجر . إنباء الغمر ج ٩ ص ١٣٨ .
(٢) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ٥٧ ب .
(٣) العيني . عقد الجمان (ط . الزهراء) ص ٥٧٥ .

أمور قبيحة في حق أستاذهم الملك الظاهر ، ولهجوا بخلعه ، وتحرك من في قلبه مرض في ذلك اليوم ، وتفتحت الأعين بكائنة تحل بالسلطان » (١)

ويقابله لدى « ابن تغري بردى » قوله في النجوم الزاهرة :

« . . . وكسروا باب الزردخاناة السلطانية ، وضربوا جماعة من أهل الزردخاناة ، وأخذوا منها سلاحاً كثيراً ، ووقع منهم أمور قبيحة في حق أستاذهم الملك الظاهر ، ولهجوا بخلعه من الملك ، وهم السلطان لقتالهم ، ثم فتر عزمه عن ذلك شفقة عليهم لا خوفاً منهم ، ثم سكنت الفتنة بعد أمور وقعت بين السلطان وبينهم » (٢)

وبالمقابلة بين النصين نجد أن « عبد الباسط » قد تصرف في منقوله عن مصدره معدلاً في نسقيه الترتيبي والتعبيري ، حيث أخذ ما يشير إلى ضرب جماعة الزردخاناة على ما أخذ منها ، مع إبدال قول مصدره : « وضربوا جماعة أهل الزردخاناة » بالقول : « وضربوا جماعة عند باب الزردخاناة من أهلها » ، فضلاً عن حذف عبارة المصدر : « من الملك . . . بينهم » ، مضيفاً قوله : « وتحرك من في قلبه مرض في ذلك اليوم ، وتفتحت الأعين بكائنة تحل بالسلطان » . وشتان ما بين التعبيرين ، إذ المفهوم من عبارة المصدر التهوين من خطر الثائرين « ثم فتر عزمه عن ذلك شفقة عليهم لا خوفاً منهم » ، بينما توحي عبارة « الروض » بعكس ذلك .

رابعاً ـ نقد المصادر :

لم يقبل « عبد الباسط ـ الحنفي » ما أمدته به مصادره من معلومات على أنها حقيقة مسلم بها ، وإنما عمد إلى مناقشتها أو تصويب أخطائها ، ومن ذلك قوله مترجماً كزل العجمي :

« . . . ذكره ابن تغري بردى فيمن مات في هذه السنة ، وهو خطأ منه ،

---

(١) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ٥٣ ب .

(٢) ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٥٢ .

بل مات في سنة تسع وأربعين ، وترجمه الحافظ ابن حجر بها وهو الصحيح ، وسيأتي في محله إن شاء الله تعالى »[1] .

وقوله مشيراً إلى استقرار الولي السفطي في نظر البيمارستان :

« . . . وفيها (سنة ٨٥٠ هـ .) ، في يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر ، ووهم من قال أوله ، وكذا وهم من قال ثاني عشره ، استقر القاضي ولي الدين السفطي في نظر البيمارستان المنصوري »[2] .

* * *

(١) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ٥٧ ب .
(٢) نفسه ج ١ ق ٤٥ أ .

النقد التأريخي

تعددت جوانب النقد التأريخي في « الروض الباسم » وتنوعت ، فكان من مظاهره :

أ ـ إجلال منصب الخلافة العباسية وتمجيدها :

ويمثله قول « عبد الباسط ـ الحنفي » رافضاً منازعة حكام تونس واليمن لخلفاء بني العباس في لقب « أمير المؤمنين » :

« . . . ومع ذلك ، فإن المسمع ينوء عن سماع مثل ذلك في حق غير بني العباس والطبع عن دعاء غيرهم ممن بعدهم به ، فإنهم الجديرون بهذه الدعاية ، الخليقون بها ، لإمامتهم العظمى المتفق عليها ، الشاهد بصحتها الحديث الشريف النبوي » [1] .

وقوله وقد أخرج السلطان قرية « إمبابة » عن الخليفة ، وأقطعها بعض الأمراء :

« . . . فعد ذلك من النوادر التي ما وقعت لغيره ، من كونه يخرج جهات الخليفة أمير المؤمنين ، الذي هو الإمام الأعظم في الحقيقة ، ومنه يكسب السلطان عز السلطنة ، ثم يقطعها لمن لا يستحقها ، وأعيب ذلك على السلطان ، وشنعت القالة في حقه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون » [2] .

ب ـ إجلاله لشيوخه واحترامهم ، مع نعيه عليهم بعض تصرفاتهم :

ومن ذلك قوله في « حميد الدين النعماني » وقد كان سبباً في أذية الكوراني :

---

(١) المصدر السابق ج ١ ق ٢ ب .

(٢) نفسه ج ٣ ق ١٨٢ .

« . . . وكان شيخنا حميد الدين ـ رحمه الله ـ يعاب بمثل ذلك الذي كان السكات عن القيام في مثله أجمل ، وتركه بالكلية أفضل للعاقل اللبيب ، لا سيما إن كان الغرض دنيوي أو لهوي نفسي ، لا آخذه الله ـ تعالى ـ بذلك ، فإنه شيخنا ولا نقبل فيه إلا خيراً ، ولا نود له إلا خيراً ، لكنه قام في قضية الكوراني قياماً كلياً ، وكان سبباً لأذاه » (١) .

جـ ـ استهجان دعاوي المنجمين وتكذيبهم :

ويمثله قوله :

« . . . ولهج أهل التنجيم ـ أيضاً ـ بأن دولة الظاهر تنقضي فيها ، ولم يكن شيئاً مما ذكروا ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو جل وعلا » (٢) .

د ـ الأنفة من الظلم والجور :

ومن ذلك قوله وقد حسن « زين الدين الأستادار » للظاهر جقمق إضافة الرزق الأحباسية والحبسية ـ بضواحي القاهرة ـ إلى ديوان المفرد :

« . . . واستمر إلى الآن ، وعلي زين الدين ـ المذكور ـ ومن حسن ذلك ومن أمر به أثم ذلك وأثم من عمل به إلى يوم العتمة بمقتضى الحديث الشريف النبوي ـ على قائله أفضل الصلاة والسلام ـ فلا جوزي زين الدين هذا خيراً على ذلك ، ولا بورك فيه ، فأخذه الله ـ تعالى ـ بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر كما ستقف على ذلك في ترجمته إن شاء الله ـ تعالى ـ في سنة أربع وسبعين » (٣) .

وهكذا ، فقد اقترنت الأنفة لديه من ذلك بالدعاء على المشاركين في هذا الفعل ، مع التنفير من الإقدام على فعل مماثل له ، وقد أفصح عن مصير المتسبب فيه ، مع نسبة هذا المصير إلى الخالق سبحانه .

هـ ـ إجلال الشرع والدين ، ومراعاة تطبيقه والالتزام به :

ويمثله قوله :

« . . . كانت مبايعة الأتابك يلباي بالسلطنة وعقد الملك له بعد موت

(١) المصدر السابق ج ١ ق ١٢ ب .
(٢) نفسه ج ١ ق ٢٦ ب .
(٣) نفسه ج ١ ق ١٥ .

الظاهر خشقدم والفراغ من تجهيزه وبعثه إلى تربته ، ووقع ذلك خلاف العادة ، فكان من النوادر ، فإن العادة جرت أن لا يتكلم في تجهيز سلطان إلا بعد سلطنة آخر ، ثم يشرعون بعد ذلك في تجهيز الميت ؛ ولعل ما وقع ـ الآن ـ خلاف العادة هو الأقرب لموافقة الشرع ، لكون المأمور به الإسراع بتجهيز الميت ، لا سيما وقد أجمع من أجمع على سلطنة السلطان يلباي ، وكان قد انبرم أمره في الملك من ضحوة النهار »[1] .

وقوله وقد كثر الدعاء من العاجز والفقير ـ من طبقة أولاد الناس ـ على الأشرف قايتباي لقطعه جوامكهم أو تغريمهم « مائة دينار » إقامة لبديل عنهم في التجريدة إلى شاه سوار :

« . . . وحصل على الناس في هذا اليوم ما لا خير فيه ، والسلطان يدعي ويزعم أن الذي يفعله غاية الرأي والمصلحة ، بل والدين ، والمخلص عند الله ـ تعالى ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وكيف وقد قال عليه السلام : إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم ، فأين من يعمل بهذا ؟! وأين من يسمعه ويعرفه ليكون منصوراً مرزوقاً ؟! »[2] .

و ـ الكشف عن العامل الرئيس في توجيه الحوادث :

ومن ذلك قوله معللاً إقدام أمراء المماليك على الحج وبناء أو تجديد المدارس والجوامع في سلطنة الظاهر جقمق :

« . . . فكان عدة من حج في هذه السنة (٨٤٤ هـ .) من الأمراء أربعة عشر أميراً ، لعل هذا لم يقع في دولة من الدول .

أقول : والسبب في إكثار هؤلاء من الحج التقرب إلى خواطر السلطان الظاهر بذلك ، لأنه كان يحب أن يشاع عنه وعن أمرائه التعبد وإظهار الديانات ، وكان يظهر حب من يتعبد ويحج وينقل الخير ، حتى أن جماعة كثيرة ممن فطن به يأنه يعجبه ذلك صار يتقرب إلى خواطره بأنواع كثيرة من العبادات ، كالحج وبناء المدارس والجوامع وتجديدها ، وتاب جماعة كثيرة

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٤٩ أ .

(٢) نفسه ج ٣ ق ٢٠٥ ب .

ممن كان يرتكب أشياء قبل سلطنته ، وصار من له كنه من ذلك يظهر التوبة ويخفي ما يفعله حتى يرجفه حين ارتكابه ذلك الفعل صفير الصافر ويخيفه خفق جناح الطائر ، كل ذلك لما كان يظهره هو ـ أعني الظاهر ـ من العبادة والخير والزهادة ، والناس على دين مليكهم » (١) .

وقوله معللاً لبقاء « الأشرف قايتباي » في السلطنة مع تهوره وجوره واعتسافه في تحصيل الأموال :

« . . . جلس السلطان للعرض ـ أيضاً ـ بالحوش ، ثم استدعى بالجند واحداً بعد واحد ، وهو يفعل معهم مثل ما فعل بالأمس ، لكن كثر الدعاء عليه من المأخوذ منهم ، وتمنوا زواله ، وبقوا يودون قيام فتنة وثوران شر ، ويتمنون ذلك ويشوقون له ، ويأبى الله إلا ما أراد ، فإنه دام في سلطنته وعزه مستمراً إلى يومنا هذا ، بل تسلط عليهم بأنواع السلاطات حتى قهر الجميع وتملك وتمكن وأقام المماليك الكثيرة وضخم وعظم جداً ، **فإنه جسر فكبر ، وما هاب فما خاب ، وجمع فأوعي . . ولعل ذلك لذهاب الرجال وذوي الهمم من أكابر الأمراء الذين كان يخشى من شرورهم وعزائمهم** » (٢) .

ز ـ تقدير ما كان سوف يحدث لو لم يفعل ما حدث :

ومن ذلك قوله مترجماً « قانم من صفر خجا » :

« . . . فضخم جداً وعظم إلى الغاية حتى تحدث الناس بوثوبه على الأمر لما رأوا من عظمته ، وإلا ما كان يفعل ذلك في حياة خشقدم ـ والله يعلم ـ لكونه كان هو السبب في عظمته ، وإنما ذلك من حدس للناس في مثل ذلك لمن تناله العظمة ، نعم لو عاش بعده لكان هو السلطان ، مع إرادة الله تعالى ذلك » (٣) .

ح ـ نقده لأحوال مجتمعه :

كما كان مؤرخنا ناقداً لأحوال مجتمعه ، غير راض عن كثير من التصرفات

---

(١) المصدر السابق ج ١ ق ١٦ أ .
(٢) نفسه ج ٤ ق ٢١٤ أ ـ ٢١٥ ب .
(٣) نفسه ج ٣ ق ١٤١ ب .

المنسوبة إلى بعض السلاطين أو المباشرين ، أو العلماء ، فضلاً عن طبقة المماليك « أمراء وجلبان » ، والذين لم تكن عاطفته معهم .

يظهر ذلك قوله منتقداً حكام عصره من خلال انتقاده « الظاهر خشقدم » لأخذه الرشا على الوظائف والولايات :

« . . . ذكر بعض المؤرخين أن جملة ما حصل للسلطان من المال في هذه السنة (من الرشا) نحو الخمسة وثلاثين ألف دينار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ما شاء الله كان . انظر إلى شره هذا السلطان ولا عليه من كيد الناموس ، فقل إنصافه ، وكثر طمعه وجمعه للمال من أي وجه كان ، وبالله المستعان .

ومع ذلك فلقد بكى بعده على زمانه ؛ وأقول كما قيل :

قالت الضفدع قولاً ... فهمته الحكماء

في فمي ماء ، وهل ينـ ... ـطق من في فيه ماء [1]

(الرمل)

ونعته طبقة المماليك بأجمعهم بالعجز وعدم الأهلية لما يتولونه من الوظائف والولايات ، من خلال نعيه على « الظاهر خشقدم » إسناد نيابة « طرابلس » إلى « قانباي الحسني » ، أحد أمراء الطبلخانات ، قائلاً :

« . . . وفيه في يوم الخميس العشرين منه استقر في نيابة طرابلس قانباي الحسني - أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة - دفعة واحدة من غير تقدم ولا ترشح لذلك ، بل ولا أهلية ، وعد ذلك من النوادر . . . وأعيب على الظاهر خشقدم هذه الفعلة ، لعظم جلالة هذه الوظيفة ، لأنه لم يعهد - قط - في دولة من الدول ولي طرابلس إلا مقدمي الألوف بمصر . . . ويا ليت في هذا كان قانباي هذا ممن له أهلية من جهة أخرى لفضيلة أو معرفة أو ذكر حسن لصيت وسمعة أو غير ذلك مما يكون مندوحة حتى يقال : روعي ذلك المعنى المكمل له ، فلهذا وليها ، بل كان في غاية الإهمال ؛ والله الأحد صدق الصادق المصدوق : إذا وسد الأمر لغير أهله ، فانتظروا الساعة .

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ٩٣ أ .

على أن هذه الطائفة كلها غير آهلة لذلك ، لكن الفحش في هذا أظهر وأكثر وأكبد » [١] .

بل وعده عاطفة الحزن لدى بعض السلاطين لفقد الأبناء من النوادر ، يكشف عن ذلك قوله في « الظاهر خشقدم » وقد حزن حزناً شديداً لفقده ابنته « فرج » في طفولتها :

« . . . فأسف عليها جداً حين ماتت ، حتى أبطل خدمة يوم الاثنين من كثرة أسفه عليها واشتغال باله بها ، وحزن عليها حزنه الشديد الذي ما عهد بمثله من سلطان على ولد له كبير ذكي فضل ، فضلاً عن ابنة صغيرة ، وعد ذلك من النوادر » [٢] .

ونعيه على الجلبان « تمردهم وتنمردهم » ، قائلاً :

« . . . ونودي بزينة القاهرة لدوران المحمل على ألعادة ، فزينت وفشا في هذه الزينة التشويش على الناس من الجلبان الخشقدمية ، وأخذوا في التمرد والتنمرد ، حتى زادوا بعد ذلك عن الحد . . . وقاسى الناس أنواعاً من الشدائد ، وصاروا يخطفون العمائم ، وفعلوا أشياء لا تحد ولا تعد ولا تحل ولا تجوز . . . ولكن عاجلهم الله ـ تعالى ـ فأخذ أستاذهم قبل كمال السنتين من بداية أمرهم وشرهم ، وإلا كان الحال قد عظم » [٣] .

وهنا نجدنا مع « عبد الباسط ـ الحنفي » أمام نقد مركب ، تتراءى من خلاله العناصر الآتية :

أ ـ إنكاره على الجلبان أفعالهم التي «لا تحل ولا تجوز» .

ب ـ جعله موت أستاذهم « الظاهر خشقدم » عقابا من الله لهم على أفعالهم ؛ لما في ذلك من كسرتهم ، وفي نسبة الظلم إليهما : « وبلغ السلطان ذلك فمال مع مماليكه وراعى جانبهم » .

جـ ـ تقديره لما سوف يحدث لو لم يكن ما حدث : « وإلا كان الحال قد عظم » .

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١١٨ ب .
(٢) نفسه ج ٣ ق ١٢٥ أ .
(٣) نفسه ج ٣ ق ٩٦ ب .

ونعتـه على المباشـرين اختلاس الأمـوال والمبالغـة في تحصيلهـا ، من خلال حديثه عن مصادرة « ابن العيني » ، قائلاً :

« . . . فكان مجموع ما أخذ منـه أولاً وآخراً نحـو الثلاثمـائة ألف دينـار وخمسين ألف دينار ؛ فانظر إلى هذه الأموال التي يملكها هؤلاء وكيف ملكوها ، ومن أين كان الأمر في ذلك ، وكيف حسابهم عند الله ، فإنا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » [١] .

ونعتـه لهم برءوس الـظلمة واستحـلاله معـاقبتهم في الدنيـا والآخرة ، قائلاً :

« . . . وفيه قبض السلطان على زين الدين الأستادار ، ومجد الدين ابن البقري ، فألزم زين الدين بحمل مائة ألف دينار وابن البقري بحمل أربعين ألف دينار ، فصالح المجد عن ذلك بخمسة آلاف دينار ، وأما الزين فصمم على أنه لا موجود له غير داره .

وفيه في يوم السبت سادسه سجن الشرف موسى ابن كاتب عريب بالبرج من القلعة ، بعد أن حمل إليه من داره في قفص حمال لتمرضه .

وكل هذه الامتحانات بواسطة يشبك من مهدي ، فإنه السبب في ذلك ، بل هو الفاعل لها ، مع تقدير الله ـ تعالى ـ ذلك في الأزل ، لكن جـرت على يدي هذا ، فعليه إثمها .

وأما المفعول معهم ذلك فقد ركنوا للذين ظلموا ، فلا عجب أن يحل بهم ذلك ، ولو أحرقوا فضلاً عن الضرب والحبس وأخـذ المال ، بـل هم ـ أيضاً ـ رءوس الظلمة ، فلا جرم عاقبهم الله في الدنيا ، ونعوذ بالله مما لهم في الآخرة إن لم يلطف الله بهم » [٢] .

وهكذا ، نجدنا ـ كذلك ـ مع « عبد الباسط ـ الحنفي » أمام نقد مركب ، أشير من خلاله إلى الموجب لمعاقبة هؤلاء المصادرين ، فضلاً عن الكشف عن العامل الـرئيس فيما نزل بهم « وكل هذه الامتحانات بواسطة يشبك من مهدي ،

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٨٠ ب .

(٢) نفسه ج ٤ ق ٢١٨ .

فإنه السبب في ذلك ، بل هو الفاعل لها » ، ونعت الطبقة الحاكمة (السلطان والأمراء) بالظلم « فقد ركنوا للذين ظلموا » .

واللافت للانتباه أن « عبد الباسط ـ الحنفي » وقد جوز ما حل بهم وزيادة ، فإنه اعتبر « يشبك من مهدي » آثماً بما فعله فيهم « فعليه إثمها » .

وغمزه العلماء من خلال حديثه عن جشع السلطان وحرصه على تحصيل الأموال من ذوي اليسار « من التجار والمقطعين » ومن الأوقاف ، قائلاً :

« . . . وبلغ الناس ذلك ، فباتوا في ليلة شديدة ، وانزعجوا وأهالهم ما سمعوه من ذلك ، لا سيما أهل الأموال ، فإنهم أيقنوا ، بل عرفوا بأن أموالهم أخذت من أيديهم لما تحققوا من طمع السلطان ومن عدم اكتراثه بأحد ولا مشورته لأحد ولا قبوله شفاعة أحد ، إلى غير ذلك ، من خلال ما يعرفون ويتحققون أنهم لا قدرة لهم ولا لغيرهم على مخالفته ورد كلمته . **وأساء الكثير من الناس الظن بغالب من تسموا بالعلماء في هذا الزمان ، لما يعلمونه منهم من ميلانهم لأغراض الأتراك ، لا سيما السلطان ، فترادفت الهموم على كثير من الخلائق ، بل على الجميع** ، حتى أهل الذمة ، وكانت هذه الحادثة من أقبح الكائنات في هذا العصر »[(١)] .

د ـ الإنصاف في النقد :

حرص « عبد الباسط ـ الحنفي » على الإفصاح منذ البداية عن توخي الإنصاف في النقد ، مشيراً إلى ذلك من خلال مقدمة كتابه بقوله : « . . . وأسأله ـ تعالى ـ الهداية للنطق بما يليق ، والابتعاد عن الإفحاش وهضم الناس ، والإرشاد لإعطاء كل ذي حق حقه من غير تعصب ولا اختلاس »[(٢)] . ولذا نراه قد سلك في تحقيق ذلك مسلكين ، تمثلا في الكشف عن محاسن ومساوىء مترجمه ، للتعرف على الجوانب السالبة والموجبة فيه ؛ أو مناقشة مصادره فيما أمدته به من تقاويم .

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٨٣ أ .
(٢) نفسه ج ١ ق ٢ أ .

١ ـ الموازنة بين المحاسن والمساوىء :

ويمثل ذلك قوله مقوماً تصرفات « يشبك من مهدي » :

« . . . وكان من أفعاله ما يشكر عليه ، ومنها ما يذم عليه » (١) ، مثبتاً في الجانب الأول قمعه المفسدين من العربان ـ وإن يكن ذلك « بضروب من الأفعال الغير جائزة شرعاً » ـ مما أمن البلاد ، وقلل من الفساد ؛ وفي الجانب الثاني ظلمه وجوره وعسفه في تحصيل الأموال « بدون وجه حق » محاباة للسلطان .

٢ ـ مناقشة مصادره فيما أمدته به من تقاويم وأحكام :

ومن ذلك قوله في ولاية « الشمس القاياتي » للقضاء :

« . . . ولما ذكر ابن تغرى بردى ولاية القاياتي قال : وظن كل أحد أنه يسير في القضاء على قاعدة السلف ، لما عهدوا منه . قال : فوقع الخلاف (لـ) ما كان في الظن ، ومال إلى المنصب وراعى الأكابر من النواب ، وظهر منه الميل الكلي إلى الوظيفة ، حتى لو عزل منها مات أسفاً عليها ؛ انتهى كلامه .

وهو كلام في غاية الفضول وقلة الأدب والخطأ ، لا طائل تحته ، إذ علم القاياتي وخيره ودينه وتقنعه وعفته ظاهر لكل أحد ، وليس مقام ابن تغرى بردى أن يذكر مثل هذه الكلمات عن ذلك الرجل » (٢) .

وقوله مترجماً « كزل العجمي » وقد حط عليه « البدر العيني » في عقد الجمان :

« . . . أقول : رحم الله البدر ، فإنه ما أنصف ، ولا يخل كلامه من التحامل في هذا الرجل الجليل القدر . . . وهو مشهور على كل حال مترجم على لسان الحافظ ابن حجر وغيره ، ممن شهر بالحفظ والعلم » (٣) .

وقوله مترجماً « الظاهر يلباي » :

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ق ٢٥٠ أ .

(٢) نفسه ج ١ ق ٣٤ أ .

(٣) نفسه ج ١ ق ٤٠ ب .

« . . . ولما ذكر الجمال ابن تغرى بـردى هذا الأمـر وهذه القصـة نسب العجز والتقصير للظاهر يلباي هذا ، فقال : وما ذاك إلا لعدم معرفته وسوء سيرته وضعفه عن تدبير الأمور وبث القضايا وتنفيذ الأحكام وأحوال الدولة وقلة عقله ، فإنه كان في القديم لا يعرف إلا بيلباي تلي، أي مجنون ، وهذه شهرته قـديماً وحديثاً في أيام شبيبته ، فما بالك به وقد شاخ وكبر سنه وذهل عقله ، وقل سمعه ونظره ؛ هذا ما قاله .

وهو كلام في غاية التحامل والاعتساف وقلة الأدب والإنصاف ، بـل في غاية السفالة والفشالة وعدم معرفة الأحوال والحدس الثاقب ، على أن قائله كان يدعي معرفة أحوال الترك على ما هم عليه على ما ينبغي ، فليت شعري كيف لم يكن تمريغاً مساوٍ لهذا في ذلك حتى لما تـرجمه جعله أفضـل من بني أيوب ! والحال أنه كان في سلطنته دون يلباي هذا ، بل كانت قوة الجلبان فيها فوق ما كانت في سلطنة يلباي ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وحاشى يلباي هذا من سوء السيرة وضعف التدبير ، إذ لم يعلم عليه ذلك ، وما كان إلا مسدداً في سيرته ، محمودة من الأغوات القرانصة قديماً ، ومن أكابر الأمراء ذوي الحنكات حديثاً ، ذا رأي وتدبير ، ولو لم يكن من رأيه إلا ما دبره وتواطىء مع يشبك الفقيه وطائفة المؤيدية عليه ما عرفته ، لولا عدم مساعدة المقادير له ، وإلا فكان ذلك غاية في التدبير ، وكان خيراً ديناً سليم الباطن والفطرة ، حسن العقيدة والاعتقاد عارفـاً بطرائق الملوك . . . .

وما لقب بالمجنون إلا لشجاعته وإقدامه وقوله الحق وعدم مداهنته ، وإلا فلو كان مجنوناً بالمعنى الذي قاله هذا المؤرخ لما جازت بيعته بالسلطنة ، فعلم أن المراد من تلقبه بذلك لأجل نوع حدة كانت في مزاجه ، وجرأة ، وإقدام ، حتى شبه بالمجنون ، بل ما قاله هذا المؤرخ يؤدي إلى الطعن في أهل الحـل والعقـد والأئمة والقضـاة والعلماء ، بـل والأمـراء والجنـد ، حيث ولـوا عليهم مجنوناً .

وبالجملة هذا كلام لا على طريقة الإنصاف ، بل الإنصاف خلافه .

على أن يلباي هذا كان هو السبب الأعظم في إخراج الوالد من القـاهرة بمالاتـه عليه عند الظاهر خشقدم لأمر ما أوجب له ذلك بعد صحبة أكيدة كانت

بينهما . ومع ذلك فالحق لا يضيع ، وهو أولى بأن يتبع ، والإنصاف لا يترك بين أهله لأجل الغرض ، لا سيما من هو بصدد كتب تواريخ الناس ، فإنه ينبغي أن يترك غرضه في مثل ذلك بمعزل .

وجل غرض ابن تغري بردى في ذم يلباي كونه قطع نفقة أولاد الناس في حين سلطنته ، فكان الجمال هذا من جملة من قطعت نفقته ، على أن قطع النفقة لم يكن مضافاً ليلباي ، لا سيما على ما اعترف به الجمال هذا وزعمه بأنه لم يكن ليلباي هذا من الأمر شيء ، بل كان قطعها مضافاً إلى المدبر في المملكة وهو خيربك إذ ذاك .

ثم ذكر الجمال هذا حكاية ذكرها عن برسباي قرا لما أن بعث إليه بإخراجه من المخبأة والتوجه به إلى البحرة كما قلناه، وتلك الحكاية إن صحت فما أراد بها يلباي إلا إظهار الاستكانة ، لا سيما في مثل هذا المقام الذي الغالب فيه التلف والإهلاك لا الإبقاء ، لأنه القياس الغالب في مثل سلطنة يلباي هذا ، لا سيما وله حزب وطائفة وشوكة ، وهو من الأكابر ومن الجراكسة ، فأخذ في غلبة الظن في تلافي شيء ربما يكون سبباً لبقاء مهجته ، فما تكلم به مما أعابه به الجمال هذا إنما هو من الحزم وغاية التدبير ، يظهر هذا للناقد البصير ، ولمن له معرفة ببعض التدبير . . . فيكون ذلك مما يمدح به يلباي هذا ، لا مما يذم به ، فإنه من التدبير ومن الحيل النافعة في محلها ، لا من قبيل العجز الحقيقي ، وهو ظاهر جداً .

وأما ذهول عقل يلباي فلم نسمع به ، ولقد رأيته مراراً قريباً من سلطنته وكالمته فلم يظهر لي بل ولا لغيري في عقله قصور ولا ذهول ولا ضعف بصره ولا سمعه ، بل كان عاقلاً وافر العقل والمعرفة ، مدبراً سميعاً بصيراً ولا خلل في شيء من ذلك عنده .

ولولا الخوف من الإطناب لذكرت نقض كل فصل فصل مما قاله الجمال هذا على حدة ، لكن لا غرض لنا إلا في التكلم بالإنصاف ، لا سيما في مقام تواريخ ما يضاف إلى الناس ، سيما الملوك والسلاطين »[1] .

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ق ١٦١ .

وهكـذا ، فإن « عبـد البـاسط ـ الحنفي » قـد اعتنى في هـذا المـوضـع بإنصاف مترجمه ، معللاً لتحامل مصدره عليه ، وحيفه في تقويمـه له ، مفنـداً دعواه بما خبره فيهما ؛ ثم هو ينص على نزاهته مؤكداً من خلال مناقشته لتقويم مصدره ، واضعاً قاعدة هامة في هذا المجال ، تتمثل في ضرورة التزام المؤرخ عند الشروع في تأريخه بالتجرد من الهوى والمحايدة ، على النحو المفهوم من قوله :

« . . . ومع ذلك فالحق لا يضيع ، وهـو أولى بأن يتبـع ، والإنصاف لا يترك بين أهله لأجل الغرض ، لا سيما من هو بصدد كتب تواريخ الناس ، فإنه ينبغي أن يترك غرضه في مثل ذلك بمعزل » .

* * *

تقويم مادة الكتاب

لا ريب في أن « الروض الباسم » من المصادر الرئيسة في مجال التأريخ للدولة المملوكية الثانية ، سواء بتصويبه للكثير من الأخطاء التي وقعت فيها بعض المصادر المعاصرة ، بل ومناقشتها فيما أوردته من تقاويم وأحكام ، أم بالتأريخ لما عايشه « عبد الباسط ـ الحنفي » من حوادث ، توخى في إيرادها الصدق ، إذ لم تكن عاطفته مع « طبقة المماليك » ، وإن لم يكن ذلك حائلاً دون إنصافهم ، كما أنه يعد مصدراً رئيساً فيما أمدنا به من معلومات عن المغرب العربي والأندلس ، مستمدة من المشاهدة والمعايشة ، وكذا فيما بث في مادته من جوانب السيرة الذاتية لمؤلفه ووالده « خليل بن شاهين » وإن انفرد في مواضع يسيرة من حولياته بحوادث لا يشركه في إيرادها مصدر ، ومن ذلك قوله فيما نقله عن والده بأن « الظاهر جقمق » تسمى عند سلطنته بمحمد ، عازماً على إبطال اسم « جقمق » بالكلية ، وكاد ذلك أن يتم لولا تثنية بعض « الأقباط » له عن ذلك ، موهماً إياه « بأنه متى فعل ذلك ظن الظان ـ ولا سيما النائي ـ أن هذا المسمى بهذا الاسم ليس من الأتراك ، وأن جقمق لم يتسلطن ، فيطمع الطامع لعدم شوكة السلطان المسمى بهذا الاسم وشهرة شوكة الأتراك »[1] .

* * *

(١) المصدر السابق ج ١ ق ٢ ب .

الفصل الثالث

غاية السؤل في سيرة الرسول (*)

تنظيم الكتاب ، ومحتواه :

الكتاب موضع الدراسة مؤلف لطيف الحجم ، اقتضبت فيه جوانب من حياة الرسول - ﷺ - وسيرته اقتضاباً ، فتشابه إلى حد كبير وغيره من المختصرات في السيرة ، السابقة عليه ، المفردة بالتأليف ، كمختصرات « ابن فارس » (ت ٣٩٥ هـ . / ١٠٠٤ م .) ، و« ابن العربي » (ت ٦٣٨ هـ . / ١٢٤٠ م .) ، و« الشريف الدمياطي » (ت ٧٠٥ هـ . / ١٣٠٦ م .) ، و« العز ابن جماعة » (ت ٧٦٧ هـ . / ١٣٦٦ م .) ، أو المتصدرة لمعاجم التراجمات ، كالوافي بالوفيات « للصلاح الصفدي » (ت ٧٦٤ هـ . / ١٣٦٣ م .) ، والكتب الفقهية ، كزاد المعاد « لابن قيم الجوزية » (ت ٧٥١ هـ . / ١٣٥٠ م .) .

وهو مشتمل على مقدمة ، وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما ستة وعشرين فصلاً .

أما المقدمة ، فقد أشير فيها إلى محتوى الكتاب وطبيعة مادته ، بقول

(*) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . محتفظ به لدى مكتبة « أحمد الثالث بتركيا » تحت رقم (١/٢٨٠٣) ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ، ذات الرقم (٣٤٩ - تاريخ) ، ويقع في ثمان وعشرين (٢٨) ورقة ، ذات وجهين ، مسطرتها حوالي تسعة أسطر في الصفحة الواحدة ، كتبت بخط نسخي حسن ، ومشكول ، مع مراعاة تساوي المسافات المتروكة بين الأسطر ، وفي هوامش الصفحات .

وكان الكتاب قد طبع في « الأستانة » سنة ١٣٢٨ هـ ، اكتفاء بتحرير نص هذا المخط . دون تحقيقه ، فأتت هذه الطبعة في سبع وعشرين (٢٧) صفحة فقط ، ذات قطع صغير .

مؤلفه : « . . . هذه رسالة شريفة ، (و) تحفة منيفة ، تشتمل على نبذة مختصرة من سيرة نبينا . . . جمعتها على طريقة الاختصار ، نزهة لذوي الألباب والأبصار » (١) .

وأما الفصول ، فقد تتبع في أولها نسبه ـ عليه السلام ـ إلى ادم ، وقد نبه من خلاله إلى نهي الرسول ـ ﷺ ـ عن تجاوز « معد بن عدنان » في نسبه ، لكذب النسابين فيما عدا ذلك من النسب ، واختلافهم فيه .

وتتبع في ثانيها نسب أمه ـ عليه السلام ـ إلى « مرة بن كعب » ، حيث التقت والرسول في نسبه ، مشيراً إلى وفاتها في طفولته .

وذكر في ثالثها أعمامه ، وفي رابعها عماته ، محصياً لهم .

وأجمل في الفصل الخامس أحواله ـ عليه السلام ـ في مكة ، منذ مولده حتى هجرته إلى المدينة ، مشيراً إلى وفاة أبيه فأمه ، ومرضعته ، وحاضنته ، وكفالة جده فعمه أبي طالب له ، وخروجه إلى الشام ، وزواجه من خديجة ـ رضي الله عنها ـ ومشاركته في إعادة بناء الكعبة ، ونبوته ، مع ذكر أوائل المؤمنين برسالته ، المقرين لنبوته ، من النساء والصبيان والرجال والموالي ، وبثه للدعوة سراً فجهراً ، وهجرة بعض أصحابه إلى « الحبشة » فراراً بدينهم من أذى المشركين ، ووفاة زوجه وعمه أبي طالب ، منبهاً من خلال ذلك إلى حوادث « شق الصدر » ، و « إسلام جن نصيبين » ، و « الإسراء والمعراج » ، مقدراً في كثير من هذه العناصر لسنه ـ عليه السلام ـ ، أو مؤرخاً لها بالمبعث .

بينما خصص الفصل السادس للطور المدني من حياة الرسول ـ ﷺ ـ ودعوته ، مشيراً من خلاله إلى مبايعة الأنصار له ، وهجرته إلى المدينة ، مؤرخاً للهجرة ، مقدراً لسنه ـ عليه السلام ـ آنذاك ، وما تبع ذلك من بناء مسجده ـ ﷺ ـ ومساكنه ، ولحوق « علي بن أبي طالب » به ، « وكان قد تأخر بمكة لرد ما كان عنده (ـ عليه السلام ـ) من ودائع الناس » ، مؤرخاً بسني الهجرة لتسع مسائل فقهية ، هي : إتمام صلاة الحضر ، وتحول القبلة ، وفرض صوم رمضان ، وزكاة الفطر ، وتحريم الخمر ، وصلاة الخوف ، وفرض

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ٢ .

الحج ، وصلاة الاستسقاء ، واتخاذ المنبر ، واصفاً له بأنه « كان درجتين وبسطة ، وزاد فيه معاوية لما ولي ست درجات » .

وأجمل في الفصل السابع غزواته وبعوثه (سراياه) ، مسمياً لتلك الغزوات التي قاتل فيها .

وذكر في الفصل الثامن « حجه واعتماره » ، مقرراً أنه « حج ـ عليه السلام ـ قبل أن يُفْرض الحج مرتين ، وبعد أن فُرِضَ مرة واحدة ، وهي التي تعرف بحجة الوداع . . . أما عمره فكانت أربع ، كلها في ذي (الـ) قعدة » .

وجعل الفصل التاسع لأوصافه الخِلْقية ، منتهياً إلى أنه ـ عليه السلام ـ كان « أكمل العالم ، وأجمله ، وأحسنه خَلْقاً وخُلقاً »

وعدد في الفصل العاشر أسماءه ، مشيراً إلى أن « كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى » .

وفي الفصل الحادي عشر ، يشير إلى أخلاقه ، ناعتاً لها بأنها « أخلاق حسان ، لا تعد ولا تحد » .

وفي الفصل الثاني عشر ، يتحدث عن زوجاته ـ عليه السلام ـ وقد تقرر لديه أنه مات عن تسع ، « وهو من خصوصياته » ، وأن « جملة من خطبها وتزوجها ـ أيضاً ـ ثلاث وعشرون امرأة » .

وفي الفصل الثالث عشر يذكر أولاده ، مشيراً إلى أنهم كانوا « ثمانية ، أربعة من الذكور ، وأربع من البنات » .

وفي الفصل الرابع عشر ينبه إلى أن أصحابه ـ عليه السلام ـ « كانوا جماعة كثيرة ، اختلف في عددهم ، من عشرين ألف إلى أكثر من ذلك ؛ وأجلهم العشرة المشهود لهم بالجنة » .

وفي الفصل الخامس عشر يذكر ما أسماهم بالنجباء من أصحابه ـ ﷺ ـ حاصراً لهم باثني عشر نفراً .

وفي الفصل السادس عشر يشير إلى كتابه من أصحابه ـ ﷺ ـ ، دون استيعاب لهم ، أو تعيين لمهامهم ، مكتفياً في ذلك بذكر أسماء بعضهم .

وفي الفصل السابع عشر ، يذكر أسماء بعض ممن كان يضْـرب الأعناق بين يديه عليه السلام .

وفي الفصل الثامن عشر يذكر رسله ـ عليه السـلام ـ وقصاده إلى الملوك والأمراء بالنواحي والجهات .

وفي الفصل التاسع عشر يعطي قائمة بأسماء عبيده وجـواريه وخـدمه . دون استيعاب لهم ، أو تعيين لمهامهم .

وفي الفصـل العشرين يعـطي ـ كذلـك ـ قائمـة بحرسـه ـ ﷺ ـ وخدمـه الأحرار ، جاعلاً الحرس « ثمانية » ، والخدم « أحد عشر نفراً » .

وفي الفصل الحادي والعشرين يذكر مراكيبه ودوابه .

وفي الفصـل الثاني والعشـرين يشير إلى سـلاحه ـ عليـه السـلام ـ على اختلاف أنواعه ، بين : سيف ، ورمح ، وعنزة ، ومحجن ، ومخصرة ، وجعبة للسهام ، وترس ، ودرع ، ومغفر . . . منبهاً إلى مصدر تملك بعضه .

وفي الفصل الثالث والعشرين يعدد أنواع ثيابه ـ عليه السلام ـ وأثاثه .

وفي الفصـل الرابـع والعشرين ينبـه إلى الكثير ممـا شاع من معجـزات النبي ـ ﷺ ـ وخصائصه .

وفي الفصل الخامس والعشرين يؤرخ لوفاته ـ عليه السلام ـ مقدراً لسنه حـالها ، منبهـاً إلى أثر ذلـك على أصحابـه ، مبرزاً دوري أبي بكـر الصـديق والعباس عم الرسول ـ رضي الله عنهما ـ في تسكين جأش الصحابة .

وفي الفصـل السادس والعشـرين يشير إلى مـا تبع الـوفاة من غسـل ، وتكفين، وصلاة عليه، ودفن، محدداً لأسماء من تولى غسله، معيناً لموضع قبره.

أما الخاتمة ، فقد أشار فيها إلى انتهاء مادة الكتاب ، قائلاً : « . . . وهذا آخر ما قصدناه من بيان سيرة نبينا ـ ﷺ ـ على جهة الاختصار والاقتصار ، وبالله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق ، وهو ولينا ، عليه توكلنا » .

أسلوب الكتاب :

أنشأ مؤرخنا كتابه هذا بعبارة بسيطة وواضحة ، غير مسجوعة أو متكلفة ،

وبألفاظ دقيقة متخيرة ، تميل إلى الفصحى في كثير من المواضع ، لكن أفسده كثرة ما انتشر فيه من أخطاء اللغة والنحو ، أو اعتراه من تصحيف أو تحريف في كثير من الأعلام المذكورين فيه ، وما وقع فيه ـ كذلك ـ من سهو في مواضع يسيرة .

أما **أخطاء اللغة والنحو** ، فيمثلها قوله :

ـ « . . . وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ : لا تجاوزون (= تجاوزوا) معد بن عدنان ، كذب النسابون » (١) .

ـ « . . . فأنزل الله ـ تعالى ـ في حقه : تبت يدي (= يدا) أبي لهب » (٢) .

ـ « . . . ووافقت ليلة مولده اليوم الثاني والعشرين من نيسان سنة اثنين (= اثنتين) وثمانين وثمانمائة للإسكندر ذي القرنين . . . وكان المشترى وزحل في ثلاث درج (= درجات) من العقرب . . . وتكلموا على أحكام هذا الطالع بكلام كثير ، ليس هذا محل (= محلاً) لبيانه » (٣) .

ـ « . . . ومات وله من العمر مائة وعشرة (= مائة وعشر) سنين . . . وقرن به ـ حينئذٍ ـ إسرافيل إلى أن بلغ اثني عشر (= اثنتي عشرة) سنة . . . ثم عاد من سفرته (و) تزوج خديجة بنت خويلد ، وكان سنه خمس (= خمساً) وعشرين سنة ، تزيد شيئاً » (٤) .

ـ « . . . وأسرى به إلى البيت المقدس (= بين المقدس) » (٥) .

ـ « . . . ودخلها يوم الاثنين ، نصف النهار ، لاثني عشر (= لاثنتي عشرة) ليلة خلت من ربيع المذكور » (٦) .

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ٤ ب

(٢) نفسه ق ٥ ب .

(٣) نفسه ق ٦ ب .

(٤) نفسه ق ٧ ب ـ ٨ أ .

(٥) نفسه ق ٩ .

(٦) نفسه ق ١٠ أ .

- « . . . كان اتخاذ المنبر ، وكان درجتين وبسطة ، وزاد فيه معاوية لما ولى ست درج (= درجات) »[1] .

- « . . . هاولا (= هؤلاء) التسعة (= التسع) اللاتي مات عنهن عليه السلام »[2] .

- « . . . فهم بالإسلام ، فلم توافقه (= يوافقه) أصحابه »[3] .

- « . . . كان مواليه نحواً من ثلاثين نفراً . . . ومن الإناث نحواً من عشرة (= عشر) »[4] .

- « . . . كان له حرساً (= حرسٌ) يحرسونه في أسفاره »[5] .

- « . . . : كان له تسع (= تسعة) سيوف . . . وكان لـه من القسني أربعة (= أربع) . . . وكان له منطقة من أديم (= أدم) مبشور »[6] .

- « . . . وتفله في البئر المالحة ، فحلت (= فحليت) »[7] .

- « . . . مرض عليه السلام لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة أو أحد عشر (= إحدى عشرة) فتمرض »[8] .

على حين يبدو التصحيف أو التحريف في قوله :

- « . . . وتزوج إساف (= شراف) أخت دحية الكلبي . . . وأسماء بنت كعب الجوينية (= الجونية) ، وعمرة بنت زيد (= يزيد) ، وغالية (= العالية) بنت ظبيان »[9] .

---

(١) المصدر السابق ق ١١ أ .
(٢) نفسه ق ١٦ أ .
(٣) نفسه ق ١٩ .
(٤) نفسه ق ٢٠ .
(٥) نفسه ق ٢١ أ .
(٦) نفسه ق ٢٢ ب - ٢٣ أ .
(٧) نفسه ق ٢٥ أ .
(٨) نفسه ق ٢٦ أ .
(٩) نفسه ق ١٦ ب .

- « . . . ونزل بقباء على ابن أم مكتوم (= على كلثوم) بن الهدم » [1] .
- « . . . وعامر بن فهثرة (= فهيرة) » [2] .
- « . . . وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح (= الأقلح) » [3] .
- « . . . عبد الله بن حذيفة (= حذافة) السهمي » [4] .
- « . . . وأنيسة (= أنسة) ، وأعتقه » [5] .
- « . . . وزيد ، جد هلال بن يساف (= يسار) ، وأبو عبيدة (= وعبيد) ، . . . وعسيب (= وأبو عسيب) ، . . . وأم رافع ، وسلمى (= وأم رافع ، سلمى) » [6] .

ويبدو السهو في قوله :
- « . . . وضرار ، وهو (شقيق) العباس » [7] .
- « . . . أفصح الأنام لساناً ، وأقواهم جأشاً وجنا (نا) » [8] .
- « . . . وثلاثة أخر من غنائم (بني) قينقاع » [9] .
مسقطاً ما بين الأقواس .

وفضلاً عن ذلك ، فإنه لقب بعض الصحابة بـ « السيد » ، على غير إلفٍ سابقٍ من المصادر ، قائلاً :

« . . . ولهذا دهش جماعة من صحابته ، فمنهم من حصل عنده حالة تشبه الجنون ، وغيبوبة العقل ، كما وقع للسيد عمر . . . وأما السيد عثمان . . . »[10].

* * *

---

(1) المصدر السابق ق ١٠ أ .
(2) نفسه ق ١٨ ب .
(3) نفسه ق ١٩ أ .
(4) نفسه ق ١٩ ب .
(5) نفسه ق ٢٠ ب .
(6) نفسه ق ٢٠ ب - ٢١ أ .
(7) نفسه ق ٥ ب .
(8) نفسه ق ١٣ أ .
(9) نفسه ق ٢٢ ب .
(10) نفسه ق ٢٦ أ .

اعتمد مؤرخنا ـ رحمه الله ـ اعتماداً رئيساً في جمع مادة كتابه على مصدرين اثنين ـ فقط ـ وهما : « الـروض الأنف » للسهيلي (ت ٥٨١ هـ . / ١١٨٥ م .) ، و« الـوافي بـالـوفيـات » لـلصفـدي (ت ٧٦٤ هـ . / ١٣٦٣ م .) ، مصـرحاً بـالنقل عن أولهما في موضع واحد[(١)] ، مغفلاً التصريح بثانيهما[(٢)] .

وهو لا يضيف ـ غالباً ـ إلى مادة هذين المصدرين جديداً ، بل هو مقتضب لها ، كما لم يعن بنقد أو تقويم ما ورد فيهما من آراء ، أو حتى ترجيح رأي على آخر ، إلا في موضع واحد ، ورد لديه على النحو التالي :

« . . . وذكر السهيلي في كتابه الروض الأنف أن الله ـ تعالى ـ أحيا له والدته ووالده ، فأسلما على يديه ، ثم ماتا .

ومن العلماء من قال : إنهما ماتا في زمن الفترة ، وأمرهما إلى الله سبحانه .

والأول ليس بكثير من معجزاته عليه السلام » [(٣)] .

* * *

(١) المصدر السابق ق ٤ ب .

(٢) استفيد ذلك من المقارنة بين مادة الكتاب وما ورد في المصادر ، حيث وجد أن مؤرخنا قد اعتمد اعتماداً رئيساً في بناء مادة الفصول : التاسع عشر ، والثاني والعشرين ، والثالث والعشرين على الوافي بالوفيات للصفدي . (راجع : ج ١ ص ٨٧ ، ٩١ ـ ٩٢ ، ٩٣ على التتابع ، مقارناً بمادة هذه الفصول المذكورة) .

(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ٤ ب ـ ٥ أ .

تقويم مادة الكتاب

تبرز مادة الكتاب - على اقتضابها وقلة مواردها - الكثير من الجوانب المهمل ذكرها في المصادر المطولات ، سواء ما كان منها داخلاً في مجال السيرة أو في غيره من الفنون التأليفية الأخرى ، مع عمدها إلى التبسيط والإيضاح ، لكونها - غالباً - قوائم حصر ، جمعت فيها المادة مجردة ومقتضبة ، وإن شاع فيها الكثير من مواطن الوهم والخطأ ، والتناقض ، أو عدم الاستيعاب .

أما مواطن الوهم والخطأ ، فتتمثل في :

* إشارته إلى أن « أبا لهب » كان شقيقاً « لحجل » ، قائلاً : « . . . وأبو لهب ، واسمه عبد العزي ، وهو شقيق حجل »[(١)] .

ذلك أن أم أبي لهب هي : « لبنى بنت هاجر بن عبد مناف » ، بينما اختلف لدى المصادر في أم حجل تبعاً للاختلاف في كونه غير الغيداق ، أو كونهما واحداً .

ومن أشار إليهما باثنين . جعل أم حجل : « هالة بنت أهيب ، أو وهيب » ، وأم الغيداق : « ممنعة بنت عمرو بن مالك »[(٢)] .

* إشارته إلى أن أم سلمة - زوج النبي ﷺ - ابنة عمته « عاتكة » ، قائلاً : « . . . وعاتكة ، وتزوج - ﷺ - بابنتها أم سلمة بنت أبي أمية »[(٣)] .

---

(١) المصدر السابق ق ٥ ب .
(٢) راجع : ابن هشام . السيرة ج ١ ص ١٠٩ - ١١٠ ، البلاذري . انساب الأشراف ج ١ ص ٩٠ ، ابن عساكر . تاريخ دمشق (السيرة) ج ١ ص ٩٥ - ٩٦ .
(٣) عبد الباسط - الحنفي . غاية السؤل ق ٥ ب .

بينما هي ابنة زوجها « أبي أمية بن المغيرة » من « عاتكة بنت عامر » (١) .

* إشارته إلى ما ذكره « السهيلي » من إحياء أبوي الرسول - ﷺ - وإسلامهما على يديه ، مرجحاً .

إذ ما كان أحرى به أن لا يخوض في ذلك ، وقد صرح « السهيلي » في صدر ما نسب إليه بغرابته وتشكك في صحته ، على النحو الآتي :

« . . . وروى حديث غريب لعله أن يصح ، وجدته بخط جدي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي - رحمه الله - بسند فيه مجهولون . ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد ، يرفعه إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أخبرت أن رسول الله - ﷺ - سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له ، وآمنا به ، ثم أماتهما ، والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيه - عليه السلام - أهل أن يخصه بما شاء من فضله ، وينعم عليه بما شاء من كرامته » (٢) .

وقد زاد السيوطي ذلك بياناً بقوله :

« . . . وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم ، منهم ابن شاهين ، والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، والسهيلي ، والقرطبي ، والمحب الطبري ، والعلامة ناصر الدين ابن المنير ، وغيرهم ، واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ ، والخطيب البغدادي في السابق واللاحق ، والدارقطني وابن عساكر - كلاهما في غرائب مالك - بسند ضعيف عن عائشة . . . ضعيف باتفاق المحدثين ، بل قيل : إنه موضوع ، لكن الصواب ضعفه لا وضعه » (٣) .

كما أن الثابت في الصحيح فيما رواه « مسلم » (٤) عن أبي هريرة - رضي

---

(١) ابن حبيب . المحبر ص ٢٧٤ .

(٢) السهيلي . الروض الأنف ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) السيوطي . مسالك الحنفا في والدي المصطفى (ضمن الحاوي للفتاوي) ج ٢ ص ٤٤٠ .

(٤) مسلم . الجامع الصحيح ج ٢ ص ٦٥ (كتاب الجنازة ، باب استئذان النبي - ﷺ - ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه) .

الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي » .

* تصريحه بأن « عبد الله » ـ والد النبي ﷺ ـ « كان يكنى أبا أحمد » (١) .

ووجه الخطأ في ذلك بين ، إذ إن كان « عبد الله » قد مات والنبي ـ ﷺ ـ جنيناً ، فإنه لا يعقل أن يتكنى بولده ، وإن كانت وفاته والنبي في المهد ، فإن كنيته « بأبي أحمد » لا تصح ـ كذلك ـ لأنها مؤسسة على تسمية للنبي ـ ﷺ ـ من قبل القرآن ـ الكريم ـ وقد كانت بعثته ـ عليه السلام ـ بعد وفاة أبيه .

* تصريحه برؤية الرسول ـ ﷺ ـ لله سبحانه ، قائلاً : « . . . ثم ركب البراق ، وعرج به إلى السماء ، ثم ارتفع حتى دنا من ربه فتدلى ، ورأى ربه ـ جل وعلا ـ وشاهد عجائب الملكوت » (٢) .

إذ رؤية الله ـ سبحانه ـ محالة على البشر في الدنيا مهما ارتقوا في الإجلال والتعظيم ، ولقد حكى القرآن ـ الكريم ـ ذلك ، قائلاً :

﴿ لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ﴾ (١٠٣ : الأنعام) .

﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب أرني أنظر إليك . قال : لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ، وخر موسى صعقاً ، فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك ، وأنا أول المؤمنين ﴾ (١٤٣ : الأعراف) .

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ، إنه علي حكيم ﴾ (٥١ : الشورى) .

ويبدو أنه ومن انزلق في هذا المنحى قد التبس عليهم قول الله ـ عز وجل ـ في سورة النجم (٨ ـ ١٨) : **﴿ ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو**

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ٧ أ .

(٢) نفسه ق ٩ ب ، ٢٥ ب .

أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، آفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ .

ذلك أن الرؤية المثبتة للنبي ـ ﷺ ـ ليست لله ، ولكن لعظمته في ملكوته ، حيث شاهد « فرساً أخضر سد أفق السماء » ، أو رأى « جبريل ـ عليه السلام ـ في صورته (خِلْقته التي خُلِقَ عليها) ساداً ما بين الأفق » .

وها هو حديث « عائشة » ـ رضي الله عنها ـ يجلي لنا ذلك :

« عن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة ، فقالت : يا أبا عائشة ، ثلاث من تكلم بواحدة منهم فقد أعظم على الله الفرية . قلت : ما هن ؟ قالت :

من زعم أن محمداً ـ ﷺ ـ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية .

قال وكنت متكئاً فجلست ، فقلت : يا أم المؤمنين ، انظريني ولا تعجليني . ألم يقل الله عز وجل : **﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾** ؟ **﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾** ؟ قالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ، ساداً عظيمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض . . . » (1) .

* تقديره لعدد الصحابة بعشرين ألفاً فأكثر ، قائلاً : « . . . كانوا جماعة كبيرة ، اختلف في عددهم ، من عشرين ألفاً إلى أكثر من ذلك » (2) .

إذ أن العدد المذكور لديه ـ مع ما صحبه من الاحتياط ـ أدنى بكثير مما

---

(1) راجع : البخاري . الصحيح ج ٤ ص ٢٣٧ (كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين) ، ج ٦ ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠ (كتاب التفسير ، باب سورة النجم) ، ج ٩ ص ٢٠٧ (كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : عالم الغيب) ، مسلم . الجامع الصحيح ج ١ ص ١٠٩ ـ ١١١ (كتاب الإيمان ، باب سدرة المنتهي ، وباب معنى قول الله عز وجل : ولقد رآه نزلة اخرى) ، أبا الشيخ الأصبهاني . كتاب العظمة ج ٢ ص ٧٨٨ ـ ٧٨٩ ، ج ٣ ص ٩٧٧ ـ ٩٧٨ .

(2) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ١٧ ب .

ورد في المصادر بشأنهم ، حيث أحصاهم الإمام « الشافعي » « بستين ألفاً ، « ثلاثون ألفاً بالمدينة ، وثلاثون ألفاً في غيرها » (١) .

كما أحصاهم الحافظ « أبو زرعة الرازي » بمائة ألفٍ وأربعة عشر ألفاً ، منهم أكثر من مائة ألفٍ رأوه ـ عليه السلام ـ ورووا عنه (٢) .

والحق أن في صحابته ـ عليه السلام ـ كثرة تُبْعِد الإحاطة بعددهم .

* قوله : « . . . وكان له سرير ، وقطيفة ، وخاتم (من) فضة ، وقيل : من حديد ملوي بفضة ، مكتوب عليه بالنقش : محمد رسول الله » (٣) .

وهو قول يوحي بأن « الخاتم » واحد قد اختلف فيه ، لكّن الوارد في المصادر يوحي بالتعدد ، ومنه قول « ابن جماعة » :

« . . . واتخذ رسول الله ـ ﷺ ـ خاتماً من ذهب ، ثم رمى به ، ونهى عن التختم بالذهب ، ثم اتخذ خاتماً من فضة ، ونقشه : محمد رسول الله ، وهو الذي تختم به بعد النبي ـ ﷺ ـ أبو بكر وعمر ثم عثمان ، ثم سقط من عثمان في بئر أريس ، ولم يقدر عليه .

وكان له خاتم من حديد ملوي عليه فضة ، نقشه : محمد رسول الله .

وقيل : كان له خاتم من ورق ، فصه حبشي ، بعث به إليه معاذ بن جبل من اليمن » (٤) .

---

(١) ابن الجوزي . تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٠٣ ، ابن كثير . الفصول في سيرة الرسول ص ٢٧٧ .

(٢) ابن كثير . نفسه ، ابن حجر . الإصابة ج ١ ص ٢ .

(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ٢٤ أ .

(٤) ابن جماعة . المختصر الصغير في سيرة البشير النذير (مخطط . بغداد كشك) ق ٢٩ ب ـ ٣٠ أ .

وراجع : ابن سعد . الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٧١ ـ ٤٧٧ ، البخاري . الصحيح ج ٧ ص ٢٧٥ ـ ٢٨٨ ، مسلم . الجامع الصحيح ج ٦ ص ١٤٩ ـ ١٥٢ ، ابن الجوزي . الوفا بأحوال المصطفى ص ٥٨٥ ـ ٥٨٧ ، النويري . نهاية الأرب ج ١٨ ص ٢٩١ ، ابن سيد الناس . عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٩ ، الصالحي . سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٥١١ ـ ٥١٨ ، ٥٢٣ ـ ٥٢٨ .

* ما تردد لديه من « كلام البهائم الخرس ، كالظبي ، والضب ، والثعبان ، والجمل ، والذراع المسموع » [1] مخاطبةً للرسول ـ ﷺ .

أما « كلام الظبي » ، فقد ورد في حديث من موضوعات الرواة ، رددته بعض المصادر ، مفاده أن « زيد بن أرقم » ـ رضي الله عنه ـ (والرواية مسندة إليه) ـ «كان مع النبي ـ ﷺ ـ في بعض سكك المدينة ، فمرا بخباء أعرابي ، فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء . فقالت : يا رسول الله ، إن هذا الأعرابي صادني قبيلاً ، ولي خشفان (ولدان) في البرية ، وقد تعقد هذا اللبن في أخلافي (حلمتي ثدييّ) ، فلا هو يذبحني فأستريح ، ولا يدعني فأذهب إلى خشفي في البرية . فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ : إن تركتك ترجعين ؟! قالت : نعم ، وإلا عذبني الله عذاب العشار (صاحب المكس) . فأطلقها رسول الله ـ ﷺ ـ فلم تلبث أن جاءت تلمظ (تخرج لسانها ماسحة به شفتيها) ، فشدها رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الخباء ، وأقبل الأعرابي ومعه قربة ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : أتبيعنيها ؟ (للظبية) ، قال : هي لك يا رسول الله . فأطلقها رسول الله ﷺ » [2] .

وأما « **كلام الضب** » ، فقد تردد ـ كذلك ـ في المصادر استناداً إلى حديث مستشنع من موضوعات الرواة ، مفاده أن أعرابياً من بني سليم ـ أصاب ضباً وجعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيأكله ـ جاء النبي ـ ﷺ ـ والنبي في محفل من أصحابه ، فكذب به ، وصرح بأنه لن يؤمن إلا أن آمن الضب ، وقد طرحه بين يديه ـ عليه السلام ـ فقال النبي ـ ﷺ ـ للضب : « يا ضب » . فتكلم الضب بلسان عربي مبين يفهمه القوم جميعاً . : « لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين » . فقال له عليه السلام : « ومن تعبد يا ضب ؟ » قال : « الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ،

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ٢٤ ب .

(٢) راجع : أبا نعيم . دلائل النبوة ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ، البيهقي . دلائل النبوة ج ٦ ص ٣٤ ـ ٣٥ ، القاضي عياض . الشفا ج ١ ص ٤٤١ ـ ٤٤٢ ، ابن الجوزي . الوفا ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، ابن منظور . مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، ابن سيد الناس . عيون الأثر ج ٢ ص ٢٨٧ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ٦ ص ١٤٧ ـ ١٤٩ ، السيوطي . تخريج أحاديث شرح المواقف ص ٤٤ ـ ٤٦ ، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ .

وفي النـار عذابـه » . قال : « فمن أنـا يـا ضب ؟ » قـال : « أنت رسـول رب العالمين ، وخاتم المرسلين ، قد أفلح من صدقك ، وقد خاب من كذبك » . فقال الأعرابي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله حقاً ، والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إليّ منك ، والله لأنت الساعة أحب إليّ من نفسي ومن ولـدي ، وقـد آمنت بشعـري وبشـري وداخلي وخـارجي وسـري وعلانيتي ، ثم انصرف إلى قومه وقد علمه النبي ـ ﷺ ـ ﴿ الحمد ﴾ و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، فأخبرهم خبره ، فأسلم على يديه ألف أعرابي ، على ألف دابة ، بـألف رمح ، وألف سيف ، ووفـدوا على الرسـول ـ ﷺ ـ فجعلهم تحت راية خالد بن الوليد (١) .

ولقد أبان « ابن قيم الجوزية » (ت ٧٥١ هـ . / ١٣٥٠ م .) في رسالة لـه عن وهن هذين الحـديثين ، وغـرابتهمـا ، ومـا فيهمـا من نكـارة ، مشيـراً ـ كذلك ـ إلى ضعف إسنادهما (٢) .

أما « الثعبان » ، فإنه لم يُنْسب إليه فيما تحت يـديّ من مصادر مخـاطبة للرسول ـ ﷺ ـ ، وكل ما هنالك أن ثعباناً دخل أحد خفيه ـ عليه السلام ـ فجاء غـراب فاختـطفه ، وحلق بـه في السماء ، فـانسكب منه الثعبـان ، فقيل : إن رسول الله ـ ﷺ ـ حين رأى ذلك قال : « هذه كرامة أكرمني الله ـ تعالى ـ بها ، إني أعوذ بك من شر من يمشي على رجلين ، ومن شر من يمشي على أربع ، ومن شر من يمشي على بطنه » (٣) .

وأما « الجمل » ، فقد ورد فيه أنه جاء حتى وضـع رأسه في حجـر النبي ـ ﷺ ـ والنبي في المسجد ، وجرجر . فقال النبي ـ ﷺ ـ : « إن هـذا الجمل

---

(١) راجع : أبا نعيم . دلائل النبوة ص ٣٧٧ ـ ٣٧٩ ، البيهقي . دلائـل النبوة ج ٦ ص ٣٦ ـ ٣٨ ، الماوردي . أعلام النبوة ص ١٢٠ ـ ١٢١ ، القاضي عياض . الشفا ج ١ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ، ابن الجوزي . الوفا ص ٣٣٦ ـ ٣٣٩ ، ابن منظور . مختصر تـاريخ دمشق ج ٢ ص ١٤٥ ـ ١٤٧ ، ابن سيد الناس . عيون الأثر ج ٢ ص ٢٨٧ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ٦ ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ، السيوطي . الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٢) راجع : ابن قيم الجوزية . فوائد في الكلام على حديث الغمامة وحديث الغزالة والظبي وغيره . مخط . الظاهرية رقم : (٥٤٨٥ ـ عام) .

(٣) راجع : ابن الجوزي . الوفا ص ٣٣٢ ، ابن منظور . مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ١٤٧ .

يزعم أنه لرجل ، وأنه يريد أن ينحره في طعام عن أبيه الآن ، فجاء يستغيث » . فقال رجل : يا رسول الله ، هذا جمل فلان ، وقد أراد به ذلك . فدعا النبي - ﷺ - الرجل فسأله عن ذلك ، فأخبره أنه أراد ذلك به ، فطلب منه النبي - ﷺ - أن لا ينحره ، ففعل [1] .

وإن صح هذا الخبر ، يكون وجه الإعجاز في معرفة النبي - ﷺ - بمفهوم جرجرة الجمل ، فضلاً عن إتيانه إليه شاكياً أو مستعطفاً ، وليس في كلام الجمل ، إذ لم يثبت له تكلماً .

أما التصريح بكلام « الذراع المسموم » ، فيبدو أنه مأخوذ من قول « ابن سعد » (ت ٢٣٠ هـ . / ٨٤٥ م .) في الطبقات الكبرى :

« . . . كان رسول الله - ﷺ - لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية ، فأهدت إليه يهودية شاة مصلية ، فأكل رسول الله - ﷺ - منها هو وأصحابه ، فقالت : إني مسمومة . فقال لأصحابه : ارفعوا أيديكم فإنها قد أخبرت أنها مسمومة » [2] .

لكن لم يصرح « البخاري » (ت ٢٥٦ هـ . / ٨٧٠ م .) و« ابن هشام » (ت ٢١٨ هـ . / ٨٣٣ م .) بنطق الشاة أو ذراعها بذلك ، فعبارة الأول هي :

« . . . لما فُتِحَت خيبر أهديت للنبي - ﷺ - شاة فيها سم ، فقال النبي ﷺ : اجمعوا إليّ من كان ههنا من يهود ، فجمعوا له ، فقال لهم : إني سائلكم عن شيء ، فهل أنتم صادقي عنه ؟ فقالوا : نعم . . . قال : هل جعلتم في هذه الشاة سماً ؟ قالوا : نعم . قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذباً نستريح ، وإن كنت نبياً لم يضرك » [3] .

---

(١) راجع : ابن سعد . الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٨٦ ، أبا نعيم . دلائل النبوة ص ٣٨١ - ٣٨٣ ، القاضي عياض . الشفا ج ١ ص ٤٤٣ ، السيوطي . تخريج أحاديث شرح المواقف ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢) ابن سعد . الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٧٢ .

(٣) البخاري . الصحيح ج ٤ ص ٢١٢ (كتاب الجزية ، باب إذا غدر المشركون هل يعفى =

وعبارة الثاني هي :

« . . . فلما اطمأن رسول الله ـ ﷺ ـ أهدت له زينب بنت الحارث ـ امرأة سلام بن مشكم ـ شاة مصلية ، وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع . فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ـ ﷺ ـ تناول الذراع ، فلاك منها مضغة ، فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ـ ﷺ ـ فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله ـ ﷺ ـ فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر » (١) .

وهكذا ، فإن التصريح « بالإخبار » في هذا الموضع « مجازي » ، إذ أنه ـ عليه السلام ـ لاك منها مضغة فلم يسغها ، فكأنه عرف أنها مسمومة بحاسة التذوق .

* تصريحه بأن علياً ذهب يلتمس منه ـ عليه السلام ـ ما يلتمس من الميت حال غسله ، « فلم يخرج منه شيء ، وفاحت رائحة طيبة فوق رائحة المسك والعنبر ، وكل رائحة ذكية ، فامتلأت بها أرجاء المدينة ، حتى لم يبق بها دار إلا شُمت بها هذه الرائحة » (٢) .

إذ المروي في هذا الباب أن علياً لما غسل النبي ـ ﷺ ـ ذهب يلتمس منه ما يلتمس من الميت ، فلم يجده ؛ دون تصريح بفوح هذه الرائحة المنعوتة لدى مؤرخنا ، أو إشارة إلى اتساع مداها (٣) .

= عنهم) ، ج ٥ ص ٢٩٠ (كتاب المغازي ، باب الشاة التي سمت للنبي ـ ﷺ ـ بخيبر) ، ج ٧ ص ٥٥ (كتاب الطب ، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ) .

(١) ابن هشام . السيرة ج ١ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

(٢) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ٢٧ ب ـ ٢٨ أ .

(٣) راجع : ابن سعد . الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٧٧ ـ ٢٨٠ ، ٢٨١ ، البيهقي . دلائل النبوة ج ٧ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ابن الجوزي . الوفا ج ٢ ص ٧٩٤ ـ ٧٩٥ ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٣٢ ، ابن منظور . مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٣٩١ .

وهكذا ، فقد وقع مؤرخنا في الوهم والخطأ مشتركاً مع كثير من المصادر ، أو متفرداً .

على حين تمثلت مواضع التناقض في الآتي :

* إشارته في الفصل الأول من الكتاب إلى وفاة أم النبي - ﷺ - وهي « في نفاسها به » (١) ، ثم تصريحه في الفصل الخامس منه بأنها ماتت « وهو ابن أربع سنين ، وقيل : ست سنين » (٢) .

* تصريحه في نهاية الفصل الثاني عشر بأن جملة من « خطبها وتزوجها » - عليه السلام - « ثلاث وعشرون امرأة » (٣) . مناقضاً بهذا الإحصاء العددي ما أورده قبله ، إذ الأزواج اللاتي مات عنهن « تسع » ، وغيرهن ممن أحصين لديه « تسع » ، والمخطوبات « أربع » ، وعلى ذلك فإنهن ينقصن « واحدة » ، ليصبحن « اثنتين وعشرين امرأة » ، وليس « ثلاثاً وعشرين » كما ورد لديه .

ويصح هذا الإحصاء - وإن تناقض مع ما جاء قبله - بإضافة « ريحانة بنت زيد » إلى أزواجه - عليه السلام - وقد اختلف في كونها سرية له أم زوجاً .

ويبدو أن إحصاء أزواج النبي - ﷺ - مما لم تتفق عليه المصادر ، للاضطراب في صحة زواجه - عليه السلام - ممن لم يدخل بهن .

فبينما يشير ابن أبي زيد القيرواني إلى أنه - ﷺ - تزوج بأربع عشرة امرأة كلهن من العرب إلا صفية (٤) ، يشير الطبري إلى أنه - عليه السلام - تزوج بخمس عشرة امرأة ، دخل بثلاث عشرة منهن ، وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفي عن تسع (٥) ، ويشير أبو عبيدة إلى أنه - ﷺ - تزوج ثماني عشرة امرأة (٦) .

---

(١) عبد الباسط - الحنفي . غاية السؤل ق ٤ ب .
(٢) نفسه ق ٧ أ .
(٣) نفسه ق ١٦ ب .
(٤) ابن أبي زيد القيرواني . الجامع ص ١٣٠ .
(٥) الطبري . التاريخ ج ٣ ص ١٦٠ - ١٦١ ، ابن كثير . تحفة الطالب ص ١٢٦ .
(٦) أبو عبيدة تسمية أزواج النبي ص ٤٥ .

على حين يرى التقي الفاسي أن أزواجه ـ عليه السلام ـ اللاتي عقد عليهن أو خطبهن أو عرضن عليه ولم يدخل بهن خمس وثلاثون [1] ، ويذهب ابن سيد الناس [2] وابن شاكر الكتبي [3] وابن جماعة [4] ـ فيما نقلوه عن الشرف الدمياطي ـ إلى أن « من لم يدخل بهن ، ومن وهبن أنفسهن له ، ومن خطبها ولم يتفق تزويجها فثلاثون امرأة ، على اختلاف في بعض » .

* ويلحق بهذين الموطنين من مواطن التناقض لديه تصريحه في الفصل الأول من الكتاب بنهي الرسول ـ ﷺ ـ عن مجاوزة « معد بن عدنان » في نسبه ، وسياقه ـ مع ذلك ـ نسبه ـ عليه السلام ـ إلى « آدم » ـ عليه السلام ـ متعمداً ، كما يفهم من قوله :

« . . . ونحن نذكر النسب إلى عدنان ، ومنه إلى آدم ـ عليه السلام ـ متصلاً ، ونتكلم على ما فيه وفي أسمائه ، بخلاف ما اشتهر من الكلام ، فنقول : . . . » [5] .

أما « **عدم الاستيعاب** » ، فهو سمة مشتركة بين كثير من فصول الكتاب ، تبرز كأوضح ما تكون في عزوفه عن جمع الآراء الواردة في المسائل المبحوثة لديه ، اكتفاء ـ في معظمها ـ بالرأي الواحد ، المتبوع بقوله : « وقيل غير ذلك » [6] ، أو « وقيل أكثر من ذلك » [7] ، وفي قوائم الحصر المثبتة في بعض فصول الكتاب ، ومنها **الفصل السابع** المخصص لغزواته وبعوثه ـ ﷺ ـ وقد اكتفى فيه بالإحصاء العددي لكل منهما ، مع تسمية تلك التي قاتل فيها بنفسه فقط . **والفصل السادس عشر** ، المعدد لكتابه ـ ﷺ ـ وقد أغفل فيه ذكر : « إبان بن سعيد بن العاص » ، و« الحصين بن نمير » ، و« خالد بن الوليد » ، و« عبد الله بن زيد بن عبد ربه » ، و« العلاء بن عقبة » ، و«ومعيقيب بن أبي

---

(١) التقي الفاسي . العقد الثمين ج ١ ص ٢٧٣ .
(٢) ابن سيد الناس . عيون الأثر ج ٢ ص ٣٠٩ .
(٣) ابن شاكر الكتبي . عيون التواريخ ج ١ ص ٤١٩ .
(٤) ابن جماعة . المختصر الصغير ق ١٦ ب .
(٥) عبد الباسط ـ الحنفي . غاية السؤل ق ٣ أ .
(٦) نفسه ق ١٧ ب ، ق ٢١ ب ، ق ٢٦ ب .
(٧) نفسه ق ٢٠ .

فاطمة » ، و « المغيرة بن شعبة »(1) . كما لم يعن بتحديد مهام كل منهم (2) . **والفصل التاسع عشر** ، والذي ذكر فيه عبيده - ﷺ - وجواريه وخدمه ، مفرداً لأسمائهم - غالباً (3) - دون استيعاب لجلهم ، أو تعيين لوظائفهم . **والفصل الثاني والعشرين** ، وقد فاته أن يذكر فيه الكثير من سلاحه - عليه السلام - كالضمضامة ، واللحيف ، والعضب ، والمثوى ، والبتراء ، والخرنق ، وذات الحواشي ، وذات الوشاح ، وفضة ، والموشح ، والمسبوغ . . . كما لم يسم أكثره . **والفصل الثالث والعشرين** ، والذي لم يستوعب فيه - كذلك - ما كان مملوكاً له - عليه السلام - من ثياب أو متاع .

* * *

---

(1) المصدر السابق ق ١٨ ب ، مع المقارنة بما ورد بشأنهم في كلٍّ من : البلاذري . أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٣١ - ٥٣٢ ، الطبري . التاريخ ج ٣ ص ١٧٣ ، ابن قدامة . التبيين في أنساب القرشيين ص ٧٣ - ٧٥ ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣١٣ ، ابن العربي . اختصار سيرة الرسول (مخط . الخالدية بالقدس) ق ٤٣ - ٤٤ ، النووي . تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٩ ، البري . الجوهرة ج ٢ ص ٨٨ ، ابن منظور . مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٤٦ ، النويري . نهاية الأرب ج ١٨ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ابن قيم الجوزية . زاد المعاد ج ١ ص ٢٩ - ٣٠ ، الصفدي . الوافي بالوفيات ج ١ ص ٨٩ ، ابن جماعة . المختصر الصغير ق ١٨ ب ، ابن كثير . الفصول في سيرة الرسول ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، الخزاعي . تخريج الدلالات السمعية ص ١٥٩ - ١٧٦ ، ابن قنفذ . وسيلة الإسلام بالنبي ص ٧٨ - ٧٩ ، التقي الفاسي . العقد الثمين ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(2) يعد الجهشياري (الوزراء والكتاب ص ١٢ - ١٤) من أوسع المصادر المعتنية بذكر كتاب النبي - ﷺ - مع تعيين مهام الكثيرين منهم .

(3) من أكثر المصادر إفادة في التعريف بمثل هذه الأسماء المفردة : ابن روح البرديجي . كتاب فيه طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث . ت . سكينة الشهابي . دمشق ، طلاس ، ١٩٨٧ .

الفصل الرابع

المجمع المفنن بالمعجم المعنون «١»

معجم في ترجمات أعيان عصر مؤرخنا، ابتدأ جمعه في مستهل جمادي الأولى سنة تسع وثمانين وثمانمائة للهجرة [٢] (١٤٨٤ م .) ، وفرغ من تأليفه حوالي

(١) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . مكتبة بلدية الإسكندرية، ذات الرقم : ٨٠٠ ب ، وتقع في (٢٦٩) ورقة ، مزدوجة الصفحات ، مقاسها نحو : ٢٨ ×١٩ سم ، ومسطرتها نحو : ٣٣ سطراً ، كتبت بخط نسخي واضح ، أضيف إليها ورقتان أتت أولاهما في أولها ، وقد كتب عليها بخط مغاير : « هذا كتاب تاريخ العالم العلامة ، والبحر الفهامة ، شيخ الإسلام ، الشيخ عبد الباسط بن خليل » ، كما أتت ثانيتهما في آخرها ، وقد كتب عليها بخط مغاير كذلك : « المقدس . رضي الله عنه ، ونفع بعلومه في الدين والدنيا والآخرة ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

وبهذا تكون هذه المخطوطة قد فقدت صفحة الغلاف ، وانخرم آخرها في أثناء ترجمة « جانبك من ططخ المؤيدي ، المعروف بالفقيه » ، من حرف الجيم ، إذ المقطوع به أن مؤرخنا لم ينه حرف الجيم بهذه الترجمة ، كما لم ينه مؤلفه بهذا الحرف ، كما هو مفهوم من كثير من الإحالات إلى ترجمات تأتي في باقي حرف الجيم ، وفي سائر الحروف حتى الياء .

(٢) استفيد ذلك من قوله في مقدمة الكتاب (نفسه ق ١ أ) : « . . . وكان ابتدائي لجمعهم في مستهل جمادي الأولى سنة تسع وثمانين وثمانمائة » ، ومن التنبيه على ذلك في أثناء بعض ترجمات الكتاب ، كنحو قوله (نفسه ق ١١١ أ) مترجماً الشهاب الصفدي : « . . . مات في آخر نهار يوم الاثنين ، سادس جمادي الأولى سنة تسع وثمانين وثمانمائة ، وهي السنة التي ابتدأنا فيها جمع معجمنا هذا » .

وقوله (نفسه ق ١٢٨ ب) مترجماً ابن حمود : « . . . وكانت ولايته له (للقضاء) في يوم الخميس ، ثامن جمادي الآخرة سنة تسع وثمانين وثمانمائة ، وهي سنة ابتدائنا في جمع معجمنا هذا » .

وقوله (نفسه ق ٢٥٨ أ) مترجماً تنم الأعرج : « . . . مات في سنة جمعنا هذا المعجم ، في يوم الأربعاء من جمادي الآخرة (كذا) سنة تسع وثمانين وثمانمائة » .

سنة ثلاث وتسعمائة للهجرة [1] (١٤٩٧ ـ ١٤٩٨ م .) ، مزيداً في مادته كلما دعت الحاجة إلى ذلك [2] ، وقد ترجم فيه للأحياء ، ولمن أدركتهم الوفاة ابتداء بسنة أربع وأربعين وثمانمائة للهجرة (١٤٤٠ م .) ، وإن ذكر فيه بعض المتوفين قبل هذه المدة ، لبيان لبس في تأريخ وفياتهم [3] ، أو « على وجه التضمين لفائدة أو لنكتة ، أو للتفنن والتحسين » [4] . مقتبساً أكثر مادته من مؤلفة « الروض الباسم » ، وهو ما يشير إليه في مقدمته بقوله :

= وقوله (المصدر السابق ق ٢٦٦ ب) مترجماً جانبك مس تمرباي الأشرفي: «. . . ولم يلبث أن مات في يوم الثلاثاء ، رابع عشر جمادي الأولى سنة تسع وثمانين وثمانمائة ، وهي السنة التي اعتنينا فيها بجمع معجمنا هذا » .

(١) استفيد هذا من قوله (نفسه ق ١٣٤ ب) مترجما أحمد الرملي :

« . . . مات أحمد الرملي ـ هذا ـ بعد مدة من تصنيف تاريخنا هذا ، بالطاعون ، بطرابلس . . . في أوائل جمادي الأولى سنة ثلاث وتسعمائة » .

(٢) حيث زاد في كثير من ترجمات الأحياء ، الذين أدرك وفاتهم بعد ترجمته لهم ، أو تنقلوا في العديد من الوظائف بعد ترجمتهم ، كنحو قوله مترجماً البرهان اللقاني (نفسه ق ٢٨ أ) :

« . . . وهو موجود الآن ، حرس الله تعالى مهجته ، وأدام بهجته ، وحفظه وتولاه ، ومتع بطول بقاه .

ثم بعد مدة من هذه الترجمة تولى تدريس التفسير بالبرقوقية ، ورتب له السلطان على الذخيرة مبلغاً يحمل إليه في كل سنة ، وصار يذكره بجميل ، ويتفقده ، ويسأل عنه ، وكان حصل له ضعف في بصره لازمه وطال به ، ثم تمرض مدة . . . ومات بعدما بقي بزيادة على العشرين يوماً ، في يوم الثلاثاء ، يوم عاشوراء ، عاشر محرم سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وبعث السلطان يطلب جنازته ، فحضرت إلى سبيل المؤمني ، ونزل فصلى عليه ، وحملت إلى تربة الصوفية فدفن بها ، رحمه الله تعالى » .

وقوله (نفسه ق ١٧٩ أ) مترجماً الماس الأشرفي قايتباي :

« . . . ثم بعدما أتممنا ترجمته ورد الخبر بأنه مات في كائنة جرت بين العساكر المصرية وبين علاء الدولة ، سنة تسع وثمانين وثمانمائة » .

(٣) كنحو قوله (نفسه ق ١٧٠ أ) مترجماً آقبغا التركماني :

« . . . وورد الخبر إلى القاهرة بموته في محبسه من قلعة الكرك ، أظن في أواخر ذي القعدة من سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ، أما ذو قعدة فمظنون ، وأما السنة فمحققة .

وذكره الحافظ ابن حجر في تاريخه ، في وفياتها ، وذكر بعضهم وفاته في سنة أربع وأربعين ، وقد وهم .

وإنما ذكرنا ترجمته ، وإن كانت على غير ما شرطناه في تاريخنا هذا ، أننا لا نذكر من تقدم على سنة أربع وأربعين ، للتنبيه على وهم من ذكر وفاته في هذه السنة » .

(٤) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ١ أ .

« . . . وكنت جمعت قبله تاريخاً ، وسميته بالروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، وفرعته في عدة مجلدات ـ وهو بديع الصفات ـ وجردت تراجمه في معجمي هذا ، مع ما أضفته إليه زيادة عليه » [١] .

مرتباً له على مقدمة ، اتبعت بعدد [٢] من الترجمات المتفاوتة ـ من حيث المساحة الشاغلة لها ـ طولاً [٣] وقصراً [٤] ، وإن غلبت على الكتاب سمة التوسط [٥] في الترجمات ، وقد نظمت على حروف المعجم في الاسم العلم [٦] أو الكنية ، أو اللقب .

أما المقدمة ، فقد أشير فيها إلى :

أ ـ عمده في تأليف معجمه ـ هذا ـ إلى الشمول النوعي : « . . . إنني جمعت في معجمي هذا نبذاً من تراجم أبناء عصري الأعيان ، ونبلاء نجباء فضلاء الزمان والأقران ، من علماء وخلفاء وملوك وسلاطين ووزراء وولاة وحكام وقضاة وأمراء ، وغيرهم من طلبة العلم ، وأهل حذق وفهم ، وأدباء

---

(١) المصدر السابق .

(٢) احتوت هذه المخط . موضع الدراسة على (١١٠٤ ترجمة) ، وإن كان من غير الممكن التكهن بالعدد الإجمالي لترجمات الكتاب ، لانخرامها ، على النحو المنبه إليه قبل .

(٣) من نماذج ذلك ترجمة كل من « التقي المقريزي » ، و« الشهاب ابن حجر » ، و« الأشرف إينال » :

راجع : عبد الباسط ـ الحنفي : المجمع المفنن ق ١٠٢ ب ـ ١٠٦ أ ، ١٩٤ أ ـ ١٩٦ ب .

(٤) من نماذج ذلك قوله مترجماً البرهان البغدادي (نفسه ق ١٦ ب) :

« إبراهيم بن عبد الوهاب بن عبد السلام ، برهان الدين البغدادي . ولد سنة خمس وستين وسبعمائة ، ومات سنة خمس وتسعين وسبعمائة » .

(٥) من نماذج ذلك قوله (نفسه ق ٩ أ) مترجماً ابن الصباغ :

« إبراهيم بن سعد بن محمد ، أبو المكارم ، الحضرمي ، المغربي ، الأندلسي ، القاهري ، المالكي ، الشيخ أبو المكارم ، المعروف بالجربي (و) بابن الصباغ .

كان شاباً ذكياً ، فهماً ، فطناً ، يشتغل بالعلم ، وأخذ بمصر عن جماعة ، منهم : السنباطي ، والسنهوري ، وسمع على الفخر الديمي والشمس السخاوي ، وأخذ عنهما ، وأخذ عن جماعة . وورث من أبيه مالاً طائلاً ، فما انتفع به ؛ ومات في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، وكان مبجلاً كأبيه » .

(٦) وإن اختل الترتيب داخل الحرف الواحد ، سواء من حيث تتابع أسماء المترجمين فيه ، أو من حيث الأسبقية بحسب ترتيب أسماء الآباء والأجداد في الأسماء المتشابهة .

وشعراء ، وعدة آخرين من غير من ذكرنا ، ما بين أطباء وحكماء ، وغيرهم ـ أيضاً ـ ممن في تراجمهم نوادر أو غرائب أودعت حكماً ، وفيهم من عنه أخذت ، ومن عني أخذ » (١) .

والحق أنه لم يقصر ترجمات الكتاب على نوع واحد من الأعلام المشاهير ، سواء في الجنس ، أو في الأصل ، أو في الديانة ، أو في المذهب ، أو في المنصب ، أو في الوظيفة ، أو في الحرفة ، أو في العلم والمعرفة . . . وإن آثر الزهاد والمنتمين إلى الخانقاوات ـ خاصة الشيخونية ـ بقسط وافر كماً وكيفاً ، بحكم انتمائه إليهم .

ويلحق بذلك ـ أيضاً ـ الاتجاه نحو « الشمولية المكانية » ، بحيث لم يقصر مادة الكتاب على الترجمة لأعلام « دولة سلاطين المماليك » ـ آنذاك ـ مترجماً لأعلام ـ كذلك ـ ضمتهم الممالك ذات الصلة بها ، سواء في الحبشة (٢) ، أو اليمن (٣) ، والينبوع (٤) ، والبحرين وعمان والأحساء (٥) ، والمغرب العربي (٦) ، والأندلس (٧) ، (أسبانيا) ، وبلاد الروم (٨) .

ب ـ الحيز الزماني ، مشيراً إلى أن ترجمات الكتاب تبدأ بوفيات « سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وهلم جرا إلى هذا الزمان » (٩) .

وهكذا ، فقد ابتدأ الحيز الزماني لدي مؤرخنا في هذا الكتاب بسنة معلومة (٨٤٤ هـ .) ، وظل فضفاضاً ، مجهول النهاية ، حيث ترجم « الأحياء مع الأموات »(١٠)، ومنهم من قدرت وفاته بعد وفاة مؤرخنا ؛

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ١ أ .
(٢) نفسه ق ٨٧ أ .
(٣) نفسه ق ١٦٧ ب .
(٤) نفسه ق ١١٤ ب .
(٥) نفسه ق ٦١ أ .
(٦) نفسه ق ٥٦ أ ، ٩٠ أ .
(٧) نفسه ق ٤٠ ب ، ٥٤ ب ، ٥٧ ب ، ٦٥ أ
(٨) نفسه ق ٥٧ ب ، ٦٧ أ ، ١٣٩ أ .
(٩) نفسه ق ١ أ .
(١٠) نفسه .

ومنهم من أدرك مؤرخنا وفاته ، فزاد في ترجمته مادة مكملة لما ترجمه بها قبل ، بحيث لم تنقطع صلته بالكتاب بعد الفراغ من تأليفه حوالي سنة « ثلاث وتسعمائة للهجرة » ، على النحو المنبه إليه قبل .

جـ - الاستثناء من « القاعدة الزمنية » ، معللاً بقوله : « . . . ولا أذكر من تقدم عن هذه السنة - ٨٤٤ هـ - إلا على وجه التضمين ، لفائدة أو لنكتة ، أو للتفنن والتحسين » (١) .

د - منهجه في ترتيب ترجمات الكتاب : « . . . مرتباً له على حروف المعجم ، على عادة من تقدم ، فأبدأ أولاً بمن اسمه الألف مثلاً . . . » (٢) .

هـ - التأريخ لابتداء شروعه في تأليفه : « . . . وكان ابتدائي لجمعهم في مستهل جمادي الأولى سنة تسع وثمانين وثمانمائة » (٣) .

و - التنبيه على رغبته في « الإنصاف » لمترجميه : « . . . وأرجو الله - تعالى - أنني فيما قلته من المنصفين » (٤) ، « . . . ولم أقصد غيبة ولا نميمة ، والله على ذلك شهيد ، وهو حسبي فيما أحاوله وأريد » (٥) .

ز - تسميته للكتاب : « . . . وسميته : المجمع المفنن بالمعجم المعنون » (٦) .

حـ - استخلاص أكثر مادته من « الروض الباسم » ، على النحو المشار إليه قبل .

وأما الترجمات ، فقد بلغت في هذه القطعة موضع الدراسة (١١٠٤ ترجمة) وزعت على النحو الآتي :

---

(١) المصدر السابق .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه .
(٦) نفسه .

الحرف	عدد الترجمات	النسبة ٪	الحرف	عدد الترجمات	النسبة ٪
أ	٨١٨	٪٧٤,١	ث	٢	٪٠,٢
ب	١٢٨	٪١١,٦	جـ	٤٣ [١]	٪٣,٩
ت	١١٣	٪١٠,٢			
			المجموع ١١٠٤ ترجمة		٪١٠٠

مما يشير إلى عدم اعتنائه بالموازنة بين الحروف المنتظمة لها من حيث الكم المترجم فيها ، وبطبيعة الحال ، فإنه لا تتحقق الموازنة بين الحروف من حيث المساحة الشاغلة لها .

كما أنه لم يعن بالموازنة ـ كذلك ـ بين الترجمات من حيث « نوع الجنس » ، إذ نجد أن النسوة المترجم لهن قد بلغن أربع عشرة ، بنسبة (١,٣ ٪) ، مقابل (١٠٩٠) ترجمة للرجال ، بنسبة (٩٨,٧ ٪) من ترجمات الكتاب . وقد أتت ترجماتهن في سياق ترجمات الرجال على غير إلف كثير من المؤرخين المتقدمين عليه ، المذيلين بترجماتهن على ترجمات الرجال في الحرف الواحد ، أو الجامعين لترجماتهن في حيز واحد ، يأتي ـ غالباً ـ آخر المعجم ، تلو ترجمات الرجال .

وقد يترجم لعلم واحد في موضعين ، تأتي ترجمته في أولهما على سبيل الإيجاز ، وفي ثانيهما متوسطة ، على النحو الوارد في قوله مترجماً ابن القمص : « . . . وسيأتي في الميم بعد هذا بأوسع من هذا ، إن شاء الله تعالى » [٢] .

وقد يضمن ترجمات الآباء ترجمات الأبناء ، أو ترجمات الأبناء ترجمات الآباء ، على النحو المفصح عنه في قوله :

---

(١) مع ملحوظة انخرام هذا الحرف في آخره .

(٢) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ٥٤ أ .

« أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن خضر . يأتي في محمد بن محمد بن خضر والده ، في حرف الميم ، إن شاء الله تعالى » [1] .

وقوله :

« أبو بكر بن علي ، ابن المسند تقي الدين المشهدي ، الشافعي ؛ وهو والد البهاء المشهدي ، الآتي بعد أبي بكر . وسنذكر هذا هناك إن شاء الله » [2] .

عناصر الترجمات :

تتلخص عناصر الترجمات - في المجمع المفنن - وإن لم ترد بهذا الترتيب في :

١ - الاسم :

وهو غالباً ما يتصدر الترجمة ، وقد تسلسل ليشتمل على اسم المترجم له فوالده فأجداده ، كنحو قوله : « إبراهيم بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن قاسم بن خليل بن عبد الخالق بن طاهر بن حسن بن حسين بن جرير بن عبد الله بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء » [3] ، وقوله : « إبراهيم بن علي بن محمد بن سليمان بن عبد المنعم بن إسماعيل بن علي بن عبد المنعم بن أسد بن جميل بن أبي الوحش بن عطاف بن علوان بن أحمد بن ياسر بن سلامة بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن سعد بن عمارة » [4] .

أو يرد ثلاثياً ، وقد ذكر فيه اسم المترجم له فوالده فجده ، كنحو قوله : « إبراهيم بن محمد بن ثابت » [5] ، وقوله : « إبراهيم بن علي بن عمر » [6] .

---

(١) المصدر السابق ق ١٣٢ أ .
(٢) نفسه ق ٤٩ أ .
(٣) نفسه ق ٢ أ .
(٤) نفسه ق ١٨ ب .
(٥) نفسه ق ٣ ب .
(٦) نفسه ق ١٩ أ .

أو يـرد ثنائيـاً ، ليحتوي على اسم المتـرجم له فـوالده ، كنحـو قولـه : « إبراهيم بن بردبك الأشرفي »[١] .

وقد يقتصر في الاسم على العلمْ المترجم له ، مغفلاً اسم الأب والجد ، كنحو قوله : « تغري بردى الطرابلسي »[٢] ، و« تمراز الجلب الأشرفي »[٣] . وغالباً ما يكون ذلك في أسماء أمراء المماليك ، مجهولي النسب لذويهم .

ويلحظ أن مؤرخنا كان دقيقاً في إثبات الاسم ، وتتبـع سلسلة النسب ، حتى مع أخذ مادته عن المترجم له عينه ، أو ذوي قرباه ، أو المصدر الموثوق به ، كما هو مفهوم من قوله مترجماً ابن الميلق : « . . . وفيما ذكرناه من نسبه كلام ، وعنه رفع هذه النسبة . . . وقد طعن فيه جماعة ، بل ذكر غير واحد أنه اختلقه ، وصرح بهـذا عدة من الأكـابر »[٤] ، وقـوله متـرجماً ابن الكـركي : « . . . ومـا ذكرنـاه من نسبه هكـذا وصل إلينـا ، وطعن فيـه بعض الأكـابـر ، والسكات عن ذلك أجمل ، فإنه مشهور »[٥] .

ومن الـطريف أن يـذكـر أن مؤرخنـا لم يكتف في كثيـر من التـرجمـات بانتساب المترجم له إلى والده فأجداده ، عامداً إلى التعريف بأمه كذلك ، كنحو قوله مترجماً « إبـراهيم بن سودون الحنفي » : « . . . وكـانت له والـدة اسمها خاص ، وكانت خيرة دينة ، ولعمتي الست صفية بها معـرفة ، وبينهمـا صحبة وسكون »[٦] ، وقوله مترجماً البرهان ابن الصائغ : « . . . وأمه هي خديجة ابنة محمد بن أحمد المقدسي ، خالة العز قـاضي القضاة إبـراهيم الكناني »[٧] ، وقـوله متـرجمـاً ابن العيني : « . . . وأمـه ابنـة أبـرك الجكمي . . . وستـأتي ترجمتها »[٨] .

---

(١) المصدر السابق ق ٥ أ .
(٢) نفسه ق ٢٢٩ ب .
(٣) نفسه ق ٢٤٥ أ .
(٤) نفسه ق ٢ أ .
(٥) نفسه ق ١٠ ب .
(٦) نفسه ق ٨ ب .
(٧) نفسه ق ٩ ب .
(٨) نفسه ق ٩١ ب .

٢ ـ الكنية :

كنحو قوله : « أبو الفضل » [١] ، و« أبو إسحاق » [٢] ، و« أبو المكارم » [٣] ، و« أبو الحسن » [٤] ... وكثيراً ما يهمل ذكرها .

٣ ـ اللقب :

وهو حريص على إيراد الألقاب ، مع ما يضاف إليها ، غير مقتصر ـ في مواضع كثيرة ـ على لقب المترجم له فحسب ، إذ ـ غالباً ـ ما تتسلسل الألقاب لديه ، كنحو قوله : « ... الشيخ برهان الدين ، ابن المحدث جمال الدين ، ابن الحافظ شهاب الدين » [٥] ، وقوله : « سعد الدين ، ابن فخر الدين ، ابن علم الدين ، ابن رشيد الدين » [٦] .

٤ ـ اسم الشهرة :

وقد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم ، وتكون شهرته بغير لقبه أو كنيته ، ولذا نجد مؤرخنا حريصاً على إثبات اسم الشهرة ، مسبوقاً بقوله : « المدعو بـ ... » ، و« الشهير بـ ... » ، أو « المعروف بـ ... » ، عامداً إلى تفسيره في أحيان كثيرة .

ومن ذلك قوله : « ... المعروف بابن كوهية ، وهو لقب لأمه » [٧] ، وقوله : « ... المعروف بابن الديوان ، والديوان هو والده أبو بكر » [٨] ، وقوله : « ... المعروف بابن المجدي ، وهي نسبة جده طيبغا ، عرف بها » [٩] ، وقوله : « ... الشهير بالحناوي ، نسبة إلى الحناء ، وهو الخضاب

---

(١) المصدر السابق ق ٢ أ .
(٢) نفسه ق ٣ ب .
(٣) نفسه ق ٩ أ .
(٤) نفسه ق ٢٠ ب .
(٥) نفسه ق ١٠ أ .
(٦) نفسه ق ١٥ أ .
(٧) نفسه ق ٨٠ ب .
(٨) نفسه ق ٦٥ ب .
(٩) نفسه ق ٨٧ أ .

المعروف » (١) ، وقوله : « ... المعروف بالشيخ باكير ... وباكير يقال في اصطلاح أهل تلك البلاد الشمالية : أبي بكر » (٢) ، وقوله : « ... المعروف بتلكي ، ومعناه الثعلب بلغة الترك ، كأنه شبه به لبعض أوصاف به تشبه أوصاف الثعلب » (٣) ، وقوله : « ... المعروف بقلقيز ... أي بلا أذن ، لأن إحدى أذنيه كان قطع منها بعضها ـ أقل من النصف ـ في مأتم ببلاد الجركس ، على عادتهم في ذلك حين موت من يعز عليهم » (٤) ، وقوله « ... المعروف بتمساح ... وإنما قيل له تمساح ، لأنه كان في أيام أستاذه يجيد الضرب بالسيف في التماسيح إذا أحضرت إلى السلطان » (٥) .

فإذا ما خفي عليه تفسير اسم الشهرة ، صرح بذلك ، كنحو قوله : « ... المعروف بابن مخلوف ، وما عرفت لماذا قيل له ذلك » (٦) .

وهو حريص ـ كذلك ـ على تصويب اسم الشهرة ، إذا ما اعتراه تحريف من العامة ونحوهم ، كنحو قوله : « ... المعروف بابن كاوان ، بالكاف المفخمة ، والعامة يقولون بالقاف ، وهو غلط ، لأن معناها بالعجمي : أبقار ، جمع بقر ، فإن كاو : البقر » (٧) ، وقوله : « ... المعروف بالمحير على صيغة اسم المفعول ، والمراد منه اسم الفاعل ، لكن استعمل هكذا ، وهو غلط ، وإنما لقب بذلك لكونه كان يلعب الرمح محيرهم في تعليمه إياه » (٨) ، وقوله : « ... المعروف بابن الرُّباط ... والرباط بضم الراء غلط ، عن الرباط بكسرها ، والعوام استعملوها هكذا ، فبقيت على ذلك ، وهو لقب لجده حسن ، وهو اسم لجبل كبير ، والمقاط اسم لجبل صغير ، كان لقب بهذا أولاً ، وهو صغير رقيق ، ثم لما غلظ وكبر لقب بالرباط ،

---

(١) المصدر السابق ق ١١١ ب .
(٢) نفسه ق ٤٤ ب .
(٣) نفسه ق ١٩٢ أ .
(٤) نفسه ق ٢٦٥ أ .
(٥) نفسه ق ١٦٢ ب .
(٦) نفسه ق ١٠٠ ب .
(٧) نفسه ق ١١٣ أ .
(٨) نفسه ق ١٧٩ أ

وحكايته في ذلك مشهورة » (١) ، وقوله : « . . . المعروف بابن القيشاني ، وهو غلط ، من القاشاني ، نسبة إلى قاشان ، وهي معروفة ، من بلاد العجم ، قريباً من مدينة قم » (٢) .

كما أنه معنى بإثبات التغاير في أسماء الشهرة لدى العلم المترجم له ، أو تعددها ، ومنه قوله : « . . . المعروف أولاً بالسفطي ، ثم بإمام الدوادار » (٣) ، وقوله : « . . . المعروف أولاً بطازبين الأتراك ، وبين العامة بالأقرع ، وهو معنى طاز بلغة الترك ، ثم المعروف بالبجمقدار » (٤) ، وقوله : « . . . المعروف بتعريص ، هكذا بالصاد ، وذكر لي بعضهم أنه كان يقال له : تعريف بالفاء ، ثم ذكرت ذلك لمن له خبرة به ، فقال : إن ذلك بالصاد ، وكاد أن يكون من تتمة اسمه ، علماً عليه ، وإنما كان كتاب المماليك يكتبونها بالفاء ويقرءونها حين الاستدعاء له كذلك ، تحشماً منهم عن تلك اللفظة المستهجنة عرفاً ، وما عرفت من هو من كتاب المماليك الذي كتبها كذلك ، فإنها من المستظرفات ، إذ يحصل بالنطق بها الغرض حين استدعائه ، لا سيما بحضور السلطان ، مع التحاشي عن النطق بما يستهجن ويقبح ذكره عرفاً ، وكان ذلك قبل إمرته ، إذ لا استدعاء بعد الإمرة» (٥) . وقوله : « . . . المعروف بالناجي ، وربما عرف بابن المحدث » (٦) ، وقوله : « . . . المعروف بالرملي ، وبابن أبي الحمد تارة ، وبابن الشيخ خليل أخرى ، وهو جده الأعلى المذكور في نسبه » (٧) .

٥ ـ النسبة :

وتكون بنسبة المترجم له إلى القبيلة أو العشيرة ، كنحو قوله :

---

(١) المصدر السابق ق ٢٠ أ .
(٢) نفسه ق ٢٢ ب .
(٣) نفسه ق ٥٥ ب .
(٤) نفسه ق ٢٠٤ أ .
(٥) نفسه ق ٢٤٣ أ .
(٦) نفسه ق ٣٥ أ .
(٧) نفسه ق ١٣٣ ب .

« الصنهاجي الأصل ، الآثاري »[1] ، وقوله : « . . . الأخدري . . . منسوب إلى طائفة يقال لهم : الأخادرة »[2] . أو إلى المحلة والمدينة ، كنحو قوله : « . . . المريني ، نسبة إلى المرية من بلاد الأندلس »[3] . أو إلى أستاذه ، كنحو قوله : « . . . النعماني . . . شيخ الحضور بالزاوية النعمانية ، وخليفة السيد الشريف النعماني ، وإليه نسب بالنعماني »[4] . أو إلى الديانة ، كنحو قوله : « . . . النصراني الأصل »[5] و« . . . اليهودي الإسرائيلي »[6] ، أو إلى المذهب ، كنحو قوله : « الشافعي »[7] و« الحنفي »[8] و« المالكي »[9] و« الحنبلي »[10].

وقد تتوالى النسب إلى المواضع ، ليكون المقصود بالانتساب إلى الأول تحديد الأصل الذي انحدر منه المترجم له ، وبالثاني الموضع الذي ولد فيه ، وبالثالث الموطن الذي رحل إليه واستقر فيه بآخره ، ومنه قوله : « . . . المقدسي الأصل ، الدمشقي ـ الصالحي ، ثم القاهري »[11] ، وقوله : « . . . اللقاني ، القاهري ، الأزهري »[12] .

ويؤيده قوله : « إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن يوسف ، العدل ، برهان الدين ، التروجي الأصل ، السكندري ، القاهري . . . ولد بثغر الإسكندرية . . . وبها نشأ . . . وقدم القاهرة ، فعرض على جماعة من أعيان

---

(١) المصدر السابق ق ٧ ب .
(٢) نفسه ق ٢٨ ب .
(٣) نفسه ق ٣٩ ب .
(٤) نفسه ق ١٧ أ .
(٥) نقسه ق ١٥ ب .
(٦) نفسه ق ٢٢ أ .
(٧) نفسه ق ١١٣ أ .
(٨) نفسه ق ٢٤ أ .
(٩) نفسه ق ٢٨ أ .
(١٠) نفسه ق ٣٥ أ .
(١١) نفسه ق ٩ ب .
(١٢) نفسه ق ٢٨ أ .

علماء ذلك العصر ، واشتغل . . . وأذن له بالشهادة ، فكان يتكسب بها بحانوت بسويقة ابن عبد المنعم ، ونزل في صوفية الخانقاة الشيخونية »[1] .

٦ ـ الألقاب العلمية والصفات الرئيسة :

وقد تتبع هذه العناصر أو تتخللها بعض الألقاب العلمية أو الصفات الدالة على أصالة المترجم له وعراقته ، كنحو قوله مترجماً البرهان الهندي : « . . . الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، المحقق ، المدقق ، النحرير ، الفهامة »[2] ، وقوله مترجماً البرهان ابن مزهر : « . . . الرئيس الفاضل ، البارع الكامل »[3] ، وقوله مترجماً ابن التازي : « . . . الشيخ الولي ، العارف المسلك ، الإمام العالم ، البارع ، الكامل »[4] .

٧ ـ المولد :

كما كان مؤرخنا حريصاً على التحري عن هذا العنصر ، وإثباته ، سواء بسؤال المترجم عينه ، أو ذوي قرباه ، أو نقلاً عن مصادره المكتوبة ، يعكس ذلك تصريحه في مواضع متعددة من ترجمات الكتاب بإخفاقه في ذلك ، كنحو قوله مترجماً البرهان الأطروش : « . . . لم أقف له على مولد لأذكره »[5] ، وقوله مترجماً ابن رضوان الحلبي : « . . . ولم أدر سنة ولادته »[6] ، وقوله مترجماً البرهان السلموني : « . . . ولم أدر مولده »[7] ، وقوله مترجماً البرهان الهيتي : « . . . لم أقف لصاحب الترجمة على مولد لأذكره »[8] .

على أن المواضع المؤرخ فيها للمولد وإن كانت قليلة بالنسبة إلى

---

(١) المصدر السابق ق ٤ ب .
(٢) نفسه ق ١ ب .
(٣) نفسه ق ٢ أ .
(٤) نفسه ق ٢٩ أ .
(٥) نفسه ق ٢ ب .
(٦) نفسه ق ٨ ب .
(٧) نفسه ق ٢٤ أ .
(٨) نفسه ق ٩٥ أ

المواضع المسكوت فيها عنه ، فإنها كثيرة من حيث الكم ، وقد سلك فيها مسالك ، هي :

أ ـ التأريخ للمولد على سبيل الاكتمال ، باليوم من الأسبوع ، فاليوم من الشهر ، فالشهر ، فالسنة ، كنحو قوله : « . . . ولد بثغر الإسكندرية ، في ليلة الخميس ، مستهل ربيع الآخر سنة عشر وثمانمائة »[1] .

ب ـ التأريخ باليوم من الشهر ، فالشهر ، فالسنة ، كنحو قوله : « . . . ولد في عاشر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة »[2] .

جـ ـ التأريخ بالشهر ، فالسنة فقط ، كنحو قوله : « . . . ولد في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة بالقاهرة »[3] .

د ـ التأريخ للمولد اكتفاء بالسنة فقط ، كنحو قوله : « . . . ولد بالقاهرة في سنة تسع وخمسين وسبعمائة »[4] .

هـ ـ التأريخ للمولد على وجه تقريبي ، كنحو قوله : « . . . ولد تقريباً في سنة إحد (ى) وأربعين وثمانمائة بالقاهرة »[5] ، وقوله : « . . . ولد بمصر قبل سنة سبعين وسبعمائة تقريباً »[6] ، وقوله : « . . . ولد في حدوذ سنة سبعين وسبعمائة »[7] ، وقوله : « . . . ولد فيما أظن سنة أربع وثمانين وسبعمائة »[8] ، وقوله : « . . . ولد بعد العشرة وثمانمائة »[9] .

كما كان معنياً بتحديد محل الميلاد، وإثباته كلما تيسر له ذلك، ومنه قوله: « . . . ولد في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة، بجوار الشيخ سيف الدين

---

(١) المصدر السابق ق ٤ ب .
(٢) نفسه ق ٩ ب .
(٣) نفسه ق ٢ أ .
(٤) نفسه ق ١١٢ ب .
(٥) نفسه ق ٢٦ ب .
(٦) نفسه ق ١١٥ ب .
(٧) نفسه ق ٤٤ ب .
(٨) نفسه ق ١١٣ أ .
(٩) نفسه ق ١١٥ أ

الحنفي » [1] ، وقوله : « . . . ولد بالقاهرة في سنة تسع وخمسين وسبعمائة بالصهريج المنجكي ، بالسوة ، بالقرب من قلعة الجبل ، وكان والده أميناً على حواصلِ منجك اليوسفي ، وبيده خزانة صهريجه » [2] .

٨ ـ تقدير عمر المترجم له حال الوفاة :

فإذا ما خفي عليه تحديد تأريخ المولد ، فإنه ـ وتلك ظاهرة عامة الشيوع في مؤلفه ـ يجتهد في تقدير عمر المترجم له حال الوفاة ، كنحو قوله : « . . . وله زيادة على الستين سنة » [3] ، وقوله : « . . . وهو في عشر الستين أو زاد عليها » [4] ، وقوله : « . . . وهو في الكهولة » [5] ، وقوله : « . . . عن نحو سبعين سنة أو هي » [6]

٩ ـ الوفاة :

ويتراوح تأريخه لها بين :

أ ـ **التأريخ لها على سبيل الاكتمال ، باليوم من الأسبوع ، فاليوم من الشهر ، فالشهر ، فالسنة** ، كنحو قوله : « . . . مات في يوم الثلاثاء ، سابع عشر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وثمانمائة » [7] ، وقوله : « . . . مات يوم الأحد ، سادس عشرين جمادي الآخرة ، سنة اثنين وخمسين وثمانمائة » [8] .

وقد يضيف إلى ذلك التأريخ بالجزء من اليوم أو الليل ، موقتاً لذلك بأوقات الصلاة ، أو بالشروق والغروب ؛ ومن ذلك قوله :

---

(١) المصدر السابق ق ١٠ أ .
(٢) نفسه ق ١١٢ ب .
(٣) نفسه ق ٢ أ .
(٤) نفسه ق ١٦ .
(٥) نفسه ق ٤١ أ .
(٦) نفسه ق ٦٠ أ .
(٧) نفسه ق ٣ ب .
(٨) نفسه .

« . . . مات فجأة ، في يوم الاثنين بعد العصر ، في صفر الخير ، سنه سبع وثمانين وثمانمائة » [1] .

« . . . مات . . . في عصر يوم الاثنين ، تاسع شوال سنة أربع وستين وثمانمائة » [2] .

« . . . مات آخر نهار السبت ، رابع رجب سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة » [3] .

« . . . مات ابن ظهيرة هذا . . . في ليلة الجمعة ، بعد الغروب ، يوم سادس ذي قعدة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة » [4] .

« . . . مات في يوم السبت ، تاسع صفر قبل الغروب ، سنة تسعين وثمانمائة » [5] .

ب ـ التأريخ لها بأوائل ، وأثناء ، ووسط الشهور ، كنحو قوله :

« . . . مات في أوائل محرم ، سنة خمس وسبعين وثمانمائة » [6] .

« . . . ومات في أثناء سنة خمس وستين وثمانمائة » [7] .

« . . . مات أحمد هذا في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وثمانمائة » [8] .

جـ ـ وهو حريص على إثبات شهر الوفاة ، ولذا كثيراً ما ينص على إخفاقه في معرفته ، ومنه قوله : « . . . ولم أحرر شهر وفاته » [9] ، وقوله : « . . . ولم أجد شهر وفاته » [10].

---

(١) المصدر السابق ق ١٧٧ ب .

(٢) نفسه ق ٩١ أ .

(٣) نفسه ق ٢١٢ ب .

(٤) نفسه ق ١٩ أ .

(٥) نفسه ق ٢٠ ب .

(٦) نفسه ق ٤٩ أ .

(٧) نفسه ق ٩٥ ب .

(٨) نفسه ق ١٠٩ ب .

(٩) نفسه ق ١٥٤ أ .

(١٠) نفسه ق ٢٦ ب .

د ـ **التأريخ للوفاة بالسنة فقط** ، كنحو قوله : « . . . مات بالطاعون في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة » [1] .

هـ ـ **التأريخ للوفاة على وجه تقريبي** ـ وكثيراً ما يكون ـ كنحو قوله : « . . . مات في حدود سنة خمس وسبعين وثمانمائة » [2] ، وقوله : « . . . مات البرهان هذا في سني ما بعد الستين وثمانمائة » [3] ، وقوله : « . . . مات بدمشق بعد السبعين وثمانمائة ، ولم أحرر وفاته إلا تخميناً بعد السبعين ، أظن في سنة خمس أو بعدها » [4] .

وكثيراً ما ترد التراجم غير مؤرخة الوفاة ، لعمده إلى الترجمة للأحياء إلى جانب الأموات كذلك .

وهو معنى في مواضع كثيرة بتحديد موضع الوفاة ، كنحو قوله : « . . . مات بداره بسويقة العنبر » [5] ، وقوله : « . . . مات . . . بالقاهرة ، بخلوته من المدرسة الصرغتمشية » [6] ، وقوله : « . . . وممن يسكن بالحسينية خارج باب النصر ، ومات بها في منزله » [7] .

وكذا كيفية الوفاة ، من موت طبيعي ، **أو قتل** ، **أو غرق** ، **أو العلة المتسبب عنها الوفاة** ، كنحو قوله :

« . . . مات . . . وهو جالس للتصنيف ، ويكلم ولده البدر » [8] .

« . . . فبينا هو ذات يوم سائر إلى مقصده من البساتين خرج عليه قريباً من جامع راشدة من قتله، وذهب دمه هدراً، ولم يعلم قاتله، ووجد ميتاً » [9] .

« . . . مات غريقاً وهو ثمل ، عند معدية فريج بالخليج ، في يوم

---

(١) المصدر السابق ق ٢ أ .
(٢) نفسه ق ٣٧ ب .
(٣) نفسه ق ٤٠ أ .
(٤) نفسه ق ٤٠ ب .
(٥) نفسه ق ٢٦٦ ب .
(٧) نفسه ق ٦ ب .
(٧) نفسه ق ٣٩ أ .
(٨) نفسه ق ٤٣ ب .
(٩) نفسه ق ٤٧ ب .

الأربعاء ، سادس عشرين رجب سنة اثنين وخمسين وثمانمائة ، وما وجد إلا بعد أيام بالقرب من خانقاه سرياقوس ، وهو في أسوأ ما يكون من الحال ، فغسل وكفن ودفن هناك ، ثم توجه أقاربه إليه فأخرجوه وأحضروه إلى القاهرة وهو في غاية ما يكون من الانتفاخ ، بل قارب الانفساخ . فغسل ودفن أيضاً » (1).

« . . . مات بضيق النفس » (2) .

« . . . مات بعد ذلك بمرض الدبيلة ، في يوم الخميس ، سادس جمادي الآخرة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة » (3) .

« . . . مات . . . بعلة الفالج ، وكانت قد طالت به ، وبقي ينصل منها شيئاً ثم تعود إليه ، مع بقاء أصل العلة » (4).

وكثيراً ما يشير إلى حال المترجم له عند الوفاة ، من حيث العمل والاشتغال أو التبطيل والعزل ، كنحو قوله : « . . . مات وهو على قضاء مكة » (5) ، وقوله : « . . . ومات غير وزير » (6) ، وقوله : « . . . مات معزولاً عن القضاء » (7) ، وقوله : « . . . حصل له خلط فالج ، فأخرجت عنه الإمرة ، ودام بطالاً إلى أن مات » (8) .

أو المكانة لدى الدولة ، كنحو قوله : « . . . وكان مقبول الشفاعات عند الأكابر ، السلطان فمن دونه ، وبه نفع للفقراء والأرامل والمنقطعين ، يأوي إلى زاويته كثير ممن يصف بما ذكرنا » (9) ، وقوله : « . . . وكان معظماً ، وجيهاً عند الناس والسلاطين » (10).

---

(1) المصدر السابق ق ١٠ أ .
(2) نفسه ق ٧ أ .
(3) نفسه ق ١٣٦ أ .
(4) نفسه ق ١٢٨ ب .
(5) نفسه ق ١٩ أ .
(6) نفسه ق ١٥ ب .
(7) نفسه ق ١٤٤ ب .
(8) نفسه ق ٢٢٠ ب .
(9) نفسه ق ١٩ أ .
(10) نفسه ق ١٠٧ أ .

أو من حيث الإهانة والتعذيب ، كنحو قوله : « . . . مات تحت العقوبة أفحش موتة » [١] ، وقوله : « . . . وصلب حياً مكلباً ، في لوحي أكتافه ، ممثلاً به ، على غير الوجه الشرعي ، وهو صابر ، ذاكر ، متجلد ، حتى فارقت روحه بدنه على تلك الهيئة » [٢] .

أو من حيث التمرض والضعف ، أو الموت الفجاءة من غير علة ، كنحو قوله : « . . . مات ليلة الأربعاء ، في محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة فجأة ، بعد أن وادع الناس في هذه الليلة كأنه مرتحل ، وصار يسلم على الناس ويصافحهم على عادته ، ويقول : ودعونا » [٣] ، وقوله : « . . . ثم تمرض بمرض طال به ، وتعافى منه ، ثم انتكس وطال مرضه ـ أيضاً ـ وضعفت أعضاؤه الباطنية ومات » [٤] .

أو ما يكون قد عرض له في آخرته من آفة الخرف والخلط ، أو العمى ، كنحو قوله : « . . . لم يزل إلى أن حصل له في عقله خلل دام به من سنة تسع وخمسين وثمانمائة إلى أن مات سنة ست وثمانمائة » [٥] ، وقوله : « . . . مات . . . بعد أن كف بصره » [٦] .

أو من حيث اليسار ، أو ضيق ذات اليد ، كنحو قوله : « . . . وبلغت تركته نحو الخمسة آلاف دينار ، وزيادة على ذلك » [٧] ، وقوله : « . . . مات في يوم الجمعة ، سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين عن مال كثير ، فوق الألفي دينار من النقد ، غير الأثاث والآلات والكتب والأملاك وغير ذلك . . . ووجد له من التحف أشياء كثيرة » [٨] ، وقوله : « . . . بعد أن افتقر جداً ، وكان قبل ذلك ذا ثروة طائلة ، وأملاك وعمائر وأشياء كثيرة ، ورثها عن أبيه ،

---

(١) المصدر السابق ق ٦ ب .
(٢) نفسه ق ٧٢ ب .
(٣) نفسه ق ٨٣ ب ـ ٨٤ أ .
(٤) نفسه ق ١٥ ب .
(٥) نفسه ق ١٢٥ ب .
(٦) نفسه ق ٧ ب .
(٧) نفسه ق ٥٠ ب .
(٨) نفسه ق ١٤٦ ب .

فلم يبق له من ذلك شيء ، وذهب الكل ، ومات فقيراً جداً ، وكان غير مشكور ، أذهب ماله في غير وجه سائغ » (١) ، وقوله : « . . . وتصدق عليه بالكفن » (٢) .

كما أنه كثيراً ما يعنى بذكر ما يتبع الوفاة من جنازة ودفن ، مفصحاً عن وقع ذلك في أنفس الناس ونفسه ، محدداً موضع الدفن ، كنحو قوله : « . . . وكان له مشهد حافل ، وتاسف السلطان عليه ، لأنه كان قد استعد لكل خير » (٣) ، وقوله : « . . . وأحضرت جنازته مصلى المؤمني ، وحضر السلطان الصلاة عليه ، وكان له مشهد حافل ، وحمل إلى الجامع الشيخوني ، فدفن بالقبة بعد أن أريد دفنه بالخانقاه » (٤) ، وقوله : « . . . وذبح خروف (المترجم له) كأن لن يكن ، ونظم في ذبحه عدة مقاطيع ، وشمت به كثير من الناس ، وتأسف عليه آخرون » (٥) ، وقوله : « . . . . وأبطل اللعب من طبقته في يوم موته ، ونزل جميع أهل الطبقة ، بل والكثير من جلبان السلطان إلى أن أخرج ، وكانت جنازته حافلة بالجلبان وببعض الأمراء ، وأحضرت لمصلى سبيل المؤمني ، ونزل السلطان فحضر الصلاة عليه ، وأظهر التأسف عليه ، وتوجه صحبة نعشه جماعة من الأعيان من الجلبان ، منهم قريبه آقبردي الدوادار الكبير ، وقانصوه خمسمائة أمير آخور كبيروغيرهما، مشاة بين يدي نعشه إلى تربة السلطان بالصحراء ، ودفن بها » (٦) .

أو على العكس من ذلك ، ما يكون حدث لجثته من تنكيل أو تعطيل ، كنحو قوله : « . . . وعوق عن دفنه لأجل جوامك مماليكه وغلمانه ، فإنها كانت مكسورة في ذمته ، فقاموا ثائرين على من يجهزه ، وقالوا : لا نمكن من تجهيزه وإخراجه إلا إذا أغلق لنا مالنا من الجامكية في ذمته ، وثارت العامة ـ أيضاً ـ وقالوا : إنا (لا) نمكن من دفنه إلا إذا أعيد ابن شبل إلى الحسبة بدمشق ،

---

(١) المصدر السابق ق ١٠٩ ب .
(٢) نفسه ق ٣٧ آ .
(٣) نفسه ق ٥ ب .
(٤) نفسه ق ٤٥ أ .
(٥) نفسه ق : ٥ ب .
(٦) نفسه ق ٢٦٦ ب .

وكان قد صرفه هو عنها ، ولا زال بعض الناس يتلطف بهم حتى دفن بعد أيام » [1] .

١٠ ـ النشأة والتكوين :

. وتختلف المادة المكونة لهذا العنصر تبعاً للاختلاف في نوعية المترجمين لديه ، وتتباين المساحة المخصصة لها ، لكن السمة الغالبة على ترجمات الكتاب هي عدم الاستيعاب ، كما هو مفهوم من قوله : « . . . وبها نشأ ، فحفظ القرآن العظيم ، ثم بعض متون ، ثم اشتغل ، فأخذ عن شيخي الإسلام السراج البلقيني وابن الملقن ، والشمس القليوبي ، والنور الآدمي ، والشمس البوصيري ، وغيرهم . ولم يزل مجداً محصلاً مشتغلاً ذكياً فطناً يقظاً حتى برع ومهر وشهر ذكره وتميز » [2] ، وقوله : « . . . ونشأ على خير ، وحفظ القرآن العظيم ، واشتغل بالعلم ، فأخذ عن جماعة منهم : الزين عبادة ، وطاهر ، وأبي القاسم النوري والوروري والمناوي ، وسمع الحديث عن جماعة ، منهم الحافظ ابن حجر ، ولبس الخرقة الصوفية ، وصحب الشيخ مدين ، وأخذ عنه وعن غيره » [3] ، وقوله : « . . . وحفظ القرآن العظيم ، وصحب جماعة من السادات ، فعادت عليه بركاتهم ، وسمع الكلوتاتي والهواري وابن الجزري وابن حجر ، وآخرين » [4] .

١١ ـ منزلة المترجم له ومكانته :

وتتحدد هذه المنزلة بعبارات ناعتة ، منها قوله : « . . . كان أحد علماء الأدب ، بل عينهم في وقته » [5] ، وقوله : « . . . وصار أمة في سائر الفنون العلمية . . . ولم يخلف بعده في مجموعه مثله » [6] ، وقوله : « . . . وكان

---

(١) المصدر السابق ق ٢٦٠ أ .
(٢) نفسه ق ٢ أ .
(٣) نفسه ق ١٨ ب .
(٤) نفسه ق ١١٥ أ .
(٥) نفسه ق ٣ ب .
(٦) نفسه ق ٢٨ ب .

أستاذاً في فن الرماية »[1] ، وقوله : « . . . وصار معدوداً بين فضلاء المالكية بل وأعيانهم ، ومرجعاً في مذهبه ، وإن غض منه بعضهم »[1] .

١٢ ـ وظائفه :

كما كان مؤرخنا معنياً في كثير من الترجمات بتتبع وظائف المترجمين لديه ، وتنقلهم فيها ، وإن لم يستوعبها ، كنحو قوله مترجماً الأشرف إينال : « . . . وصار من جملة الجمدارية ، واستمر على ذلك إلى آخر دولته (دولة الناصر فرج) ، فصيره خاصكياً ، ولم يزل كذلك إلى دولة المظفر أحمد بن المؤيد شيخ ، فأمر عشرة بعناية الأمير ططر ، وهو مدبر المملكة للمظفر ـ إذ ذاك ـ وكان ذلك في أوائل سنة أربعة وعشرين وثمانمائة ، وترقى بعد ذلك إلى أن صار رأس نوبة ثانياً ، بعد قانباي البهلوان ، لما صير من مقدمي الألوف ، ثم نقل إلى نيابة غزة عوضاً عن تمراز القرمشي ، في دولة الأشرف ، في سنة إحدى وثلاثين . . . ولم يزل بغزة حتى خرج الأشرف لآمد في سنة ست وثلاثين (وثمانمائة) ، فاستصحبه معه في سفرته ، ثم لما عاد الأشرف من آمد ونزل بمدينة الرها حين استولى عليها ـ وهي يومئذ خراب ـ طلب إينال ـ هذا ـ واستقر به في نيابتها ، فامتنع من ذلك أشد امتناع ، ولم يسهل به ذلك ، ورمى بسيفه من وسطه ، وحنق في مجلس الأشرف ، وتكلم بكلمات أغلظ فيها بحضرة السلطان ، فاستشاط الأشرف وغضب منه ، وطلب مملوكه إينال ـ شاد الشراب خاناه الماضي ترجمته ـ وقال : أنا ما يطيعني إلا مماليكي ، وخلع عليه بنيابة الرها ، فلما ذهب إينال إلى مخيمه ندم ، وسقط في يده ، وخاف عاقبة فعله ، وسطوة الأشرف ، وكان من العقلاء العارفين ، فأذعن لنيابة الرها ، وبعث من تكلم له عند الأشرف ، واعتذر عنه ، فطلبه الأشرف في عصر ذلك اليوم ، وألبسه الخلعة بنيابة الرها ، ووعده بالجميل ، وأنه اختاره لهذا للغاية ، وأنه ممده بالسلاح والعليق وغير ذلك ، ووفى له بوعده ، وبعث إليه كتباً بتقدمة ألف بالديار المصرية . . . ولم يزل بالرها إلى أن صرفه الأشرف بشادبك الجكمي ، واستقدم إينال إلى القاهرة على تقدمته . . .

---

(١) المصدر السابق ق ٥٣ ب .

(٢) نفسه ق ٨٥ ب .

واستمر على تقدمة إلى أن نقل إلى نيابة صفد في عاشر رجب سنة أربعين وثمانمائة ، بعد عزل يونس الركني الأعور عنها ، فلم يزل بها حتى تسلطن الظاهر جقمق بعد خلع العزيز ابن الأشرف ، بعث إليه بالخروج مع النواب في نوبة الجكمي ، وبصفد رافقه الوالد في الأتابكية . . . ولما انفض الأمر من قضية الجكمي ، بل وتغري برمش نائب حلب ، استقدم الظاهر ـ إينال ـ هذا ـ إلى القاهرة في سنة ثلاث وأربعين (وثمانمائة) ، وصيره من جملة مقدمي الألوف بها ـ أيضاً ـ وكان قبل ذلك خرج في عدة غزوات ، منها غزوة قبرس ، في دولة الأشرف برسباي ، وأبلى في الكفار بلاء حسناً ، ومنها في رودس ، في أيام الظاهر ، ثم نقله بعد مدة إلى الدوادارية الكبرى ، بعد موت تغري بردى المؤذي، فباشرها ، وحسنت سيرته بها ، ثم نقله منها إلى الأتابكية بمدة ، بعد موت الأتابك يشبك المشد ، في سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وعد ذلك من النوادر ، ووقع في المملكة بعض قلقلة بسبب ولايته للأتابكية من غير أن يترشح لها ، ومع وجود الأكابر من الأعيان ، الأمراء الظاهرية ، ولم يفد من ذلك شيء ، ولم يزل أتابكاً حتى مات الظاهر ، وجرى على ولده ما جرى من الفتنة العظمى ، التي ما عهد في هذا القر(ن) بمثلها ، وخرج العسكر عن طاعة المنصور عثمان ولد الظاهر ، إلا من عنده ، وأخذ إينال ـ هذا ـ من داره ، وأحضر إلى دار قوصون ، ورشح للسلطنة ، ووقع القتال بينه وبين المنصور ، ودام أسبوعاً أو نحوه ، وآل الأمر في ذلك بعد ذلك القتال العظيم والأمر الشديد إلى سلطنة إينال هذا » (١) .

وعلى العكس من ذلك قوله مترجماً الشهاب ابن حجر : « . . . وولى الوظائف الدينية السنية ، ما بين تداريس فقه وحديث وتفسير ووعظ وخطابة الجامع العمري والجامع الأزهر وغيرهما ، وولي القضاء الأكبر غير ما مرة ، مدة تزيد على إحدى وعشرين سنة ، بما في ذلك من أشهر تتخللها ولاية الغير » (٢)

---

(١) المصدر السابق ق ١٩٤ أ ـ ١٩٥ أ .

(٢) نفسه ق ١٠٤ ب .

١٣ ـ أعماله :

ويقتصر مؤرخنا في هذا العنصر على إثبات أهم الأعمال ، وهي تختلف وتتعدد تبعاً للتباين في الوظائف ، واختلاف نوعيات المترجمين لديه ، ومن ذلك قوله مترجماً البرهان ابن مفلح : « . . . وله تصانيف عدة ، منها شرح المقنع ، وأطال فيه ، وصنف في الأصول وطبقات لبني مذهبه الحنابلة » (١) ؛ وقوله مترجماً بردبك القبرسي الأشرفي : « . . . وله من الآثار الجليلة الشيء الكثير ، منها الجامع الأنيق ، العظيم ، الجليل، تجاه قنطرة السباع ، وهو عجيب في نائه المحكم الأرفع ، وفيه منارة من أظرف المنارات وأحسنها ، وأبدعها ، وله الحمام الجليل ـ أيضاً ـ بدمشق ، بعمارة الأخبائي ، وهو ـ أيضاً ـ من أحسن العمائر وأبدعها ، وله المدرسة بالقرب من رحبة الأيدمري ، التي كانت بيد شيخنا العلامة الشيخ علاء الدين الحصني ، وله غير ذلك من الآثار الدالة على علو همته وكثرة معروفه ومعرفته » (٢) ؛ وقوله مترجماً برسباي الحاجب : « . . . وفي تلك المدة أنشأ الدار المعروفة به بسويقة صاروجا بالقرب من المدرسة الشامية البرانية ، وأنشأ الجامع المعروف ـ أيضاً ـ بالقرب من هذه الدار ، وهو جامع حسن . . . وفي تلك المدة أنشأ البرج المعظم الهائل ، الذي لم يبن قبله مثله بساحل طرابلس بميناها ، وهو من أجل المباني وأعظم المنار ، شاهدته ودخلت إليه ، وليس الخبر كالعيان ، وبه من آلات السلاح والقتال الشيء الكثير ، وبه مسجد بمنار للأذان ، وبه إمام راتب ومؤذن ، وفيه عين ماء وفرن ، وأظن أن به طاحوناً ـ أيضاً ـ وبالجملة ، فهو أعظم أبراج ميناء طرابلس ، وبه من المقاتلة والرجالة جمع جم » (٣) .

١٤ ـ السجايا والصفات :

وهو معني بذكر ما يتصل بهيئة المترجم له ، من شكل وملبس ، وأخلاق وطباع ، وما إلى ذلك . . كنحو قوله : « . . . كان شكلاً حسناً ، ربع القامة ، إلى القصر ، حسن السمت والملتقى ، كثير التؤدة والأدب والحشمة ، غزير

---

(١) المصدر السابق ق ٢٤ ب .

(٢) نفسه ق ٢٠٥ ب .

(٣) نفسه ق ٢١٠ ب .

الفضل والعلم » (١) ، وقوله : « . . . وكان عالماً فاضلاً ، بشوشاً ، ذا بشر وطلاقة وجه ، منور الشيبة والهيئة ، كثير الأدب والحشمة ، مع تؤدة وسكون ، وحسن ملتقى ، خيراً ، ديناً ، هيناً ، ليناً ، نزهاً ، عفيفاً ، كريماً ، سخياً ، جواداً ، نافعاً للطلبة وغيرهم ، قائماً في المهمات مع من قصده لها ، بل ولغيرها ، كثير النوال ، واسع الأفضال ، معدوداً من الرجال » (٢) ، وقوله : « . . . كان أسمر اللون ، أدوباً ، حشماً » (٣) ، وقوله : « . . . وكان سميناً جداً ، بحيث خرج عن الحد في ذلك ، ويحكى عنه العجائب في سمنه ، وكانت يده لا تصل إلى محل الاستنجاء منه لعظم سمنه ، وهو الذي أضر به حتى قتله بقدرة الله تعالى » (٤) ، وقوله : « . . . وإنما الموجب لذلك حدب بظهره أولد به » (٥) ، وقوله : « . . . كان به فتق عظيم في حالبه ، ومع ذلك فكان جباراً عنيداً ، وشيطاناً مريداً ، كثير الإسراف على نفسه ، كثير الحلف بالطلاق ، حتى قيل عنه : إنه كان مع زوجته في الحرام ، لحنثه في طلاقه ، وكان يعاب بذلك جداً ، لكونه خالف عادة أبناء جنسه الأتراك في عدم حلفهم بالطلاق » (٦) ، وقوله : « . . . كان بخيلاً ، شحيحاً ، جماعاً للمال ، لم يتزوج في مدة عمره قط » (٧) ، وقوله : « . . . كان شخصاً طويلاً ، يحلق لحيته ، ويلبس عليه ثياباً كثيرة ، على بعضها البعض ، ويجعل بغالب أصابعه خواتماً فضة ونحاساً وغير ذلك ، ويلبس في رجليه قبقاباً ، في غالب الأحوال يأخذ في يده عصاً غليظة ، ويدور في الأزقة والأسواق » (٨) .

١٥ ـ علاقاته بذوي قرباه ، وشيوخه ، وأقرانه :

كما كان مؤرخنا معنياً بالتنبيه على أهل المترجم له ، أو من تجمعهم به

---

(١) المصدر السابق ق ٢ أ .
(٢) نفسه ق ٣ ب .
(٣) نفسه ق ٢٣ ب .
(٤) نفسه ق ١٣٦ .
(٥) نفسه ق ٢ أ .
(٦) نفسه ق ١٧٠ ب .
(٧) نفسه ق ٢٦٨ أ .
(٨) نفسه ق ٥٦ أ .

علاقة ، سواء ممن يكون قد ترجم لهم في معجمه ـ هذا ـ سابقاً أو لاحقاً ، كنحو قوله : « . . . ووالده الزين كاتب السر بعصرنا هذا ، وستأتي ترجمته عن قرب في هذا الحرف » (١) ، وقوله : « . . . وهو أخو العلامة علاء الدين الآتي في محله من حرف العين » (٢) ، وقوله : « . . . والده تمرباي سيأتي في التاء ، وأخوه أحمد ، بل وأحمد ولده ـ أيضاً ـ سيأتيان في رتبتهما في هذا الحرف » (٣) ، وقوله : « . . . وجده ستأتي ترجمته في محلها ، وكذا والده أبو الخير » (٤) ، وقوله : « . . . وكان قد تزوج بعمتي ، الست المصون صفر جلمك ، الآتية في محلها » (٥) ، وقوله : « . . . وهو من مماليك حطط الآتي » (٦) ، وقوله : « . . . وكان أوصى بجميع مصنفاته لشخص من تلامذته بالقاهرة ، يقال له : نور الدين المحلي ، ستأتي ترجمته » (٧) ، وقوله : « . . . واختار السلطان للولاية بعده المحيوي ابن تقي ، الآتي في محله » (٨) .

١٦ ـ علاقة « عبد الباسط » بالمترجم لهم :

كما لم يغفل مؤرخنا إثبات علاقاته بالمترجم لهم بحيث أتى في هذا العنصر بالكثير مما يندرج في الترجمة الذاتية له ، كنحو قوله : « . . . وكان بيننا وبينه صحبة وجيرة ، ولم أعتب عليه إلا قيامه مع من قام على شيخنا العلامة الكافيجي من أهل الشيخونية ، حتى تغيظ عليه ، ومنعه مدة شهور ، ثم أعاده » (٩) ، وقوله : « . . . وهو الأخ في الله تعالى ، وهذه النسبة مستمرة ،

---

(١) المصدر السابق ق ٢ أ .
(٢) نفسه ق ٢ ب .
(٣) نفسه ق ٦ أ .
(٤) نفسه ق ١٣٣ أ .
(٥) نفسه ق ٢٣ أ .
(٦) نفسه ق ١٧٤ أ .
(٧) نفسه ق ٢٢ أ .
(٨) نفسه ق ٢٨ أ .
(٩) نفسه ق ٥ أ .

وأرجو له توالي المسرة ، وكشف المضرة ، بمنه وطوله وقوته وحوله » [(٨)] ، وقوله : « . . . اجتمعت به بالقاهرة حين قدومه إليها ، واستفدت من فوائده » [(٢)] ، وقوله : « . . . وكنا نقصد ذلك المعبد في بعض الأحيان لزيارته والتنزه هناك ، فكان يأنس بي ويحصل بيننا مذاكرة مع صفاء ورياضة » [(٣)] ، وقوله : « . . . بيننا وبينه صحبة أكيدة ومحبة قديمة ، وكان قد اشترى أمة من جواري عمتي الست صفر . . . فعرفناه من ذلك الوقت » [(٤)] .

وعلى العكس من ذلك ، كثيراً ما يشير إلى عدم معرفته بأحوال مترجمه أو انعزاله هو عنه ، كنحو قوله : « . . . ولم نعهد شيئاً من حاله » [(٥)] ، وقوله : « . . . وكان من أصحاب الوالد وأحبائه ، ويدعوه بأبي ، ويدعوه الوالد بابني ، وهو جارنا في هذه الأيام ، ومع ذلك كله لم أجتمع به ولا عرفته بصحبة ، أعانني الله ـ تعالى ـ عنه وعن أمثاله بالقناعة ، وجعل التقوى لي وللمسلمين بضاعة ، بمنه وكرمه » [(٦)] ، وقوله : « . . . وكان بينه وبين الوالد محبة أكيدة ، وصحبة قديمة ، ويقوم في قضاء أشغاله وما يهمه ، ويدعو الوالد بأبي ، ومع هذا كله فلم أتردد إليه ولا عرفته معرفة تامة ، ولم أجتمع به سوى المرتين أو الثلاثة ، من غير زيادة على ذلك » [(٧)] .

١٧ ـ النوادر أو الغرائب :

وقد يضمن الترجمات ما اصطلح على تسميته بالنوادر أو الغرائب ، وهي في مجموعها حكايات طريفة ، دارت حول بعض المترجمين لديه ، ومنها قوله مترجماً أزبك المحمدي ، المعروف بقراشقل : « . . . وكان قبل أن يتعين إلى قبرس تزوج بامرأة تعرف بقبر الرجال ، وبلغ الظاهر خشقدم ذلك ، وقال له في

---

(١) المصدر السابق ق ١٨ أ .
(٢) نفسه ق ١٩ أ .
(٣) نفسه ق ١٣١ أ .
(٤) نفسه ق ٢٢١ ب .
(٥) نفسه ق ٢ أ .
(٦) نفسه ق ٢٣٣ أ .
(٧) نفسه ق ٢٤٢ أ .

نوع ممازحة ومداعبة : أخاف عليك أن تكون الخامس أو السادس ، فإنها كانت قبرت قبله أربعة أو خمسة ، فكان كما قال له بعد قليل من زواجها »[1] .

وقوله مترجماً الظاهر تمربغا : « . . . ووقع له تلك اللطيفة التي حكيت عنه ، من قوله حين قدمت له البغلة ليركب ومعه الأوجاقي ليوصله إلى ساحل النيل ، ليتوجه به إلى السجن : عادت الحزينة لعادتها القديمة ؛ وهو مثل تضربه العامة وأشار به إلى أنه عاد إلى المحنة التي اعتاد بها ، وعُدَّ ذلك من لطائفه ، وإن كان ذلك مثلاً عاتباً »[2] .

وقوله مترجماً ابن الجيعان : « . . . ومن آثاره الجامع المعروف بالجيعانية على شاطىء النيل بساحل بولاق ، بالقرب من القنطرة الحجازية ، وهو طريف في موضعه ، من بدائع المباني الأنيقة .

ومما اتفق بعد انتهائه من عمارته وتقرير أحواله أن قرر في خطابته إنساناً ، وأقيمت به الخطبة ، وحضر في ذلك اليوم هو بنفسه وكثير من الرؤساء والأعيان ، لكون ذلك أول خطبة أقيمت بهذا الجامع ، فلما فرغ الخطيب من خطبته ونزل للصلاة قرأ بعد الفاتحة : ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله** ﴾ ـ الآية ، فحصل من ذلك عند إبراهيم باعث قوي ، بل وحنق من الخطيب فصرفه ، وولى مكانه الولي البلقيني ، الذي ولي قضاء دمشق فيما بعد .

وكان سبب حنق إبراهيم ما في الآية الشريفة من نفي كون مساجد الله يعمرها أهل الشرك ، وكان هو قبطي الأصل . . . فكأنه فهم من ذلك التعريض العام ، وإن لم يقصده الخطيب ، والخطيب إنما قصد كون مساجد الله لا يعمرها إلا من آمن بالله ، نفياً لما تبين به إبراهيم ، فاختلف هو وهو في الفهم .

وكان يوماً مشهوداً ببولاق ، فلما حضرت الجمعة الأخرى ، خطب الولي البلقيني ، ثم قرأ في صلاته بهذه الآية الشريفة : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً** ﴾ ـ الآية ، فانبسط إبراهيم لذلك وأعجبه

---

(١) المصدر السابق ق ١٥٦ ب .

(٢) نفسه ق ٢٤٧ أ .

إلى الغاية ، كونه بدأ بآية فيها مدح إبراهيم ، كونه كان أمة ، إلى غير ذلك ، ثم ذكر شاكراً ، وفيه الإشارة إلى اسم شاكر ، أخو إبراهيم ، وهو علم الدين والد الجماعة ، وعد ذلك من فصاحات الولي البلقيني ومن نوادره » (١) .

وقوله مترجماً ابن السفطي : « . . . واتفق في ذلك الوقت الذي أخرجت فيه جنازته غريبة ، وهي أنه لما وصل بجنازته إلى الصليبة واجتيز بها على الخانقاه الشيخونية وأمامها البكاء واللطم والنساء ، فاستقبلها عرض طلب أزبك ـ المذكور ـ بالزمور والطبول والمقامات والبوقات ، وهم في غاية ما يكون من الصراخ والعويل فالتقيا معاً ، حتى أمر أزبك ـ المذكور ـ بالكف عما هم فيه ، فجازت الجنازة غادية ، لنحو الرملة ، وجاز الطلب بهيئته تلك ، وهم على الخيول بأعلام منشورة وأبهة زائدة ، قاصداً الصليبة ، وتفاءل من حضر ذلك بعدم نصرة ذلك العسكر الذي هذا الطلب من بعض أطلابه (٢) .

* * *

---

(١) المصدر السابق ق ١٥ .

(٢) نفسه ق ١١١ .

أولاً ـ أنواع المصادر :

اعتمد مؤرخنا في جمع مادة كتابه على خمسة أنواع من المصادر ، وهي : المشاهدة والمشاركة ، والمساءلة والمكاتبة ، والمشافهة ، والوثائق والخطوط ، وللمؤلفات السابقة .

أ ـ المشاهدة والمشافهة :

ويمثلها قوله : « . . . رأيته بتلمسان في سنة تسع وستين ، وهو ذات حسنة ، له من السن نحو السبعين ، ويوصف بالعلم والخير ، ثم انقطع خبره عني ، ثم بلغني أنه مات في الطاعون (سنة) إحد(ى و) سبعين وثمانمائة »[1] ، وقوله : « . . . وكان ناجباً حين رأيته بالقيروان سنة ثمان وستين وثمانمائة ، يتولى عمل الأشربة والمعاجين والترياقات والأكحال والسيافات بيده »[2] ، وقوله : « . . . رأيته وأنا بدمشق ، قبل أن يبتلي بالفالج »[3] ، وقوله : « . . . ومات بآخره ، فوجد معه من النقد نحو المائتي دينار وبعض أثاث ، فرق ذلك جميعه على صوفية الخانقاه الشيخونية ومترددیها ، وكان ذلك في حياة شيخنا العلامة الكافيجي ، وكان قسم ذلك على حسب ما رآه الشيخ ، وخص الشيخ نحو الاثني عشر ديناراً حصته ، ففرقها على جماعة من قراء الخانقاه ، ونسي آخرين ، وبقوا يقصدونه لذلك ، فوزن من عنده نحو العشرين ديناراً زيادة على ذلك الذي حصل له ، وكان ذلك جميعه على يدي »[4] ، وقوله : « . . . وكان شيخنا العلامة الكافيجي يأنس به ،

---

(١) المصدر السابق ق ٢٢ ب .
(٢) نفسه ق ٢٧ ب .
(٣) نفسه ق ١٠٠ أ .
(٤) نفسه ق ١٠٩ أ .

ويحبه ، ويثني على شعره ، وامتدحه بعدة مدائح ، وأجازه على ذلك ، وجئت إليه مرة بدينار من بعض تركات بالخانقاه الشيخونية ، ثم بعث يأمره ، يقول له يقسمه نصفين بينه وبين إنسان آخر ، لضيق التركة عن شيء يعطي لذلك الآخر ، فكتب إلى الشيخ على يدي ، وبعثهما له ، يعني بعد أن أنشدنيهما من لفظه ، وهما :

أمولاي قد أحسنت لي متفضلاً وأهديت ديناراً قد استغرق الوصفا
ولكنه قد خاف نظرة حاسد ألم تره من خوفه نقص النصفا

(الطويل)

فأعجبا شيخنا ، ثم أمرني أن أحمل إليه ديناراً من مال الشيخ » [1] .

ب ـ المساءلة والمكاتبة :

وكثيراً ما كان مؤرخنا يسأل مترجميه في أن يكاتبوه بمادة يضمنها ترجماتهم ، على النحو المفصح عنه في قوله : « . . . وبعثت إليه أطلب منه ترجمة نفسه ، فكتب إليّ ذلك ، ثم قصدته في يوم الأحد ، ثاني عشر شوال ، بمنزل الشريف الأنصاري ، فلقيته هو ووالده وأنسا بي ، ثم سألتهما عن أشياء فأجابا بما فيه المراد وزيادة » [2] ، وقوله : « . . . كنت بعثت إليه في أنه يوجه إليّ بترجمته على سبيل الاختصار ، وكان قد نقه من مرض اعتراه من مدة شهور وطال به ، وبقيت به بقاياه ، فأشفقت على خاطره من الكلفة في تطويل الترجمة ، لئلا يتشاءم ويستعمل فكره فيما يكتبه ، فيحصل له في ذلك تشويش ، فاتفق أنه كتب إليّ أبياتاً بخطه يعتذر لي فيها ، وكتب لي مولده بآخرها ، ثم بعث يلتمس مني حضوري إليه ليسألني عن أمر مرضه ، وتلطف قاصده بي في ذلك ، فتوجهت إليه من الخانقاه الشيخونية لقاعته بقرب جامع ابن طولون ـ عمره الله بذكره ـ فتلقاني بالترحيب والإجلال والتعظيم ، ورفع من محلي ، ثم أملى عليّ ترجمته » [3]

---

(١) المصدر السابق ق ١٢٨ أ .
(٢) نفسه ق ٥٥ أ .
(٣) نفسه ق ١٢٩ أ .

وقد تكون المساءلة - بغير مكاتبة - لمن له معرفة بالمترجم لديه ، استناداً إلى معرفة المسئول - فيما يظن - بموضوع المساءلة ، كنحو قوله : « . . . وعرف بأخوة له (لتمراز) ، حسبتها كذلك ، حتى سألت عن ذلك ، فقيل لي : إنهما بينهما صحبة أكيدة ، بحيث كان يدعوهما الناس بالإخوة ، بل هو عند تمراز أعظم من الأخ ، وهو الآن مقيم بدار تمراز كالناظر على جميع تعلقاته » [1] ، وقوله - وقد تشكك في معلومة أحد مصادره المكتوبة : « . . . وعوق عن دفنه لأجل جوامك مماليكه وغلمانه ، فإنها كانت مكسورة في ذمته ، فقاموا ثائرين على من يجهزه ، وقالوا : لا نمكن من تجهيزه وإخراجه إلا إذا أغلق لنا مالنا من الجامكية في ذمته ، وثارت العامة - أيضاً - وقالوا : إنا (لا) نمكن من دفنه إلا إذا أعيد ابن شبل إلى الحسبة بدمشق ، وكان قد صرفه هو عنها ، ولا زال بعض الناس يتلطف بهم حتى دفن بعد أيام ، على ما ذكره الجمال ابن تغري بردى .

وقد سألت أنا عن ذلك ، فقيل لي : لم يعوق إلا اليوم ، بل إلى حين اتفق الحال على عمل مصالح الجوامك والعامة » [2] .

جـ - المشافهة :

وتتمثل فيما شافهه به والده ، أو شيوخه وأقرانه وتلامذته ، أو مترجمه - عينه - وذوو قرباه ، ومن يكون على صلة به . كنحو قوله : « . . . فإن الوالد - رحمه الله تعالى - كان صاحبه جداً ، وذكر لنا عنه أنه سمع منه . . . » [3] ، وقوله : « . . . أخبرني الوالد عنه . . . » [4] ، وقوله : « . . . على ما أخبرني به بعض مشايخ تلك البلاد الموثوق بهم » [5] ، وقوله : « . . . كذا أخبرني شيخنا العلامة نجم الدين إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القرمي » [6] ،

---

(١) المصدر السابق ق ٢٢٨ أ .
(٢) نفسه ق ٢٦٠ أ .
(٣) نفسه ق ٨٣ أ .
(٤) نفسه ق ١٨٧ أ .
(٥) نفسه ق ٢٢٤ ب .
(٦) نفسه ق ٤٤ ب .

وقوله : « . . . وذكر لي بعض أصحابي من الترك التتار أن هؤلاء ـ أعني بني قرمان ـ من السلاطين قبل الإسلام »[1] ، وقوله : « . . . ومما حكاه لي عنه البدر المذكور . . . »[2] ، وقوله : « . . . ولد على ما أخبرني به من لفظه في سنة . . . »[3] ، وقوله : « . . . . وذكر لي والد صاحب الترجمة أنه . . . »[4] ، وقوله : « . . . على ما ذكره لي التقي ابن الأوجاقي أخوه عنه »[5] ، وقوله : « . . . وذكر لي يوسف بن حبرس ، وكان دواداره . . . »[6] ، وقوله : « . . . وسمعت جمعاً من أهل الخانقاه الشيخونية يثنون على نظارته عليهم بها ، وعليه خيراً »[7] ، وقوله : « . . . . فيما أخبرني عنه من أعرفه من اليهود ، لعنهم الله تعالى »[8] ، وقوله : « . . . والذي عرفته أنا من حاله ممن أثق به . . . وكذا ذكره لي تلميذه الشمس محمد الفارسكوري »[9] ، وقوله : « . . . وقد ذكر عنه صاحبنا الشيخ برهان الدين النعماني . . . والبرهان هذا هو خليفة صاحب الترجمة في زاويته ، والمشيخة فيها ، وكان من أعز أصحابه »[10].

د ـ الوثائق والخطوط :

وهي من المصادر النادرة لديه ، ويمثلها قوله : « . . . وكذا رأيته بخط والده شيخنا العلامة النجم القرمي »[11].

هـ ـ المؤلفات السابقة :

وتتمثل في :

---

(١) المصدر السابق ق ٢٦ ب .
(٢) نفسه ق ١ ب .
(٣) نفسه ق ٩٥ ب .
(٤) نفسه ق ١١٠ ب .
(٥) نفسه ق ١٣٢ ب .
(٦) نفسه ق ٢٠١ ب .
(٧) نفسه ق ٢٤٢ أ .
(٨) نفسه ق ٢٢ أ .
(٩) نفسه ق ٣٥ ب .
(١٠) نفسه ق ٨٢ ب .
(١١) نفسه ق ٧٠ أ .

- الخطط [1] ، والسلوك [2] للتقي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ . / ١٣٤٨ م .) .
- الدرر الكامنة [3] ، وإنباء الغمر [4] لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ . / ١٤٤٩ م .) .
- عقد الجمان [5] للبدر العيني (ت ٨٥٥ هـ . / ١٤٥١ م .) .
- حوادث الدهور [6] والنجوم الزاهرة [7] لابن تغري بردى (ت ٨٧٤ هـ . / ١٤٧٠ م .) .
- الضوء اللامع [8] للشمس السخاوي (ت ٩٠٢ هـ . / ١٤٩٧ م .) .
- حسن المحاضرة [9] للجلال السيوطي (ت ٩١١ هـ . / ١٥٠٦ م .) .

وإن كان جل اعتماده - في هذه القطعة موضع الدراسة - على ثلاثة منها فقط ، وهي : « الإنباء » و« النجوم » و« الضوء » .

ثانياً - الإسناد إلى المصادر :

اعتنى مؤرخنا بذكر مصادره من خلال ترجمات كتابه ، مسنداً منقوله عنها - في الغالب الأعم - إليها ، لكنه كان في معظم الأحيان يسند المنقول إلى المؤلف مع إغفال ذكر كتابه ، كنحو قوله : « . . . على ما ذكره الجمال ابن تغري بردى »[10]، وقوله : « . . . قال شيخنا الحافظ السخاوي . . . »[11]،

---

(١) المصدر السابق ق ٢ أ ، ناقلاً عنه في ترجمته إياه .
(٢) نفسه ق ١٥٣ أ .
(٣) نفسه ق ٨٧ أ .
(٤) نفســه ق ٢٠ أ ، ٤٣ ب ، ٤٥ أ ، ٥٧ ب ، ٦٣ ب ، ٨٨ أ ، ١٠٩ أ ، ١١١ ب ، ١١٨ أ ، ١١٩ ب ، ١٣١ أ ، ١٣٧ ب ، ١٣٨ ب ، ١٣٩ أ ، ١٧٨ أ ، ١٨٨ ب ، ١٩٣ أ ، ٢٣١ ب ، ٢٣٧ ب .
كما توجد مخطط . من الإنباء بخطه ، وقد دون عليها استدر[illegible] ت وتعليقات كثيرة .
(٥) نفسه ق ٤٥ أ ، ١٣٩ أ ، ٢٤٣ أ .
(٦) نفسه ق ١٠٤ أ .
(٧) نفسه ق ٨ ب ، ١٧٨ ب - ١٧٩ أ ، ١٩٩ أ ، ٢٣٧ ب ، ٢٤٢ أ ، ٢٦٠ أ .
(٨) نفسه ق ١٨ أ ، ٢٠ أ ، ٣٥ ب ، ١٢٥ أ ، ٢٦٠ ب .
(٩) نفسه ق ٤٩ أ ، ناقلاً عنه في ترجمته لأبيه .
(١٠) نفسه ق ٢٦٠ أ .
(١١) نفسه ق ٢٦٠ ب .

وقد يشير إلى المصدر بغير اسمه ، كنحو قوله : « . . . ذكر السخاوي في تاريخه وقال . . . »[1] ، مشيراً بذلك إلى الضوء اللامع ، وقوله : « . . . ذكره هكذا ولده الجلال ـ المذكور ـ في ترجمته له في كتابه تاريخ مصر »[2] ، مشيراً بذلك إلى حسن المحاضرة .

وقد يشير إلى المصدر بصيغة التمريض ، كنحو قوله : « . . . وما ذكره بعض المؤرخين في ترجمة برسباي هذا ، في مثل هذا المحل من قوله : وليت الملك الظاهر خشقدم عرف له ذلك ، بل أخرجه بعد قليل إلى طرابلس ، ثم نقل بعد نيابة طرابلس إلى نيابة الشام ، كلام فيه (من) عدم المعرفة ما لا يخفى ؟ [3] .

ويقابله قول ابن تغري بردى : « . . . ومال إلى الملك الظاهر خشقدم ، فعابه كل أحد على ذلك ، وليت الملك الظاهر خشقدم عرف له ذلك ، بل أخرجه بعد قليل إلى نيابة طرابلس ، ثم تنقل بعد نيابة طرابلس إلى نيابة الشام ببذل المال »[4] .

مما يشير إلى أنه المعنى في هذا الموضع ، بصيغة التمريض هذه .

ثالثاً ـ طرق النقل :

راوح مؤرخنا في نقله عن مصادره بين النقل الحرفي عن المصدر ، محدداً بداية المنقول ونهايته، وبين النقل بالفكرة ، متبعاً منقوله عن المصدر بما يشير إلى أخذه عنه .

ويمثل الأول قوله : « . . . وذكره صاحبنا الجمال ابن تغري بردى ، ثم قال في ترجمته : وسألني مرة سؤالاً ، وابتدأ في سؤاله بقوله باب ، فقبل أن يتم السؤال قلت له : باب مرفوع على أي وجه ؟ فسكت ، ثم قال : هذا شيء لم

---

(١) المصدر السابق ق ١٨ أ .

(٢) نفسه ق ٤٩ أ .

(٣) نفسه ق ٢٠٩ ب .

(٤) ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣٥٢ .

أسمعه منذ عمري ، فضحك جميع من حضر ، ولم يسألني بعدها إلى أن مات . انتهى كلامه »(1) .

وهو قول مطابقي وقول ابن تغري بردى : « . . . كان تركي الجنس ويتفقه ويشارك في ظواهر مسائل ، على قاعدة غالب فقهاء الأتراك ، سألني مرة سؤالاً ، وابتدأ في سؤاله بقوله : باب ، فقبل أن يتم السؤال قلت له : باب مرفوع على أي وجه ؟ فسكت ، ثم قال : هذا شيء لم أسمعه منذ عمري ، فضحك جميع من حضر ، ولم يسألني بعدها إلى أن مات »(2) .

ويمثل الثاني قوله : « . . . وذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ ولايته لغزة ، بل ولغيرها في تاريخه الإنباء ، وأجرى ذكره في عدة مواضع من تاريخه المذكور »(3) .

رابعاً ـ نقد المصادر :

على الرغم من أن مؤرخنا قد اعتمد الكثير من المصادر في بناء مادة ترجماته ونقل الكثير من عباراتها ، ناسباً منقوله عنها إليها ، فإنه لم يسلم لمصادره تسليماً تاماً ، وإنما كانت له نظرة في تلك المادة المنقولة عنها ، معتبراً عناصرها جزئيات تخضع لتصديق العقل إياها ، أو لرده وتفنيده ، أو حتى تعليق الحكم عليها إذا ما تشكك في صحتها ، وإن نعت المصدر المنقول عنه بما يبعث على الثقة فيه ، ولذا نجده وقد نعت « ابن حجر العسقلاني » بـ « الميزان »(4) ، و « جهبذ النقد ، ومحك الرجال من أهل الحل والعقد »(5) ، « وناهيك من ترجمه مثل ابن حجر ، فكيف يقبل قول من قال خلافه بعده ! »(6) ـ ينبه على بعض مواضع السهو لديه قائلاً : « . . . وسها الحافظ ابن حجر ، فقال : أحمد بن إسماعيل »(7) ، أو يكشف عن التناقض في قولين

(1) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ١٧٨ ب .
(2) ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٦ .
(3) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ٦٩٤ أ .
(4) نفسه ق ٢٠ أ .
(5) نفسه ق ٢١ أ .
(6) نفسه ق ٢٠ أ .
(7) نفسه ق ١١١ ب .

نسبا إليه ، قائلاً : « . . . وكان مدرس الحنابلة إذ ذاك الشيخ صلاح الدين بن الأعمى ، فاتفق أن مات ، فقرر بها والد الشيخ محب الدين صاحب الترجمة ، وصار بيده وظيفتا الحديث والفقه الحنبلي بالمدرسة المذكورة (الظاهرية البرقوقية) ؛ وهذا الذي ذكرناه هو المفهوم من كلام الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في ترجمة الشيخ نصر الله والد الشيخ محب الدين صاحب الترجمة .

والمفهوم من كلامه في ترجمة الشيخ محب الدين ـ هذا ـ غير ذلك ، ولعله سهو .

ولم نحرره بعد في مسودات تاريخه ، فبقي على ما هو عليه ، وهو ظاهر » (١) .

كما نص على مواضع السهو أو الخطأ لدى غيره ، ومنه قوله : « . . . وقد سها التقي المقريزي ، فقال : برهان الدين إبراهيم ابن شهاب الدين أحمد بن إبراهيم ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن ميلق ؛ والصواب ما ذكرناه » (٢) .

وقوله : « . . . وكان موته في يوم الثلاثاء ، ووهم من قال : الأربعاء ، رابع عشر جمادي الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة » (٣)

وقوله : « . . . أحمد بن علي بن إبراهيم ، الشيخ شهاب الدين الهيتي القاهري ، الأزهري ، الشافعي ، المعروف بنسبته الأولى ، وتصحف على الجمال ابن تغري بردى ، فقال : الهيتمي ، بالميم » (٤) .

وقوله : « . . . ثم نقل من صفد إلى نيابة حماه بالمال ـ أيضاً ـ ولم يحضرني عمن وليها ، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه وليها عن إياس المحمدي ، وهو وهم فاحش ، إذ كان في تلك الأيام دواداراً للحاج إينال ، بل وبعدها بعدة سنين » (٥) .

---

(١) المصدر السابق ق ١٣٨ أ .
(٢) نفسه ق ٢ أ .
(٣) نفسه ق ٦٣ ب .
(٤) نفسه ق ٩٥ أ .
(٥) نفسه ق ٢٢١ ب .

وقد يراجع المصدر الشفهي للاستيثاق من صحة معلومته ، أو يقابل بينه وبين رواية شفهية أخرى للغرض عينه ، على النحو المفهوم من قوله : « . . . وكان ذكر لي أن من نظمه في هجو محب الدين ابن الأمين الحلبي ، وأنشدنيه لنفسه ، وهو قوله على ما أخبرني به عن نفسه . . . ثم لقيته بعد أن اختل عقله ، فسألته عن البيتين ، وأنشدتهما له ، فقال : ليس هما من نظمي ، وإنما هما لعبد القادر بواب المؤيدية ، فسألت عبد القادر عن ذلك ، فقال : نعم ، هما لي ، واستحلهما لنفسه ، ثم أقر بالحق في جنونه »(1) .

أو يختبره كاشفاً عن زيفه ، على النحو الوارد في قوله : « . . . ولد سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ـ تقريباً ـ وحفظ القرآن في حالة صغره فيما ذكره ، وهو غير ثقة . . . وذكر أن له نظماً ، لكنني حاولته في أن ينشدني منه شيئاً فما أمكنه ذلك ، ووعدني بأنه سيوقفني على شيء منه ، وأظنه كاذباً ، فإنه كثيراً ما ينشدنا لغيره فنجده غير موزون ، وهو دليل على عدم نظمه »(2) .

وقد يقابل المصدر المكتوب بمصادر أخرى شفهية أو مكتوبة ، مقيداً حكم المصدر الأول ، كنحو قوله : « . . . لا علم لي بشيء من حاله غير اعتقاد كثير من الناس له ، ووصفه بجميل ومعرفة تامة ، وتوجه للعوالم الملكوتية ، وكرم نفس ، ما اجتمعت به ، لكن أعرف هيئته وحسن مكانه .

ذكره الحافظ السخاوي ، فقال : المواهبي ، ممن نسب نفسه كذلك ، لتلمذة لأبي المواهب ابن زغدان ، قال : وقبله صحب الشيخ محمد بن عمر المغربي ، ولكن لم يرض الشيخ شأنه ، بحيث حض أصحابه على تركه . قال : وهو حنفي ، أخذ عنه إينال باي الفقيه ، قال : وذكره لي المحب ابن جرباش بسوء . قال : وقد جاور بمكة غير ما مرة ، منها سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة . قال : وانتمى إليه بعض العوام ، ووصفوه بالعرفان . انتهى كلام السخاوي (3) .

---

(1) المصدر السابق ق ٧٩ أ .
(2) نفسه ق ٢١٩ أ .
(3) راجع : السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ١٧١ ، حيث اختلاف العبارة .

والذي عرفته أنا من حاله ممن أثق به ، أنه كان مشهوراً بالخير ، وله تصانيف في التصوف جيدة ، له كلمات متينة ، وقفت عليها ، وكان أحد تلامذتي الشيخ برقوق الناصري يترجمه لي بفضل ودين ومروءة وكرم نفس ، وكذا ذكره لي تلميذه الشمس محمد الفارسكوري ، ووقفه لمحب الدين ابن جرباش على مرثية فيه تؤذن بخلاف ما قاله السخاوي : « لعله كان أولاً ثم رجع » (١) .

وقريب من هذا تقييدة حكم مصدره ـ وقد وثق به ـ استناداً إلى ما يعلمه هو من حال مترجمه ، على النحو الوارد في قوله مترجماً الشيخ باكير :

« . . . وقد وصفه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بقلة البضاعة ، وكثرة السكون ، مع أنه كان من أهل العلم ، وما علمت ما هو السبب في وصفه بذلك ، لعله أراد قلة البضاعة في علوم الأثر ، وإلا فلا ينكر فضله وعلمه .

ولما ترجمه البدر العيني في تاريخه حط عليه الحط البليغ ، مما لا يليق ونسبه إلى ما لا يليق به ذكر ، وكان السكات عن مثل ذلك أجمل وأكمل وأفضل ، سيما الأوليات ، فإن محققي أرباب الفن التأريخي مطبقون على عدم ذكرها ، لا سيما لمن حسن حاله بعد ذلك ، وعرف بالخير والدين ، فلا محل فيما ترجمه به من التحامل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله » (٢) .

وهكذا ، فإنه لوثوقه في مصدريه لم يرد روايتهما ، وإنما قيد نقد ابن حجر بانحصاره في « علوم الأثر » ، وقيد نقد العيني بانسحابه على « الأوليات » فقط .

* * *

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ٣٥ ب .
(٢) نفسه ق ٤٥ أ .

النقد التأريخي

النقد التأريخي لدى « عبد الباسط » ـ في هذا المؤلف ـ نقد موجه بحس ديني ، ومشرب صوفي ، يأنف من الزهو ، والشمم ، والتعاظم ، والتكالب على الدنيا ، والخروج على الشرع والدين ، أو الرقة فيه ، والإسراف على النفس ، بالانهماك في الملذات ، أو الاتجاه نحو البخل والشح ، أو التبذير ، والكذب ، وظلم الناس وأذاهم . . . ولذا نجده كثيراً ما يجرح مترجميه بنسبتهم إلى هذه الصفات والشيم ، ويعدلهم بنفيها عنهم ، أو بنسبتهم إلى ضدها ، كنحو قوله :

« . . . كان معجباً بنفسه ، تياهاً . . . ودام على ذلك مدة سنين ، مع صلف ، وتيه زائد ، وزهو شمم ، وتعاظم إلى الغاية ، ودعوى عريضة ، حتى أحدث الله ـ تعالى ـ به أضداد ذلك كله، فأخذ في الاشتغال بشأنه، والإقبال على الآخرة ، وترك شعر رأسه ، ونزع تلك العمامة ، فصار مكشوف الرأس ، وادعى المشيخة والفقر ، وحسن حاله ، وصحب المريدين ، وقدم طرابلس ، فأقام بها في أذكار وأوراد وسماعات ، واعتقده الناس ، ودام علي ذلك حتى مات » [(١)] .

وقوله مترجماً أخاه :

« . . . وكثر حرصه على الدنيا ، حتى صارت أكبر همه ، وأخذ في جمع المال بكل ما أمكنه من الطرق ، وبكل حيلة ، من معاملات ومستأجرات ، وسلف للناس بأنواع من حيل لا أحبها ، ولا يعجبني ما يبلغني عنه من الأحوال ، وكثرة الحرص على الدنيا والالتفات إليها . . . حتى قال لي من أخبرني عنه : أنه مع ما هو فيه من كثرة المال يبخل حتى على نفسه وجماعة بيته ، ولي عنه فوق العشرين سنة لم أره » [(٢)] .

---

(١) المصدر السابق ق ١٤٤ أ .

(٢) نفسه ق ١٨٢ ب .

وقوله :

« ... كان مشكور السيرة ، حسن السمت » [1] .

أو : « ... كان لا بأس به » [2] .

وعلى العكس من ذلك قوله :

« ... لم يكن مشكوراً » [3] ، أو : « ... كان غير مشكور كأبيه » [4] ، أو : « ... كان غير مشكور السيرة ، بل ولا السريرة » [5] ، أو : « ... لم تحمد سيرته ولا سريرته » [6] ، أو : « ... هو إنسان سيء ، غير محمود السيرة ، مسرف على نفسه » [7] .

وقوله :

« ... هو إنسان غير متجمل في أحواله ، مع إسراف على نفسه ، لكن عنده عصبية » [8] .

وقوله :

« ... كان مهملاً ، غير مشكور السيرة ، من مساوىء الدهر وقبائحه ، مسرفاً على نفسه ، منهمكاً في اللذات » [9] .

وقوله

« ... وهو شيطان في صفة إنسان ، يغتر به من سمعه يتكلم ، وهو كذوب مدلس ، غير محمود » [10] .

وقوله :

---

(1) المصدر السابق ق ٨٠ ب .
(2) نفسه ق ٥أ ، ٢٤ أ ، ٢٦٧ ب .
(3) نفسه ق ٧٩ ب .
(4) نفسه ق ١٢٤ أ .
(5) نفسه ق ٣٢٠ ب .
(6) نفسه ق ٢٦٤ أ .
(7) نفسه ق ٢٠٤ أ .
(8) نفسه ق ١٧٥ ب .
(9) نفسه ق ٢٥٦ ب .
(10) نفسه ق ١٨٤ ب .

« . . . كان إنساناً متهوراً ، كثير الخباط ، حاد المزاج ، غير محمود السيرة . . . جباراً ، عنيداً ، وشيطاناً مريداً ، كثير الإسراف على نفسه » (١) .

وقوله :

« . . . كان ينسب إلى رقة دين » (٢) .

وقوله :

« . . . كان من أعيان علماء عصره ، لولا ما شان سؤدده من نسبته إلى رقة في دينه » (٣) .

وقوله :

« . . . مع بخل وشح على ما يقال ، وإسراف في غير محله ، وهذا هو العجب » (٤) .

على أنه لم يقف بنقده عند جرح مترجميه وتعديلهم ، وإنما جاوز ذلك إلى إصدار العديد من التقاويم والأحكامْ ، على النحو الوارد في قوله مادحاً ابني « صارم الدين الجلباني » ـ آستادار السلطان ، في خداعهما للسلطة ، وقد انكسر على أبيهما مال ، فسجنا بسببه :

« . . . وألزمهما (السلطان) بكمال المال ، فأجاب إبراهيم ـ هذا ـ بالسمع والطاعة ، وأن القصد أن مولانا يأذن لهما بالتوجه لدمشق ليبيعا رباع أبيهما وأملاكه وتعلقاتهما ، ثم يبرأا من المال ، فسر السلطان بذلك ، وبعثهما ومعهما خاصكي كالكافل بهما ، فلما دخلا دمشق أخذا في بيع تعلقاتهما ، يتعجلان في ذلك ، وأخذا جميع ما حصلاه من المال ذهباً عيناً ، وكان شيئاً كثيراً ، وفرا ليلاً بعد أن نقبا من ظهر دارهما مكاناً وخرجاً منه ، وفازا بنفسيهما ، ولم يظفر بهما .

ونعم ما صنعا ، فإنهما جبرا » (٥) .

---

(١) المصدر السابق ق ١٧٠ ب .
(٢) نفسه ق ٩٠ ب .
(٣) نفسه ق ١٤٦ أ .
(٤) نفسه ق ٨٦ ب .
(٥) نفسه ق ٩ .

وهو إنعام مقترن بعلة الجبر (أو القهر) ، وكأنه اشتم تعسفا من السلطان في مسلكه معهما ، وإن جانبه الصواب في ذلك ، إذ لا يبعد أن يكون المال المنكسر على الوالد نتيجة لتحصيل هذه الثروة العينية ـ المباعة ـ من أموال الدولة .

وعتبه على السلطان ظلم أحد ولاته وجوره ، قائلاً ، وقد ترجم البصير ـ والي طرابلس :

« . . . رأيت في أيام ولايته العجائب والغرائب الصادرة عنه ، في ظلمه وجوره ، حتى بلغني وأنا هناك ، وشاع ذلك حتى بلغ حد التواتر . . . وليس العتب عليه في الحقيقة ، بل على موليه :

ومن يربط الكلب العقور ببابه فكل عقور الناس من رابط الكلب»[1]

(الطويل)

وانتقاده السلطان في إخراجه « أحمد بن يوسف السهروردي » من مملكته ، قائلاً :

« . . . ولقد أخطأ الظاهر (جقمق) بإخراج مثل ذلك الإنسان من مصر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فلو كان بها لكان موجوداً إلى الآن ، وبه النفع في الزمان »[2] .

وتنزيهه لمذهب الإمام أحمد بن حنبل ، قائلاً : « . . . كان حنبلياً فتشفع ، ولقبه بعضهم بالناجي لهذا ، وما عرفت ما الذي نجا منه ! لعله يشير إلى ما ينسب لبعض الحنابلة من التجسيم ، وإلا فمذهب الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ لا يطعن فيه ، ولا ينبغي أن يوصف من انتقل عنه بالناجي »[3] .

ونفيه صفة التصوف عن أحد مترجميه ـ جانبك الشيخ ـ قائلاً :

« . . . وهو يزعم أنه من المسلكين الموصلين إلى الله تعالى ، وأنه يعرف صناعة الخجز المكرم ، وله تهور وحال عجيب ، وقد أزوج ابنته بعقد ، عقدها

---

(١) المصدر السابق ق ٥٧ أ .

(٢) نفسه ق ١٤٢ ب .

(٣) نفسه ق ٣٥ أ .

بالشيخونية بشهرة زائدة وحركة كبيرة ، لا أرضى أن يكون فاعلها خديماً للفقراء ، فضلاً (عن) أن يكون منهم ، والله المستعان على هذا الزمان » [1] .

وإلزامه أحد مترجميه من اليهود ـ أبا إسحاق الإسرائيلي ـ بالإسلام ، على النحو المفصح عنه في قوله :

« . . . كان متمسكاً في دينه، يقر بنبوة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ـ ويخبر بأنه رسول الله إلى العرب، وغفل عن إخباره ـ عليه السلام ـ بأنه رسول الله إلى الكافة ، كما نطق به القرآن ، وهو ملزم إن اعتقد رسالته إلى العرب بإرساله إلى الكافة ، لأن من اعتقد بأنه رسول فبالضرورة أنه يعتقد صدقه ، وهو أخبر برسالته إلى العرب تصديقه ، وإلا يلزم تكذيب الرسول » [2] .

وتعجبه من عزل « الظاهر جقمق » للبرهان السويبني من قضاء مكة ، ثم توليته قضاء حلب ، مع ملازمة العلة الموجبة لعزله في حالتيه ، قائلاً :

« . . . ووقع له معهم (مع أهل مكة) أشياء ، ولم يجدوا سبيلاً إلا أنهم بعثوا للسلطان يقولون له : إنه لا يعرف اصطلاح الناس ولا ما هم فيه ، وأنه يخدع لسلامة باطنه ، ويحصل بواسطة ذلك بعض ضرر من التلبيس عليه ، إلى غير ذلك من نحو هذا ، فصرفه السلطان عنها .

فيا ليت شعري ، كيف ولاه حلب بعد ذلك ؟! » [3] .

التعصب والإنصاف في النقد :

حرص مؤرخنا على الإيحاء لمطالع معجمه ـ هذا ـ بأنه من المؤرخين المنصفين ، مشيراً إلى ذلك في مقدمته بقوله : « . . . وأرجو من الله ـ تعالى ـ أنني فيما قلته من المنصفين . . . ولم أقصد غيبة ولا نميمة ، والله على ذلك شهيد ، وهو حسبي فيما أحاوله وأريد » [4] ، ومنبهاً إليه في عدة مواضع من

---

(١) المصدر السابق ق ٢٦٧ أ .

(٢) نفسه ق ٢٢ أ .

(٣) نفسه ق ٢٠ ب .

(٤) نفسه ق ١ أ .

ترجماته ، ومنها قوله مترجماً ابن الكركي : « . . . وأما أنا ، فقد اتفق لي معه ماجرية لا فائدة لي في ذكرها ، إذ ربما يفهم السامع منها التحامل فيها ، فتركتها لذلك ، ولو عددنا ماجرياته نحو هذه الماجرية لطالت ، وأنا لا أحب الحسد »[1] ، وقوله مترجماً البرهان البقاعي : « . . . وهو أحد محدثي الديار المصرية ، وكتب له حافظ العصر ابن حجر بخطه : الحافظ ؛ وأنكر جمع ذلك على الحافظ ابن حجر حسداً ، وإلا فهو جهبذ النقد ، ومحك الرجال من أهل الحل والعقد ، وكيف ينكر عليه ما يكتبه بخطه ، بل كيف يكتب هو ما لا يعلمه ، هذا لا يليق ، فلا عليك بمن أنكر ، والحق أحق أن يتبع .

على أنني لا رضى لي عن البرهان البقاعي بسبب غضه من شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي ، ومع ذلك فإنني أقول الحق ولا أحود عنه، على أنني لم آخذ عنه شيئاً ، حتى ولا فائدة من الفوائد ، رعاية لخاطر شيخنا المذكور ، فإنه كان يؤذيه بأشياء كثيرة تبلغه عنه ، كنت لا أجدها له ، إذ ليس ذلك من الإنصاف على ما هو المعروف المحسوس الظاهر »[2] ، مقدراً ما للإنصاف في النقد من أهمية في ذيوع مؤلفه ومدحه ، على النحو الوارد في قوله مترجماً ابن أبي عذيبة : « . . . وولع بالتاريخ ، وجمع منه جملة ودونها ، لكنه كان يسلك في تاريخه مساوىء الناس ، ولهذا لم يظهر بعده ، ولم يكن متقناً ، ولا شكر ، وقدح في تاريخه من جماعة كما قدح هو فيه جماعة »[3] .

سالكاً في « الإنصاف » ثلاثة مسالك متميزة ، تمثلت في :

أ ـ الموازنة بين مساوئ مترجميه ومحاسنهم :

ويمثله قوله مترجماً « الظاهر تمربغا » : « . . . كان ملكاً لائقاً ، فقيهاً ، فاضلاً بالنسبة لكثير من أبناء جنسه ، يستحضر الكثير من المسائل الفرعية وغير ذلك ، وله مشاركة حسنة في كثير من التواريخ والأدبيات والشعر ، جيد المذاكرة ، حسن المحاضرة ، ذا قريحة وفطنة وحذق وذكاء وعقل تام وتدبير صائب وسياسة وكياسة ، وجودة رأي ، وحسن سمت وتؤدة ، وفصاحة لفظ

---

(١) المصدر السابق ق ١٤ أ .

(٢) نفسه ق ٢١ أ .

(٣) نفسه ق ١٣٠ ب .

بلغتي الترك والعرب ، عفيف اللسان ، ذا حشمة وأدب ، وحسن مداراة للناس ، ومحبة لأهل العلم ، وله معرفة بكثير من الصنائع من أعمال اليد ، منها : مهارته في عمل القوس العربية بيده ، وكذا تجويد السهام وعملها ، أستاذاً في ذلك ، رأساً في رمي النشاب ، لعله انتهت إليه الرياسة في ذلك ، ومع ذلك فكان آية في لعب الرمح وأندابه وتعاليمه ومعرفته ، وسائر فنون الفروسية ، من الضرب بالسيف ، رأساً في الدبوس ، وتخرج به جماعة فيه من الأعيان ، وكان له خبرة ومعرفة بفن اللجام والمهماز (و) معرفة الضرب به بسائر أنواعه ، وكان كثير التجمل في ملابسه ومراكبه ومأكله ومشاربه وسائر شئونه ، يقترح في ذلك أشياء غريبة ، وأخر مفردات انفرد بها ، تنسب إليه إلى يومنا هذا .

وأما معايبه ، فكان يتهم بالميل إلى العبيد الحبش ، ولولا شاع ذلك عنه إشاعة فاحشة كان يمكننا أن نسكت عن ذلك (١) ، لكنه فشا ذلك عنه ، والله أعلم بصحته .

وكان يقوم ـ أيضاً ـ في أغراض نفسه قياماً تاماً ، مع بعض خداع ومكر وإثارة فتن وتكبر على الخلق ، لكن زال عنه التكبر حين سلطنته ، ولعله للتمكن كما ذكره بعضهم عنه على ما قدمناه ، وكان كثير التعصب لمذهب أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وكثير التشديد على مذهب الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ظناً منه أن ذلك مما يقربه إلى الله ـ تعالى ـ وكفى ، وما هذا إلا من عدم دربته ، وإلا فما لنا ومذاهب الأئمة الأعلام ، مجتهدي علماء الإسلام ، رضي الله عنهم أجمعين ، وجزاهم خير الجزاء في يوم الدين ، آمين » (٢) .

ب ـ مقابلة الرأي بالرأي الآخر ، مصوباً أحدهما ، أو معلقاً الحكم فيهما :

---

(١) هذه الرغبة في « السكات » ليست مداراة من مؤرخنا ، ولكن تجملاً ، لإدراكه أن الأتراك ـ غالباً ـ لا يتعففون ، على النحو الوارد في قوله (المصدر السابق ق ٩٦ أ) مترجماً الأشرف إينال : « . . . إذ العفة في هؤلاء الأتراك ولو ظهرت فالغالب في الباطن بخلافها » .

(٢) نفسه ق ٢٥١ .

ويمثله قوله مترجماً أيتمش من أوزباي الناصـري : « . . . وكان مسـرفاً على نفسـه ، مـع بخـل وجبن على مـا قيـل ، ورأيت من ذكـره بخيـر ، والله أعلم » [١] .

وقوله مترجماً إينال المحمدي الأشرفي : « . . . وهو شاب حسن ، يذكر عنه حسن السيرة والخير والمعروف ، ورأيت من يذمه ، والله أعلم » [٢] .

وقوله مترجماً ابن الميلق : « . . . ونسبه بعضهم إلى عدم الوثوق به فيما يخبره ، وإلى الجهل المفرط ، والتهور ، والله أعلم . وفي هذا تحامل ظاهر ، قبح الله ـ تعالى ـ قائله » [٣] .

جـ ـ مناقشة مصادره فيما أصدرته من تقاويم وأحكام، نشداناً للنصفة ، وابتغاء الحق :

ويمثله قوله مترجماً أزبك الطويل : « . . . وما يذكر عنه من أنه كان يحط على الفقهاء والعلماء، وأنه كان سيء العقيدة فيهم ، فليس كذلك إن صح عنه من خبث اعتقاده ، بل من تدينه ، بحيث كان يطلع على أحوال علماء زماننا هذا أو قضاتهم ، وما ينسب إليهم من الأشياء التي السكات عنها أجمل ، ويدعون مع ذلك أن هذا دين الله وشرع رسوله ، فكان هـو ـ أيضاً ـ يحط عليهم لأجـل ذلك ، وما يذكر عنه من سوء عقيدة فلا نعلمها عليه » [٤] .

وقوله مترجماً البرهان السوبيني : « . . . وأكثر ملازمة ابن حجر ، وكان معظماً عنده ، وترجمه ترجمة جيدة تليق به ، وحسده بعض تـلامذة ابن حجـر على تلك الترجمة ، حتى قال : إنها فوق ما يليق به ، وما أنصف في ذلك من وجهين :

أحدهما اعتراضه على شيخه حافظ العصر ، محدث الزمان والميزان .

والثاني هضم حق هذا الإنسان .

---

(١) المصدر السابق ق ١٨٧ ب .
(٢) نفسه ق ١٩٦ ب .
(٣) نفسه ق ٢ ب .
(٤) نفسه ق ١٥٩ ب .

وناهيك من ترجمه مثل ابن ابن حجر ، فكيف يقبل قول من قال خلافه بعده » (١) .

وهو إنصاف لمترجمه ، مدعوم بإجلاله لابن حجر ، ومعرفته بمكانته . ثم هو منصب - كذلك - على « السخاوي » - مصدره في ترجمة السوبيني - وقد جاءت عبارته فيه على النحو التالي :

« . . . وقد راج أمره على شيخنا ، فإنه قال : إنه شافعي المذهب ، كثير المعارف في عدة علوم ، رأس في الفرائض ، وهو اليوم عالم طرابلس ، يشغل في فقه الشافعية والحنفية . . . » (٢) .

وشاركه في ذلك « البرهان البقاعي » ، ناعياً على « ابن حجر » امتداحه له ، بل والتوسط له لدى « الظاهر جقمق » حتى ولي قضاء مكة ، عوضاً عن « المحب الطبري » (٣) .

وقرينة ذلك لديهما ، أنه : « لصقت به أشياء فيها مزيد تنطع مع غفلة وسذاجة ويبس وعدم دربة بالجملة » (٤) .

وقوله مترجم برسباي البجاسي: «. . . وما ذكره بعض المؤرخين في ترجمة برسباي هذا في مثل هذا المحل من قوله : وليت الملك الظاهر خشقدم عرف له ذلك ، بل أخرجه بعد قليل إلى طرابلس ، ثم نقل بعد نيابة طرابلس إلى نيابة الشام - كلام فيه (من) عدم المعرفة ما لا يخفى ، كيف ما عرف له ذلك وأبقاه على الأمير آخورية الكبرى مدة ، مع كونه صهر عدوه ، ثم نقله إلى رتبة هي أعلى منها ، وهي نيابة طرابلس - على ما اعترف به القائل - بعدما عرف له ذلك ، ثم نقل إلى نيابة الشام ، وأي معرفة أعظم من هذا ، وما آذاه ولا سجنه، ولا ضيق عليه ، بل ولا أخرج عنه شيئاً وأبقاه معطلاً » (٥) .

---

(١) المصدر السابق ق ٢٠ أ .

(٢) السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ١٠١ .

(٣) البقاعي . عنوان الزمان ج ١ ص ١٤١ .

(٤) السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ١٠١ .

(٥) عبد الباسط - الحنفي . المجمع المفنن ق ٢٠٩ ب .

وهو قول مؤسس على قول ابن تغري بردى في مترجمه : « . . . فلم تكن مكافأة برسباي هذا للأشرف إينال على ما خوله من النعم إلا أنه لما خرج القوم على ولده الملك المؤيد أحمد بن إينال غدره ومال إلى الملك الظاهر خشقدم ، فعابه كل أحد على ذلك ، وليت الملك الظاهر خشقدم عرف له ذلك ، بل أخرجه بعد قليل إلى نيابة طرابلس ، ثم تنقل بعد نيابة طرابلس إلى نيابة الشام ببذل المال ، ولم يتهنأ بدمشق ، بل مرض وطال مرضه إلى أن مات » [1] .

وقوله مترجماً التقي المقريزي : « . . . ولما ترجم شيخ الإسلام البدر العيني [2] ـ رحمه الله ـ التقي هذا ، قال في أثناء كلامه في ترجمته : وكان مشتغلاً بكتابة التواريخ ، ويضرب الرمل ، تولى الحسبة بالقاهرة في آخر أيام (الملك) الظاهر برقوق ، ثم عزل بمسطره ، ثم تولى مرة أخرى في أيام الأمير سودون ابن أخت الظاهر ، الدوادار الكبير ـ أيضاً ـ عوضاً عن مسطره ، (بحكم أن مسطره) عزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور .

انتهى .

ولما ذكر ابن تغري بردى ترجمة التقي هذا ، نقل عن البدر العيني ـ رحمه الله ـ صدر هذا ، وهو قوله : وكان . . . إلى قوله : الرمل ، ثم قال عقيب ذلك : وكلام الأقران في أقرانهم غير مقبول [3] .

انتهى .

أقول : وهذا لعله كلام مهبول ، إذ هو في غاية السفالة ، بل والبذالة وقلة الأدب والحياء ، وعدم المعرفة ، إذ لا نسلم أولاً أن كلام الأقران في أقرانهم غير مقبول ، لأنه إن لم يقبل كلام من كان مقارناً للإنسان ، عارفاً بجميع أحواله وسيره ، فلأن لا يقبل كلام الغير من باب أولى ، ولا سبيل لذلك ، إذ فيه من الفساد ما لا يخفى . وأيضاً كلام العيني في المقريزي ليس بكلام باطل ، أو كذب ، لا حقيقة له ، حتى لا يقبل ، لعلمنا ـ قطعاً ـ بصدق ما قاله ، فإنه بين الواقع ، إذ لا ينكر أحد كون المقريزي كان يكتب التاريخ ، ويعرف علم الرمل

---

(١) ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣٥٢ .

(٢) راجع : البدر العيني . عقد الجمان (ط. الزهراء) ص ٥٧٤ .

(٣) راجع : ابن تغري بردى . حوادث الدهور ج ١ ق ٨ .

ويضربه ، فكيف لا يقبل هذا ، وليس فيه ما يشين المقريزي ، ولا ما منقصة ؟! حتى لو ذكر العيني عن المقريزي ما منقصة ، قبلناه لعلمنا بتقيته ، فكيف بكلام مقبول عند الكافة ، ويعرف كل أحد صحته .

فلا شك أن هذا القول صادر عن غير مسكة ، وللجمال ـ هذا ـ مثل هذا وأشباهه أشياء كثيرة » (١) .

وقوله مترجماً البرهان ابن خضر : « . . . ولما ترجمه الجمال ابن تغري بردى : صاحبنا ـ قال في أثناء ذلك : وعدّ من الفضلاء ، إلا أنه كان دنس الثياب ، غير ضوئي الهيئة ـ انتهى (٢) .

وهو كما تراه كلام ساقط الاعتبار ، فيه من قلة الأدب ما يرجع إلى قائله العار ، فإن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان ماشياً على طريقة السلف من إطراح التكلف وإيثار الخمول ، بحيث كان لا يتحاشى عن لبس ثوب دنس ونحوه . مع ما كان عليه من طهارة الباطن ونظافته ، ومع ما كان عليه ـ أيضاً ـ من كثرة الأسقام ، لا سيما وكانت الترك تعتريه دائماً ، وذلك مما يوجب إدامة العمامة على رأسه على ما هي عليه ، وعدم التكلف في لفها ، وغسلها في كل قليل ، وهو معذور في ذلك ، وليس الخبر كالعيان ، فإنني مجرب للترك ، وأنا منها في حالة صعبة ، فلا يعاب على الشيخ ما هو معذور فيه إن لو كان عيباً ، فضلاً عن أن يكون مباحاً جائزاً ، والأصل بهاء الصورة ومعناها ، لا بهاء الثياب وما ضاهاها ؛ ولقد كان صاحب الترجمة في بهاء الصورة وإضاءتها وحسن المعاشرة وفكاهة المحاضرة وخفة الروح على ما كان عليه من السمن إلى المنتهى » (٣) .

وقوله مترجماً بايزيد التمربغاوي : « . . . ولما ترجمه الجمال يوسف بن تغري بردى قال في ترجمته (٤) : لم يشهر في عمره بشجاعة ولا كرم ، وكان إذا توجه في مهم للسلطان مع من سافر من الأمراء ووقع الحرب يدخلونه في الوطاق

---

(١) عبد الباسط الحنفي . المجمع المفنن ق ١٠٣ ب ـ ١٠٤ أ .
(٢) ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٥ .
(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ٧ ب .
(٤) ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠٨ .

ليحرس الخيم ، وكذا جعله الأشرف إينال في يوم الوقعة مع المنصور عثمان ، يجلس على الباب ـ انتهى .

أقول : مراد الجمال بهذا الكلام الاستدلال على عدم شجاعته ، وما علمت من أين يستدل بهذا على ذلك ، لأنه لا يحرس الوطاق إلا من له شجاعة وكفاءة ، كذلك لا يحرس الباب ـ أيضاً ـ إلا من هو كذلك غالباً ، اللهم إلا إن كان عنده علم بذلك قبل ذلك يستند إليه ، وإلا فلا مستند بهذا على ما ذكره عن صاحب الترجمة . ولقد ذكر لي صاحبنا الشرفي يونس ابن الأمير قانيباي عن صاحب الترجمة محاسن جمة وخير ، مما لا شك في ذلك ، لثقة الشرف هذا ، فحينئذ ما قاله الجمال من باب الغرض والتحامل » (١) .

وقوله مترجماً آقطوه الموساوي المهمندار : « . . . وذكره صاحبنا الجمال ابن تغري بردى ، ثم قال في ترجمته : وسألني مرة سؤالاً ، وابتدأ في سؤاله بقوله : باب ، فقبل أن يتم السؤال قلت له : باب ، مرفوع على أي وجه . فسكت ، ثم قال : هذا شيء لم أسمعه منذ عمري ؛ فضحك جميع من حضر ، ولم يسألني بعدها إلى أن مات ـ انتهى كلامه (٢) .

وقد عرفت ما فيه من قلة الحياء ، وعدم معرفة الآداب ، إذ لا يجوز أن يسأل السائل بعد تمام سؤاله حتى يجاب ، فضلاً عن أن يقطع عليه السؤال ، ويسأل قبل تمامه ، وهذا شغل الجهلة العوار . وأنت ترى هذا المسكين كيف يفتخر بذلك ، ثم ما عرفت أنا هل ضحك من حضر كان من سماع كلام آقطوه كما هو الظاهر من مراد ابن تغري بردى ، أو هو من سماع كلام ابن تغري بردى ، الذي هو الحري بأن يضحك منه ، والظاهر أن الضاحكين إن كانوا ممن ينسبون إلى طلب علم ولو في الجملة ولهم بعض فهم فضحكهم من المسؤول الذي عاد سائلاً قبل تمام السؤال ، بقوله : باب، مرفوع على أي وجه ، إذ هو ظاهر يضحك منه ، ومن الذي قبله ، بخلاف التركي ، إذ قل أن يضحك من كلامه ، وإن كان الأمر كذلك فهذه مصيبة عظمى ، كون الضحك منه ، وفهم

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ١٩٩ ب .

(٢) راجع : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٦ .

أنه من آقطوه . وإن كانوا من أهل الجهل فلا عبرة بضحكهم ، بل يظهر منه زيادة جهلهم ، لأن القائل : باب ، مرفوع على أي وجه ، أحق وأولى بأن يضحك منه ؛ وعليه من القائل : هذا شيء لم أسمعه منذ عمري ، أو لعل آقطوه أدرك وتهكم » (١) .

تلك أمثلة خمسة تتبع فيها مؤرخنا أوهام « ابن تغري بردى » بدافع الإنصاف ، أو « ذكر الواقع » .

ففي **المثال الأول** منها ، نجد خطأ « ابن تغري بردى » بيناً ، في الانصراف إلى تقرير عدم مكافأة « الظاهر خشقدم » لمترجمه ، على النحو المنبه إليه لدى مؤرخنا .

وفي **المثال الثاني** ، نجد أن فهم كليهما كان متوازياً وصاحبه ، فابن تغري بردى قد فهم من اقتصار عبارة « العيني » المترجم بها للتقي المقريزي على « كتابة التاريخ وضرب الرمل » من سائر العلوم التي اشتغل بها التحامل على مترجمه ، والحط من مكانته ، ولذا أسقط « كلامه » فيه ، معللاً : « . . . وأما التباين الذي كان بينهما فمعروف » (٢) . وإن كان في تعميمه رد « كلام الأقران في أقرانهم » موطن الخطأ .

و « عبد الباسط » قد وجد أن في نسبة كل هذا إلى « العيني » غاية الغبن والخطأ ، له ولمترجمه ، فهو ـ في فهمه ـ كلام من « العيني » في حق « المقريزي » صحيح الواقع ، كما أن الاشتغال بهذين العلمين مما لا ضرر فيه ، فضلاً عن أن تعميم رد « كلام الأقران في أقرانهم » فيه من « الفساد » ما لا يخفى .

وبمعنى آخر ، أن كلاً منهما فهم من العبارة ما لم يفهمه صاحبه .

وفي **المثال الثالث** ، نجد « ابن خضر » معاباً في قول « ابن تغري بردى » ـ حيث وصفه بدناسة الثياب ، وعدم إضاءة الهيئة ـ وهو قول موجه بنقد مستمد من مشرب صاحبه ، أحد أولاد الناس ، المنعوت لدى مترجميه ، ومنهم مؤرخنا

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ١٧٨ ب ـ ١٧٩ أ .

(٢) ابن تغري بردى . حوادث الدهور ج ١ ق ٨ .

« بحسن الهيئة ، والشكالة ، والتجمل في شئونه » ، بينما نجده في قول « عبد الباسط » ممدوحاً ـ حيث « بهاء الصورة ومعناها ، لا بهاء الثياب وما ضاهاها » ـ وهو قول موجه بنقد مستمد من مشرب صوفي متجرد ، امتاز به مؤرخنا ، وإن انتسب ـ كذلك ـ إلى طبقة أولاد الناس ، مع إقراره بما ذهب إليه « ابن تغري بردى » في مترجمه من « دناسة الثياب » ، وتعليله لذلك .

وفي **المثال الرابع** ، نجد تحامل « ابن تغري بردى » واضحاً في نسبته « بايزيد » إلى الجبن (أو عدم الشجاعة) ، إذ أن المهام المسندة إليه ، والمستخلص منها حكمه هذا ، فضلاً عن ما عرف عنه مما لا يفيد في إلصاق هذا النعت به .

كما أن إساءة الأدب في التخاطب بينة في **المثال الخامس** ، فضلاً عن التصريح بالواقعة الملابسة لها .

وإن كان مؤرخنا قد ناقشه من خلالها بألفاظ حادة وعبارات متهجمة أو جارحة ، إذ ربما يرجع ذلك إلى ما تقرر لديه ـ وقد اطلع على قدر لا بأس به من مؤلفات ابن تغري بردى ـ من أنه صاحب « خبط كبير ، ووهم كثير ، وكذب وأباطيل . . . وقصارة فهم » (1) ، مما جعله يفصل بين ما له عنده من حق المودة والصحبة ، وما « للواقع » من حق المعرفة ، ولذا نجده يترجمه ناعتاً له بقوله : « . . . لكنه كان حسن السمت والملتقى ، كثير البشر والبشاشة والتؤدة . . . مع حسن الهيئة والشكالة ، والتجمل في شئونه ، وكان عاقلاً ، سيوساً . . . معدوداً من فضلاء بني جنسه من أولاد الناس . . . وله وجاهة وذكر وشهرة . . . عفيفاً ، نزهاً ، لطيف الذات والمزاج ، وكان يتدين ، ويظهر الخير والتقوى ، ومحبة العلم والعلماء وأهل الفضل » (2) ، مشيراً إلى مقصده من تتبع عوراته ، وكشف أوهامه ، بقوله :

« . . . على أنني ـ بشهادة الله تعالى ـ لا أقول ذلك لغرض عندي ، أو على وجه هضم مقداره ، بل أذكر الواقع ، وقد نبهنا في كثير من المواضع في

---

(1) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ٤ ق ٢٥٩ أ .

(2) نفسه ج ٤ ق ٢٥٩ ب .

تاريخنا هذا على أشياء من سقطاطه وأوهامه وغلطاته وتحامله وغير ذلك ، يظهر ذلك لمن تأمل تاريخنا هذا » [1] .

وعلى العكس من ذلك ، نجد مؤرخنا يحط من المنزلة الشعرية لبعض مترجميه ، ناعياً على « ابن تغري بردى » نسبته إلى الجودة في الشعر ، والتفوق فيه ، مشيراً إلى أنه تعسف منه في إنصافه ، قائلاً في أثناء ترجمته لتغري برمش الجلالي ، المعروف بالفقيه :

« . . . وله نظم فيما زعم عن نفسه ، ومنه قوله فيمن اسمه شقير ، أو يقال له شقير :

تـفـاحُ خَـدّيْ شُقَيْـرَ فيـه مِـسْكـيُّ لـونٍ زَهَـا وأزْهَـرْ
قـد بانَ منـه النَّـوَى فـأضحى زَهْـرِيَّ لـونٍ بخـد مُشعَـرْ
(مخلع البسيط)

وليس بقاعد في معناه ، تأمله يظهر لك بفحواه .

وله ـ أيضاً ـ شعر باللغة التركية ، فيما ذكر هو عن نفسه ـ أيضاً ـ من هذا القبيل ، وطنطن صاحبنا الجمال يوسف بن تغري بردى في جودة شعره ، وأنه يفوق على كثير من شعر الشعراء ، وأنى له المسكين بمعرفة الشعر حتى يقول : إن شعر تغري برمش الذي عارض به شاعر الروم المعروف بشيخي غاية لا تدرك ، يعجز عنها فحول الشعراء ، فلعل هذا مصاب في عقله ، ولا نعرف منه ذلك ، أو جاهل بتراكيب اللغة التركية وانسجام الكلام والتئام المعنى واللفظ . بل المعاني بعضها ببعض ، كما طنطن في المقطوع المتقدم في شقير ، لما فيه من ذكر التفاح والمسك والزهور والزهر والبين والنوى والزهري والمشعر ، ولفظة بان الذي من البين ، كما ذكرناه ، مع قطع نظره عن تركيب معنى هذه المفردات ، وانسجام بعضه ببعض ، بل نظر إلى مجرد المفردات التي في المقطوع ، فهو ناظر للصور لا للمعاني ، وكل ما ذكرناه من الانسجام والتئام المعنى لا وجود له في هذا المقطوع ، لا سيما وقد كرر لفظة لون في البيتين ، على أنه ليس في الألوان لون يقال له الزهري ، وليت شعري ، إذا كان بان

(1) المصدر السابق .

النوى بمعنى زال وبعد ، كيف يبقى الوجه مجروحاً أو مخمشاً أو مبخشاً ، أو غير ذلك ! وإذا كان بان بمعنى ظهر ، كيف يكون ذلك الوجه الذي يظهر نواه ، وما هو ذلك النوى ؟

فتأمل في هذا وفي بقية المعنى في أوله وفي باقيه ، يظهر لك ما فيه ، وإن كانت مفرداته جيدة ، من حيث الإفراد ، فليست بجيدة من حيث التركيب ، فرحم الله من أنصف ولم يتعسف » [1] .

وهكذا فإن الإنصاف في النقد لدى « عبد الباسط ـ الحنفي » يعني إثبات ما للمترجم له وما عليه ، رفعاً أو خفضاً .

الخطأ والصواب في النقد :

من الأمثلة السابقة نجد أن مؤرخنا كان مصيباً في كثير من جوانب النقد لديه ، لكن إصابته في النقد لم تكن دائماً ، إذ ربما وقع له الخطأ فيه ، على النحو المنبه إليه في امتداحه مخادعة ابني صارم الدين الجلباني للسلطان ، وفرارهما بما حصلاه من المال [2] ، ورده مقولة « السخاوي » في « البرهان السوبيني » ، المعقبة على ترجمة شيخه له [3] ، ونعته « ابن تغري بردى » بقلة الأدب ، ونسبته كلامه في حق « البرهان ابن خضر » إلى سقوط الاعتبار ، والعار ، مع ما لكلامه فيه من واقع ملموس ، أقر به مؤرخنا معللاً [4] .

بل لقد أنف من تعقيب معاصريه من المؤرخين على مصادره المتقدمة ، كالمقريزي وابن حجر العسقلاني والبدر العيني ، وكشف أوهامها ـ وإن أباح لذاته في مواضع متعددة من معجمه التعقيب عليها ، كشفاً لما يعتريها من وهم أو تناقض [5] ـ إجلالاً منه لها ، وهو إجلال لا ينقصه ـ بلا ريب ـ إظهار الحقيقة أو تصويبها ، على نحو ما فعل هو بابن تغري بردى في الأمثلة السالفة ؛ إذ نجده

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ٢٣٧ ب ـ ١٣٨ أ (= ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣١ ـ ٥٣٢) .

(٢) راجع : ص ١٢٨ من هذا الكتاب .

(٣) نفسه ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٤) ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٥) نفسه ص ٤٩ ـ ٥٠ .

على العكس من ذلك ـ تماماً ـ يتساهل في دفع الوهم عن المصدر القديم ، أو التعليل له ، ناسباً الوهم إلى المصدر المعاصر المنبه إليه ، كنحو قوله مترجماً التقي المقريزي :

« . . . مات في يوم الخميس ، سادس أو سابع عشرين شهر رمضان سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، ودفن في يوم الجمعة بمقابر الصوفية ، خارج باب النصر .

وقد ذكر شيخ الإسلام العيني [١] وفاته يوم الجمعة ، وقال : تاسع عشرين شعبان ، وهو سهو منه في العدة ، ولعله سبق قلم في الشهر ، أراد أن يكتب رمضان ، فسبقه القلم إلى كتابة شعبان ، وأما اليوم ، فلكونه دفن فيه ، فظنه يوم وفاته .

وذكر ابن تغري بردى [٢] أنه توفي يوم الخميس ، سادس عشر رمضان ، ثم ذكر ما قاله العيني ووهمه ، والحال أنه هو الذي وهم » [٣] .

إذ الوهم بين في تأريخ « العيني » لوفاة « المقريزي » ، والتحايل أو التساهل في دفع الوهم ، أو صرفه إلى السهو ، وسبق القلم ، والظن ، بين ـ كذلك ـ في قول مؤرخنا .

كما أن من الخطأ في النقد لديه تلك النعوت والعبارات الجارحة الموجهة إلى « ابن تغري بردى » ، على النحو المدرك قبل .

* * *

---

(١) راجع : العيني . عقد الجمان (ط. الزهراء) ص ٥٧٤ .
(٢) راجع : ابن تغري بردى . حوادث الدهور ج ١ ق ٨ .
(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . المجمع المفنن ق ١٠٤ أ .

تقويم مادة الكتاب

ما من شك في أن هذه القطعة المتبقية من « المجمع المفنن » تعد على جانب كبير من الأهمية ، سواء للترجمة فيها لعدد وافر من المترجمين ممن لا ذكر لهم في المعاجم المعاصرة ، أو بالكشف من خلال ترجماته عن حياة المجتمع في عصره ، على النحو المفصح عنه في العرض لعناصر الترجمات ، وكذا الإسهام في الترجمة الذاتية لمؤلفه ، أو في التصويب من خلال مادته لكثير من أخطاء المصادر المعاصرة .

كما أنه يعد بعداً تأريخياً لمؤلف آخر له ، هو « الروض الباسم » ، بما ترجم فيه لأعلام الأحياء ـ ممن لم يترجموا هناك ـ وكان لهم دورهم في توجيه حوادث حولياته ، وإن كان لا غني عن « الروض » في كثير من ترجمات « المجمع » ، لما اعتاده مؤرخنا من اقتضاب عناصر الترجمات فيه ، محيلاً إلى الروض [1] ، على النحو الوارد في قوله :

« . . . وقد بينا هذا كله مستوفى في تاريخنا الروض الباسم ، في أوقات وقوعه ونزوله » [2]

وقوله :

« . . . وقد ذكرناه مفصلاً بعض التفصيل في تاريخنا الروض ، فليرجع إليه من أراده » [3] .

---

(١) المصدر السابق ق١٤ب، ٢١ب، ٢٢أ، ٥٦، ٦٧أ، ٧٦ب، ٨٢ب، ٨٧أ، ٩٠ب، ٩١ب، ٩٢ب ، ١٠٠ب ، ١٠٣ب ، ١١٥أ ، ١٤١أ ، ١٤٢ب ، ١٤٦ب ، ١٤٧أ ، ١٥٣ب ، ١٦٣أ ، ١٦٥أ ، ١٦٨أ ، ١٧٦ب ، ١٨٧ ، ٢١٣ب ، ٢١٧ب ، ٢٢٠ب ، ٢٣٢ب ، ٢٤٠ب ، ٢٤٦ب ، ٢٤٧أ ، ٢٥٣أ ، ٢٦٠أ ، ٢٦١أ ، ٢٦٤أ ، ب ، ٢٢٥أ .

(٢) نفسه ق ٢ ب .

(٣) نفسه ق ٢٢ أ .

وقوله :

« . . . وقد ذكرنا جميع تنقلاته وولاياته في تاريخنا الروض الباسم ، في أوقات وقوع ذلك ونزوْله في محاله » [1] .

وإن أخل بهذه القيمة العلمية المنشودة من « المجمع » عمد مؤرخنا إلى تدوينه في فترة زمانية من حياته ، اتسمت بفقدان قدر كبير من الذاكرة [2] ، وضياع أكثر المسودات [3] ، ونزوع نحو التصوف [4] ، المقتضي الإعراض عن الدنيا ، والانزواء عن كثير من مترجميه ، سواء كانوا من الأمراء ، أم من أصحاب الجاه وغيرهم ، ممن كانوا على صلة بأبيه [5] ، فانعكس كل هذا على

---

(١) المصدر السابق ق ٥٢ب .

(٢) يكشف عن ذلك قوله (المصدر السابق ق٢٣٠أ): « . . . وكنت أحفظ عنه الكثير من شعره . . لكنه شتت ـ الآن ـ عني ، إلا ما أثبته ههنا » ، وقوله (نفسه ق ١٥ أ) : « . . . له نظم حسن جداً ، حفظ منه الكثير ، ولم يحضرني منه ـ الآن ـ ولا البيت الواحد » ، وقوله (نفسه ق ٩١ أ) : « . . . وكنت علقت شيئاً من أحواله ، وغاب ذلك عني الآن ، وما وقفت عليه » .

وراجع : ق ١٠٨ أ ، ١٣٤ أ ، ١٦٧ ب ، ١٨٦ أ .

(٣) يكشف عن ذلك قوله (نفسه ق ١٣٨ أ) : « . . . وكان موته في سنة خمس وستين وثمانمائة ، ولم أحرر شهر ذلك ، وكان مثبتاً عندي ، فضاع بضياع الأوراق ، وغسل كثير من مسوداتي ، لأمر أوجب ذلك ، بل وضاع الكثير مما كنت علقته من أخبار أحمد هذا وأحواله » ، وقوله (نفسه ق ٢٣٠ أ) : « . . . وكتبت عنه من نظمه شيئاً كثيراً ، وأنشدني إياه ، لكنه شتت ـ الآن ـ عني ، إلا ما أثبته ههنا ، وضاع المكتوب ـ أيضاً ـ لكنه له ديوان شعر ، لو وجدته لعلمت منه ما كان أنشدنيه ، وعساني أظفر به فأثبته بعد ذلك بمكان آخر » .

(٤) يكشف عن ذلك قوله (نفسه ق ٣٥ ب ـ ٣٦ أ) : « . . . وكنت أنا لما رجعت من الأندلس إلى وهران مع جملة من الكتب (التي) حصلتها بتلك البلاد وغيرها ، مما كان معي من كتبي ، نحو الأربعين مجلدة ، وقفتها بزاويته ، لما كنت تركت التعلقات الدنيوية ، وحصل لي بعض توجه إلى ذلك الجناب ، فيا ليت ذلك لو دام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . . . وقد علقت الكثير من أخباره وأحواله ، ولما أخذت في الشبيبة بما لم يثبت لي من الحال ضيعت جميع أوراقي ، بل وغسلت الكثير منها ، فضاع ما كان متعلقاً بالشيخ ـ رحمه الله ـ في ذلك ، وهذا الذي ذكرته لفقته بعد ذلك بنحو العشرين سنة بفكري الفاتر ، وعزمي القاصر ، وأنا أرجو الله ـ تعالى ـ أن ينفعني بصاحب هذه الترجمة ، وأن يرضى عنه ويرحمه » .

(٥) صرح مؤرخنا بذلك في مواضع عديدة من ترجمات كتابه ، ومنها قوله (المجمع المفنن ق ١٩٨ أ) في أثناء ترجمة إينال اليحياوي : « . . . وانفض المجلس بعد أن أكد عليّ ألا أنقطع عنه في كل قليل ، فلم أعد إليه بعدها ، إذ لم أتوجه إليه باختيار مني ، بل لأجل شيخنا رحمه الله » .

مادة الكتاب ، التي شاع فيها الجهل بحال الكثير من المترجمين ، أو بعضها ، والتظنين ، وعدم التثبت من المعلومة المدونة في مواضع كثيرة ، بل والتسليم ببعض الخرافات أو مستغربات الحدوث .

كنحو قوله : « . . . لا معرفة لي به » (١) .

وقوله : « . . . ولم أعرف شيئاً عن أحواله لأذكرها » (٢) .

وقوله : « . . . لا أعلم شيئاً من أحواله » (٣) .

وقوله : « . . . ولم نعهد شيئاً من حاله » (٤) .

وقوله : « . . . وأظن ذلك بعد وفاة التفهيني » (٥) .

وقوله : « . . . مات بعد السبعين وثمانمائة ، فيما أظن » (٦)

وقوله : « . . . مات قتيلاً في سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، فيما يغلب على ظني » (٧) .

وقوله : « . . . فاستمر كذلك حتى مات سنة تسع وسبعين وثمانمائة ، على ما يغلب على ظني » (٨) .

وقوله : « . . . ومما يحكى عن العلامة الكمال ابن الهمام ـ رحمه الله تعالى ـ أنه لما دخل مكة المشرفة اجتمع بالشيخ الولي سيدي عبد الكبير الحضرمي اليمني ، فسأله أن يجمعه على القطب ، فوعده لوقت معين ، فلما جاء الوقت قال له في الحرم بإزاء المقام : ارفع رأسك ، فرفعها ، فوجد شيخاً جالساً على كرسي في الهواء بين السماء والأرض ، فتأمله ، فإذا هو صاحب الترجمة ، فعند ذلك حصل له دهش عظيم ، واستمر يقول في دهشه بأعلى

---

(١) المصدر السابق ق ٩أ.
(٢) نفسه ق ٢٤٢ ب .
(٣) نفسه ق ٢٥٢ أ .
(٤) نفسه ق ٢ أ .
(٥) نفسه .
(٦) نفسه ق ٤١ أ .
(٧) نفسه ق ٢٠٤ أ .
(٨) نفسه ق ٧١ أ .

صوته : هذا صاحبنا ، ولم نعرف مقامه ؛ فحجب عنه في الحال ، ثم لما رجع الكمال ابن الهمام إلى مصر بادر بالسلام على الشيخ صاحب الترجمة ، فلما اجتمع به قبل قدميه ، والشيخ يقول له : يا شيخ كمال الدين ، تكتم ما رأيته من أحوالنا »[1] .

* * *

(١) المصدر السابق ق ١٢٤ أ .

الفصل الخامس

نزهة الأساطين في من ولي مصر من السلاطين «١»

تنظيم الكتاب :

الكتاب موضع الدراسة رسالة لطيفة الحجم ، اشتملت على مقدمة مقتضبة ، أُتبِعت بسبع وخمسين ترجمة فخاتمة ، شغلت سطراً واحداً .

---

(١) اعتمدت هذه الدراسة على نسخة خطية ، عُنْوِنَت باسم : « نزهة الأساطين في من وَلِيَ مصر من السلاطين » ، وتقع في ست وعشرين ورقة ، بخلاف صفحة الغلاف ، متوسطة القطع ، التزم ناسخها بأن تنتظم سائر صفحاتها تسعة سطور - في الصفحة الواحدة - مشكولة الكلمات ، نسقت المسافة فيما بينها لتأتي متساوية تماماً من أول الكتاب وحتى آخره .

وهذه النسخة ضمن مجموع (من ق ٥١ : ق ٧٧) ، تحتفظ به مكتبة « أحمد الثالث - في تركيا » ، تحت رقم : ٢٨٠٣ (٢) ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة ، ذات الرقم : ٥٤٣ - تاريخ .

وعلى الرغم مما أُشِير إليه في البطاقة المصاحبة لمصورة هذه النسخة ، وفي مادة الفهرست المتعلقة بها (راجع : د. لطفي عبد البديع . فهرس المخطوطات العربية ، التاريخ ق ١ ص ٢٧٤)، إلى أنها بخط مؤلفها ، فإنه ليس لدينا قرينة واحدة دالة على ذلك ، إذ لم يرد ضمن مادة صفحة الغلاف، ولا تلو خاتمة الكتاب ما يشير إلى ذلك ، بل إن اسم ناسخ الكتاب قد أُغفِلَ في هذه النسخة تماماً .

مع مراجعة نسخة أخرى منه ، تقع في ست عشرة ورقة ، مقاسها : ١٥ × ٢٠ سم ، ومسطرتها حوالى خمسة عشرة سطراً ، تحتفظ بها مكتبة « خدابخش بتنة - في الهند » ، تحت رقم : ٢٣٢٢ ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة ، ذات الرقم : ١٠٦٥ - تاريخ .

وهي معنونة بقوله : « هذه رسالة لطيفة ، تشتمل على ذكر من وَلِيَ مصر من السلاطين ، تأليف الشيخ عبد الباسط - الحنفي ، رحمة الله عليه ، وعلى جميع المسلمين » .

وتأتي في آخرها عبارة مزيدة على مادة الكتاب ، أحداثها - كذلك - مما يلي أحداث حياة =

أما المقدمة [1] ، فقد أبان فيها مؤرخنا عن حجم الكتاب « رسالة لطيفة » ، ومحتواه « جمعت فيها أسماء ملوك مصر السلاطين ، من دولة السلطان السعيد الشهيد ، الملك الناصر ، أبي المظفر ، يوسف بن أيوب إلى الحين » ـ أي إلى ترجمة سلطان عصره ، « الأشرف ، قانصوة الغوري » وتسميته له « سميتها نزهة الأساطين ، في من ولي مصر من السلاطين » .

وأما الترجمات ، فقد وزعت على ثلاث دول ، وهي : الأيوبية ، والمملوكية الأولى فالثانية ، وقد ميز بينها بعنوانات ثلاثة تشير إلى بداية كل دولة على حدة ، وهي على التتابع : « ابتداء الدولة الأيوبية الكردية » [2] ، « ابتداء الدولة التركية التترية » [3] ، « ابتداء الدولة الجركسية » [4] ، مع التنبيه من خلال ترجمة آخر السلاطين في كلٍ من الدولتين الأولى والثانية إلى سقوط الدولة بانتهاء فترة حكمه أو سلطنته [5] .

وهو بذلك لا يميل إلى جعل فترة ولاية السلطان « دولة » على حدة ، كما ورد في مفهوم كل من « المقريزي » ، و« ابن تغري بردى » ، الذين جعلا

= مؤلفه ، وهي مكملة لمادة ترجمة « الأشرف ، قانصوة الغوري » ـ آخر ترجمات الكتاب ـ محتواها :

« وقُتِلَ في مرج دابع (= دابق) ، ودخل السلطان سليم يوم الخميس ، مستهل محرم سنة ٩٢٣ ، والحمد لله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين » .

وهذه النسخة ـ كسابقتها ـ لا تحمل اسم ناسخها ، وتأتي في المرتبة الثانية بعدها لما شاع في جوانبها من كثرة الإسقاطات والتحريف ، والاقتضاب المتعمد لكثير من عبارات الأصل .

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٢ .

(٢) نفسه ق ٥٢ ب .

(٣) نفسه ق ٥٦ ب .

(٤) نفسه ق ٦٨ أ .

(٥) نفسه ق ٥٦ ب ، حيث أشار في نهاية ترجمة « المعظم توران شاه » إلى انتهاء الدولة الأيوبية بقوله : « . . . وبموته ، انقضت الدولة الكردية » ، كما أشار من خلال ترجمة « الصالح حاجي » (نفسه ق ٦٧ ب) إلى سقوط الدولة المملوكية الأولى ، قائلاً : « . . . وبخلعه انقضت دولة الأكراد وأولادهم ، ودولة الأتراك وأولادهم ، من منذ ولاية الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وإلى هذه المدة » .

فترات حكم السلاطين دولاً تنتظمها دولة أكبر ، وإنما هم في مفهوم مؤرخنا « عناصر » لدولة واحدة معروفة البداية والنهاية في الأولى والثانية ، أما الدولة الثالثة فقد قدرت وفاته قبل سقوطها .

كما أن هذه الترجمات قد رتبت في هذه الدول بحسب التتابع التأريخي لولايات ذويها ، وليس على حروف المعجم ، مراعياً في هذا التتابع « الوحدة الموضعية » ، بمعنى العزوف عن توزيع ترجمة « سلطان » متعدد الولايات على المساحة المصاحبة للمدى التأريخي للكتاب ، وإنما هو مورد لتطورات فترة حكمه في موضع واحد ، على غير إلْفِ من سبقه من المؤرخين « كابن دقماق » ، و « المقريزي » ، و « ابن تغري بردى » . . الذين ترجموا لمثل هؤلاء وقد تخللت ترجماتهم غيرهم ممن تولوا الحكم في فترات خلعهم من السلطنة . إذ نجد ـ مثلاً ـ أن ترجمة « الناصر ، محمد بن قلاوون » قد ترجمت في مثل مؤلفات هؤلاء المؤرخين ترجمة متقطعة ، اعترضت مادتها ترجمات « العادل كتبغا » و « المنصور لاجين » و « المظفر بيبرس الجاشنكير » ـ الذين تولوا في فترات إقصاء « الناصر ، محمد » عن الحكم ـ بحيث تمزقت ترجمة « الناصر » ، لتأتي في موضعها قبل سلطنتي « العادل » و « المنصور » ، وقبل وبعد ترجمة « المظفر » ، أما في « نزهة الأساطين » فقد ترجم « للناصر محمد بن قلاوون » [1] في موضع واحد ، يسبق ترجمة « العادل كتبغا » ، باعتبار توليته لأول مرة .

وهذا منهج مبتكر في تنظيم الكتاب ، أعطى مثل هذه الترجمات مزية « الوحدة الموضعية » ، وإن أدى في الوقت عينه إلى « قفزات تأريخية » ، إذ تقدمت ترجمات « العادل » و « المنصور » و « المظفر » ـ مثلاً ـ حوادث في ترجمة « الناصر » تأريخها تلو مادة ترجماتهم .

على أنه ليس في هذه القفزات ما يعيب المنهج التنظيمي للكتاب ، لاعتبارين هما :

---

(١) المصدر السابق ق ٦٠ ب ـ ٦١ ب .

أ ـ أنه قد نُبِهَ من خلال مثل هذه الترجمات ـ التي تعددت سلطنة ذويها ـ إلى خلعهم من السلطنة بغيرهم ممن ترجموا بعدهم .

ب ـ أن هذا المنهج اقترب بالكتاب من « منهج التراجم » وابتعد به عن « التأريخ الحولي » ، المعتني بالتسلسل التأريخي للحوادث المتخللة لترجمات « المترجمين » ، والذي لم يتحرر منه قبله « المقريزي » و « ابن تغري بردى » ، بحيث اختلط لديهما في « السلوك » و « النجوم الزاهرة » منهج التراجم بمنهج الحوليات التأريخية ، لاعتبارين ـ كذلك ـ هما :

أ ـ أن « السلوك » و « النجوم » كتابان اعْتُنِيَ فيهما بالتراجم والحوادث معاً .

ب ـ أن مفهوم « المقريزي » و « ابن تغري بردى » لولايات السلاطين غير مفهوم مؤرخنا لها ، إذ أنهما يريان أن فترات حكم السلاطين دول تنتظمها دولة أكبر ، بينما يرى مؤرخنا أن فترات حكم السلاطين مجتمعة ـ في دولة ما ـ هي دولة واحدة .

أما **الخاتمة** ، فقد أتت في سطر واحد ، تلو مادة ترجمة « الأشرف ، قانصوة الغوري » ، وقد أُشِيرَ من خلالها إلى انتهاء مادة الكتاب ، على النحو التالي :

« . . . وهذا آخر الكلام على أسماء سلاطين مصر ، والحمد لله رب العالمين » (١) .

أسلوب الكتاب :

تنعكس على صفحات الكتاب « عامية مؤلفه » ، الذي لا يعني من قريب أو بعيد بقواعد اللغة العربية أو فقهها ، وإنما هو مثبت لما توارد على فكره ورddه لسانه ، إذ يتضح ذلك في كثير من عباراته ، ومنها قوله في ترجمة « الناصر ، محمد بن قلاوون » : « . . . وفي أيامه ، كان حلق الأتراك رءوسهم ، وكانوا قبل ذلك سلاطينهم وأمراؤهم وجندهم ، الكل بالشعر ، وكان شعاراً لهم ،

---

(١) المصدر السابق ق ٧٧ أ .

فتركه لرمد حصل لعينه ، وتبعوه ، فاستمر على ذلك » [1] . وتسجيله الكثير من التواريخ على غير مألوفٍ من اللغة ، كنحو قوله : « حادي عشرين » [2] ، و « ثاني عشرين » [3] ، و « ثالث عشرين » [4] ، ليكون المراد بذلك على التتابع : « حادي عشري » ، و « ثاني عشري » ، و « ثالث عشري » ، أو « الحادي والعشرين » ، و « الثاني والعشرين » ، و « الثالث والعشرين » ، وتلك الأخطاء النحوية الواردة في قوله : « سنة اثنين وأربعين وسبعمائة » [5] ، وصوابه : « سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة » ، وقوله : « . . . وكانت مدته أحد عشر سنة وثلاث شهور ونصف » [6] ، وصوابه : « وكانت مدته إحدى عشرة سنة وثلاثة شهور ونصف » . . إلى غير ذلك مما يشيع في مادة الكتاب .

عناصر الترجمات :

مفهوم الترجمة لدى « عبد الباسط ـ الحنفي » في « نزهة الأساطين » ليس كمفهوم غيره من المؤرخين لها ، إذ أن ما يرد في الكتاب من ترجمات لا يُعَد « ترجمات » بالمفهوم العام لهذه الكلمة ، فهو لم يعن ـ فيها ـ بتقييد تواريخ مواليد المترجمين لديه ، أو تتبع أولياتهم ونشأتهم ، أو تدرجهم الوظيفي إلى أن وصلوا إلى منصب السلطنة ، أو تتبع أحوال من خُلِعَ منهم من السلطنة إلى حال وفاته . وإنما هي ترجمات موجهة بوجهة « منهجية » أخرى ، أكسبت الكتاب طابعاً فريداً ، تجلى في « التأريخ للسلطنة في مصر الأيوبية ـ المملوكية » من خلال أسماء سلاطينها ، وليس في « التأريخ للسلاطين » من خلال يوميات مصر وحولياتها ، مما أكسب مادته « شمولية موضوعية » ، يُدْرَك من خلالها بيسر تتباع أسماء الحاكمين ، وتعاقبهم ، وما صحب فترات حكمهم من استقرارات أو اضطرابات في أحوال مصر السياسية ، مما انعكس على مدة حكمهم طولاً

---

(١) المصدر السابق ق ٦١ ب .
(٢) نفسه ق ٥٤ أ ، ٥٥ أ.
(٣) نفسه ق ٥٥ أ .
(٤) نفسه ق ٦٢ ب .
(٥) نفسه ق ٦٣ أ .
(٦) نفسه ق ٦٠ أ .

وقصـراً ، وعلى نهايـات حكمهم سواء بـالعزل أو بـالاغتيالات السيـاسية ، أو الموتات الطبيعية ، وعلى ما خلفوه من آثار حربية أو عمرانية ، إذ أن ذكر تلك الآثار قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً لدى المؤرخين لها بضخامـة وجاه السـلاطين سلباً وإيجاباً ، ولذا فإن إيرادها في مساق الحديث عن سلطان ما يعد أداة من أدوات التوكيد على عظم جاهه وسمو نفسه .

فإذا ما تقـرر ذلك ، فـإنه يمكن حصـر تلك العناصـر المُعْتَنى بها لـدى « عبد الباسط ـ الحنفي » في « نزهة الأساطين » في الآتي :

أ ـ الاسم ، واللقب ، والكنية ، والنسبة .

ب ـ التأريخ للسلطنـة ، أو الخلع منها : بـالعزل ، أو بـالاغتيال ، أو بـالوفـاة الطبيعية .

جـ ـ مدة حكم الحاكمين .

د ـ ما نُسِبَ إلى المترجمين من آثار عمرانية أو حربية أو أعمال خيـر تأصلت بفضل بعضهم [١] ، أو ذيوع تصرف لأحدهم ذيـوع تقليد ، بحيث صـار عادة في حياته وبعد مماته لدى محكوميه [٢] .

* * *

---

(١) من ذلـك قولـه في تـرجمـة « الصـالـح ، صـالـح بن محمـد بن قـلاوون » (المصـدر السـابق ق ٦٥ ب) :

« . . . وهو الذي أفرد قرية بيسوس على كسوة الكعبة المشرفة ، وجعل لها ناظراً على حدة ، وصارت وظيفة » .

(٢) راجع ما مر ـ فيما مُثِّلَ به لعامية مؤرخنا ـ مما تعلق بحلق المماليك رءوسهم .

ومثل هذه المادة المتعجلة في اقتضاب ـ مع ما لها من قيمة علمية ـ لا يتأتى للدارس الكشف عن مواردها ، إذ أن اقتضابها ، وسكوت مؤرخنا عن الإفصاح عن مصادره فيها ، جعلها بمثابة « التأريخ بدون مصادر معروفة » ، مما يجعل القيمة الفعلية للكتاب لا تتحقق إلا بمقابلة مادته بسائر المصادر التأريخية المعروفة والمتداولة لتلك الفترة المؤرخ لها لديه كلياً أو جزئياً ، للوقوف على أوجه الصواب ، ومواطن الوهم أو التقصير في مادته ، تقويماً لها ، وتصحيحاً لمسار ما انزلق منها .

* * *

تقويم مادة الكتاب

تعكس المادة التأريخية « لنزهة الأساطين » ـ على اقتضابها ـ القيمة العلمية للكتاب سلباً وإيجاباً ، إذ يمكن الوقوف من خلالها على جوانب تفرد بها مؤرخنا عن غيره من المؤرخين ، وأخرى يعتريها الوهم والخطأ ، وثالثة يعوزها التعليل والإيضاح .

أما **الجوانب المتفردة في بابها** ، فمنها ما أُشير إليه من عادة حلق المماليك لشعر رءوسهم ، وهو مما لا نظير له فيما تحت يدي من مصادر تأريخية ، ونسبته بناء « مدرسة أم السلطان » (١) إلى الأشرف شعبان ، قائلاً : « . . . وهو . . . باني المدرسة لأمه بالتبانة ، المعروفة بأم السلطان ، وهي خوند بركة » (٢) . إذ يتردد في كثير من المصادر ـ ومنها « المقريزي » في الخطط (٣) ـ إنشاء « بركة خاتون » (٤) ـ أم السلطان ـ لهذه المدرسة ، لكن ما أورده مؤرخنا هو الصواب ، ويؤيده ما وُجِدَ منقوشاً على المدرسة ، بأعلى البوابة تحت المقرنصات ، وبأعلى شباك السبيل الملحق بها .

(١) مدرسة أم السلطان : كانت تقع في التبانة ، خارج باب زويلة ، أنشئت سنة إحدى وسبعين وسبعمائة للهجرة ، وعُمِلَ فيها درسٌ للفقه الشافعي ، وآخر للفقه الحنفي . وهي ما تزال قائمة حتى اليوم في شارع باب الوزير ، وتعرف باسم « جامع أم السلطان » .

(المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٤٠٠ ، ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٥٩ ، حاشية رقم : ١) .

(٢) عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦٦ ب .

(٣) المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٤٠٠ .

(٤) بركة خاتونُ ، أو الخوند ـ بركة : كانت زوجاً لألجاي اليوسفي ، ت. يوم الثلاثاء ، آخر ذي القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمائة للهجرة .

لها ترجمة في : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٤٠٠ ، السلوك ج ٣ ص ٢١٠ ـ ٢١١ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ تر ١٢٨١ ، ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١٩٠ تر ٦٦١ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٧ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٢٥ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ١ ق ٢ ص ١١٥ .

وأما جوانب الوهم أو الخطأ ، فإنه يمكن التعرف على اثني عشر جانباً منها ، وهي :

١ ـ نسبته بناء المدرسة العادلية كلية إلى « العادل ، أبي بكر بن أيوب » ، قائلاً : « . . . وبني المدرسة العادلية بدمشق ، وهو بها قبل سلطنة مصر » (١) .

إذ يكشف هذا الوهم لديه قول « ابن شداد » في الأعلاق الخطيرة :
« . . . أول من أسسها نور الدين محمود بن زنكي ، وتوفي ولم تتم ، فاستمرت كذلك . ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين ، ثم توفي ولم تتم ، فتممها الملك المعظم ، وأوقف عليها الأوقاف ، ودفن فيها والده ، ونسبها إليه » (٢) .

وعلى ذلك فإن نسبة هذه المدرسة إلى « العادل » لا تعني استقلاله بالبناء ، لتعاقب ثلاثة من السلاطين على ذلك ، وإنما لا تخاذها مدفناً له .

٢ ـ الخلط بين مدرسة « قانصوة الغوري » وجامعه ـ في قوله :
« . . . وهو الذي أنشأ المدرسة الحافلة ، وما تجاهها من القبة الهائلة بالجملون ، وما يليها من المكتب والسبيل ، . واخترع بناء منارة هذه المدرسة بأربعة رءوس » (٣) .

ويصححه قول « ابن إياس » :
« . . . وفي ربيع الآخر ، في يوم الجمعة مستهله ، خطب في جامع السلطان الذي أنشأه في الشرابشيين ، وقد تم بناؤه ، وجاء غاية في الحسن والتزخرف ، وصنع به مأذنة لها أربعة رءوس ، وهو أول من اتخذ ذلك ، وانتهى العمل من المدرسة التي تجاه الجامع ، وعقد هناك قبة كبيرة على المدفن ، وغلفها بقاشاني أزرق » (٤) .

---

(١) عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٤ ب .
(٢) ابن شداد . الأعلاق الخطيرة (دمشق) ص ٢٤٠ .
(٣) عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين ق ٧٦ ب ـ ٧٧ أ .
(٤) ابن إياس . بدائع الزهور ج ٤ ص ٥٨ .

٣ ـ الإشارة إلى خلع « المستعين ـ العباسي » من السلطنة والإبقاء عليه خليفة ، بقوله :

« . . . ثم خُلِعَ من السلطنة ، وبقي على خلافته » (١) .

ذلك أن « المؤيد شيخ المحمودي » لم يبقه على خلافته ، وإنما خلعه بأخيه « المعتضد ، داود » يوم الخميس ، سادس عشر ذي الحجة سنة عشرة وثمانمائة ، وزج به بعد ذلك في سجن الإسكندرية ، فدام فيه إلى أن أطلق بعده » (٢) .

٤ ـ وتصريحه بخلع « الناصر ، محمد بن قلاوون » من سلطنته الأولى ، قائلاً :

« . . . وخُلِعَ في يوم الأربعاء ، حادي عشر محرم سنة أربع وتسعين وستمائة ، بعد سنة ، وهي السلطنة الأولى » (٣) .

والوارد في المصادر أن « الناصر » لم ينخلع من السلطنة ، ولكنه رغب عنها مكتفياً « بالكرك » ، نتيجة لما أحسه من تضييق « سلار » و « بيبرس الجاشنكير » عليه (٤) .

٥ ـ الخطأ في التأريخ لقتل « الكامل ، شعبان » وسلطنة « المظفر ، حاجي » ، بقوله :

« . . . تسلطن في يوم قتل أخيه الكامل شعبان ، وهو يوم الاثنين ، مستهل جمادي الآخرة سنة سبع وسبعمائة » (٥) .

ذلك أن هذا اليوم ليس سوى يوم خلع « الكامل ، شعبان » من السلطنة ، أما قتله فقد كان « ظهر يوم الأربعاء ، ثالث جمادي الآخرة » ،

---

(١) عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦٩ أ .

(٢) ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٤٤٦ ، ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٨١ ، مورد اللطافة ق ١٣٤ ب ، السخاوي . الذيل التام ق ٧٣ ب .

(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦١ أ .

(٤) أبو الفداء . المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ٥٥ ، ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ١٣٧ ، ابن تعري بردى . النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٧٠ ـ ١٧٨ .

(٥) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦٤ ب .

كما أن التأريخ بالسنة قد أصابه السهـو ، وهو مؤرخ في التـرجمة السـابقة عليها بسنة « بيبع وأربعين وسبعمائة » (١) .

٦ ـ والخطأ ـ كذلك ـ في تلقيب « المظفر ، حاجي » بالمنصور (٢) .

٧ ـ الخطأ في التأريخ لسلطنة « الأشرف ، برسباي » بقوله :

« . . . تسلطن في يوم الاثنين ، ثاني ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة » (٣) .

إذ أن الوارد في المصادر التأريخ لسلطنته بيوم « الأربعاء ، ثامن ربيع الآخر » (٤) منها :

٨ ـ الخطأ في التأريخ لسلطنة « الظاهر ، برقوق » ـ الثانية ، بقوله :

« . . . ثم أُعِيدَ برقوق ـ وهي سلطنته الثانية ـ في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة » (٥) .

ذلك أن عود « برقوق » كان بعدّما فك من محبسـه ـ في الكرك ـ في التاسع من رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة للهجرة ، وقد قتل جماعة من أهل الكرك « الشهاب البريدي » ، الذي أرسله « منطاش » بمرسومه إلى نائب الكرك يأمره فيـه بقتل « بـرقوق » ، حيث تـلاحقت الوقـائع ، ابتـداء باتصال كبار الأمراء الظاهرية به ، ومـروراً بانتصـاره في واقعتي « حسيان » (شـوال سنـة ٧٩١ هـ . / ١٣٨٩ م .) ، و« شقحب » (الأحـد ، رابـع عشر المحرم ٧٩٢ هـ . / ١٣٩٠ م .) ، وانتهاءً باحتواء « برقـوق » على السلطان الملك « المنصور » والخليفة والقضاة بعد معركة غيـر فاصلة مـع

---

(١) المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٢٤٠ ، السلوك ج ٢ ص ٧١٣ ، ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٤٠ ، ١٤٩ .

(٢) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦٤ ب .

(٣) نفسه ق ٧١ أ .

(٤) المقريزي . السلوك ج ٤ ص ٦٠٧ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٧٠ ، ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٦ تر ٦٥٠ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٦٢ ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ٢٤٢ ، السخـاوي . الضوء الـلامع ج ٣ ص ٨ تـر ٣٨ ، ابن إياس . بـدائع الـزهور ج ٢ ص ٨١ ، جواهر السلوك ج ٣ ق ١١٤ ب .

(٥) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦٨ .

غريمه « منطاش » ، ثم رحيله بهم إلى القاهرة ، التي دخلها يوم الثلاثاء ، رابع صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، حيث خلع المنصور وتسلطن [1] .

وعلى ذلك ، فإن سلطنته تلك كانت في « صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة » ، وليس في السنة السابقة عليها ، اللهم إلا إذا كان معتمد مؤرخنا في ذلك على ما تردد في المصادر من مبايعة أهل « الكرك » له بالسلطنة « يوم الاثنين ، تاسع رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة » ، بعد مقتل « الشهاب البريدي » .

وهذا التبرير يضعفه ـ كذلك ـ عدم اعتراف مؤرخنا ـ في « نزهة الأساطين » ـ بسلطنة « قانصوة خمسمائة » ، وقد ثار بالناصر محمد بن قايتباي ، واستوى على باب السلسلة ، وخلعه من السلطنة ، وبويع له بها ، لأنه « لم يلبس شعار السلطنة . . .. ولا جلس على سرير » [2] .

٩ ـ تأريخه لسلطنة « الظاهر ، خشقدم » بيوم « الأحد ، سابع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة » [3] .

وهو وهم ، إذ تقرر ـ في الترجمة السابقة لديه على ترجمته أن « المؤيد أحمد » قد خُلِعَ من السلطنة « يوم السبت ، ثامن عشر رمضان » [4] ، وعلى ذلك تكون سلطنة « خشقدم » يوم الأحد التالي ، « تاسع عشر رمضان » ، وليس « سابع عشره » [5] .

١٠ ـ التأريخ لخلع « العادل ـ الصغير » بيوم « الخميس ، تاسع شوال سنة سبع

---

(١) تفصيل ذلك في : ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ، حوادث سنتي ٧٩١ ، ٧٩٢ ، المقريزي . السلوك ج ٣ ص ٦٥٥ وما بعدها ، ابن قاضي شهبة . التاريخ ج ١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦ ، ٣٩١ ـ ٣٩٢ .
(٢) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٧٥ أ .
(٣) نفسه ق ٧٣ أ .
(٤) نفسه .
(٥) ويتأيد ذلك ـ كذلك ـ بما ورد في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٦ تر ٩٨٢ . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٥٣ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧٥ تر ٦٨٠ .

وثلاثين وستمائة » [١] . على حين أن الوارد في المصادر أنه خلِعَ من السلطنة « يوم الجمعة ، ثامن ذي القعدة » منها [٢] .

١١ ـ التأريخ لوفاة « العادل ، أبي بكر بن أيوب » بسنة « اثنتي عشرة وستمائة » [٣] . على حين أن الثابت في مصادر ترجمته [٤] أن وفاته كانت سنة « خمس عشرة وستمائة » للهجرة .

١٢ ـ التأريخ لوفاة « المعز ، أيبك التركماني » بـ « ليلة الأربعاء ، رابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة » [٥] .

ووجه الخطأ ، أن وفاته وإن اختلف ـ لدى المصادر ـ فيْ تأريخها ، فإن الاختلاف قد انحصر في اليوم المضاف إلى « العشرين » فقط [٦] .

أما المواطن التي يعوزها الإيضاح أو التعليل ، فيمكن إجمالها في ستة عناصر ، وهي :

١ ـ السهو والتبييض لبعض العناصر :

ويمثله قوله في ترجمة « الناصر ، صلاح الدين ، يوسف » : « يوسف بن أيوب (بن مروان) بن شاذي » [٧] . مسقطاً ما بين القوسين .

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٥ أ .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٥ ص ٨٤ ، ابن واصل . مفرج الكروب ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٤ ب .

(٤) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٥٠ ، المنذري . التكملة لوفيات النقلة ج ٢ ص ٤٣٠ ، أبو شامة . الذيل على الروضتين ص ١١٢ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٥ ص ٧٨ ، ابن واصل . مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٧٠ ، ابن الفرات . التاريخ ج ٥ ص ٢٣٩ ، ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦ ، المقريزي . السلوك ج ١ ص ٢٢٥ ، ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٥ .

(٥) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٧ ب .

(٦) أرخ لها ابن دقماق (الجوهر الثمين ج ٢ ص ٥٥) بليلة الأربعاء ، الخامس والعشرين من ربيع الأول ، والمقريزي (الخطط ج ٢ ص ٢٣٨) بليلة الأربعاء ، رابع عشري ربيع الأول ، بينما أرخ لها الصفدي (الوافي بالوفيات ج ٩ ص ٤٧٢) ، وابن كثير (البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٩٦) ، وابن تغري بردى (الدليل الشافي ج ١ ص ٤ ، والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٣) بيوم الثلاثاء ، الثالث والعشرين من ربيع الأول .

(٧) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٢ ب .

وقوله في ترجمة « المظفر ، حاجي » : « . . . تسلطن . . . سنة سبع (وأربعين) وسبعمائة »[١] . مسقطاً ما بين القوسين .

وقوله في ترجمة « الناصر ، محمد بن قايتباي » : « . . . تسلطن في يوم . . . وهو اليوم الذي (خلع) فيه الأشرف قايتباي والده »[٢] . مسقطاً ما بين القوسين .

وقوله في ترجمة « العزيز ، يوسف بن برسباي » : « . . . وخُلِعَ يوم الأربعاء ، تاسع عشر ربيع (الأول)[٣] سنة اثنتين وثمانمائة »[٤] . مسقطاً ما بين القوسين .

وتبييضه لمدة حكم « الكامل، شعبان »، قائلاً: « فكانت مدته هي . . . »[٥].

وما بُيِضَ له لديه قُدِرَ لدى « المقريزي »[٦] ، و « ابن تغري بردى »[٧] بسنة وثمانية وخمسين يوماً .

٢ ـ الاختصار المُبْهم :

ويمثله قوله في ترجمة « الظاهر ، تمربغا » : « . . . تسلطن في يوم الخميس ، سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة »[٨] ، مسقطاً اليوم من الشهر فالشهر .

وما أُبْهِمَ قد أرخت له المصادر[٩] بيوم « السبت ، سابع جمادي الأولى » منها ، وليس يوم « الخميس » ، كما ورد لدى مؤرخنا .

---

(١) المصدر السابق ق ٦٤ ب .

(٢) نفسه ق ٧٤ ب .

(٣) الإضافة عن : المقريزي . السلوك ج ٤ ص ١٠٨٥ ، ابن تغري بردى . المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٨٣ ، مورد اللطافة ق ١٤١ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢٥٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٠٣ ، ابن إياس . جواهر السلوك ج ٣ ق ١١٦ أ .

(٤) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٧١ ب .

(٥) نفسه ق ٦٤ ب .

(٦) المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٢٤٠ ، السلوك ج ٢ ص ٧١٣ .

(٧) ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٤٠ .

(٨) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٧٤ ب .

(٩) ابن تغري بردى . مورد اللطافة ق ١٤٩ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣٧٣ ، السخاوي . الضوء =

ومن أمثلته ـ كذلك ـ تقديره لفترات حكم كثير من السلاطين ، تقديراً تقريبياً ، ومنه قوله في ترجمة « الصالح ، نجم الدين أيوب » : « . . . فكانت مدته نحواً من عشرين سنة »[1] . وقوله في ترجمة « المعز ، أيبك التركماني » : « . . . وكانت مدته سبع سنين تزيد أياماً »[2] . وقوله في ترجمة « الظاهر ، بيبرس » : « . . . فكانت مدته ثمان عشرة سنة تزيد يسيراً »[3] . وقوله في ترجمة « الأشرف خليل » : « . . . وكانت مدته ثلاث سنين ، تزيد شيئاً »[4] .

وإشارته إلى فتوحات بعض السلاطين ، بإشارات غير محددة لها ، كنحو قوله في ترجمة « العادل ، أبي بكر بن أيوب » : « . . . وله عدة فتوحات »[5] .

وما أُبهِمَ في هذا التعبير ، أُشِير إليه لدى « ابن دقماق »[6] بفتح رأس عين الخابور[7] ، ونصيبين[8] ، وسنجار[9] .

وقوله في ترجمة « الظاهر ، بيبرس » : « . . . وصاحب الفتوحات الإسلامية »[10] .

= اللامع ج ٣ ص ٤٠ تر ١٦٧ ، السيوطي . نظم العقيان ص ١٠٢ تر ٦١ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٤٦٨ ، جواهر السلوك ج ٣ ق ١٢٧ ب .

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٦ أ .

(٢) نفسه ق ٥٧ ب .

(٣) نفسه ق ٥٩ أ .

(٤) نفسه ق ٦٠ ب .

(٥) نفسه ق ٥٤ ب .

(٦) ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٥ .

(٧) رأس عين الخابور : مدينة من أعمال الموصل ، شرقي دجلة ، يجري فيها نهر « الخابور » ـ ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٨) نصيبين : كانت مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ـ نفسه ج ٥ ص ٢٨٨ .

(٩) سنجار : كانت مدينة مشهورة ، من نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ـ نفسه ج ٣ ص ٢٦٢ .

(١٠) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٩ أ .

وما أُبهِمَ في هذا الموضع ـ كذلك ـ قد ورد مفصلاً في كلٍ من « الروض الزاهر » لابن عبد الظاهر (١) ، و« الجوهر الثمين» لابن دقماق (٢) ، وقد عدا من هذه الفتوحات : فتح « قلعة البيرة ، والكرك ، والشوبك ، وقيسارية ، وقلعة الهوى ، وصفد ، وإياس ، ويافا ، والشقيف ، وأنطاكية ، وبغراس ، وسائر حصون الإسماعيلية ، وحصن الأكراد ، وعكا ، وكينول ، ومدينتها ، وأدنة ، والمصيصة » .

٣ ـ إهمال التأريخ التام لكثير من الحوادث ، أو العزوف كلية عن التأريخ لها :

ومن أمثلة الأول قوله في ترجمة « المنصور ، محمد بن عثمان » : « . . . وخُلِعَ في سنة ست وسبعين وخمسمائة » (٣) . مهملاً التأريخ باليوم والشهر .

وما أُهمِلَ أرخ له « ابن خلكان » (٤) و« المقريزي » (٥) بيوم « الجمعة ، الحادي والعشرين من شوال » منها .

ومن أمثلة الثاني عزوفه عن التأريخ لفتح « قبرس » من خلال ترجمته « للأشرف ، برسباي » ، قائلاً : « . . . ومن محاسنه ، وأعظم مناقبه ، فتح قبرس » (٦) .

وما أُعرِضَ عن تأريخه ـ في هذا الموضع ـ مؤرخ لدى بعض المصادر (٧) برمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة .

---

(١) ابن عبد الظاهر . الروض الزاهر ص ١٦٢ ، ٤١٨ .
(٢) ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٨٠ ـ ٨١ .
(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٤ أ .
(٤) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٥ ص ٧٥ .
(٥) المقريزي . السلوك ج ١ ص ١٨٣ .
(٦) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٧١ أ .
(٧) المقريزي . السلوك ج ٤ ص ٧٢١ ـ ٧٢٣ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٦٦ ـ ٣٧٢ ، ابن تغري بردى . المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٦٢ ـ ٢٧٠ ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ .

٤ ـ ذكر كثير من الحوادث مجردة ، دون تعليل لها :

ويمثله ذكره حمل « الناصر ، محمد بن قايتباي » لقبين في سلطنة واحدة ، دون التعليل لذلك ، مكتفياً بقوله : « محمد بن قايتباي ، الناصر ـ الأشرف ، صاحب اللقبين في سلطنة واحدة » [1] .

وقد علل « ابن إياس » لذلك ، قائلاً :

« . . . وكان سبب تغير لقب السلطان ، أنه أخرج خرجاً من المماليك ، فصاروا يسمون الناصرية ، ومماليك أبيه يسمون الأشرفية ، فصارت المماليك الناصرية أرجح كفة من المماليك الأشرفية ، فما طاقوا ذلك ، وقالوا : لقبوا السلطان بالأشرف ، ونصير كلنا أشرفية ، فلا زالوا على ذلك حتى لقبوه » [2] .

وقوله في ترجمة « الظاهر ، جقمق » : « . . . وليس له من الآثار شيء معتبر ، غير تراميم بعض أمكنة ، وبناء رصيف بولاق » [3] .

وقد فصل « السخاوي » ذلك ، معللاً له بقوله : « . . . (وكان الظاهر) مائلاً لتجديد القناطر والجوامع ونحوها من المصالح العامة ، كقناطر بني منجا ، وقنطرة باب البحر ، وقناطر تبرى الدمسيس ، وقناطر أمين الدين اللاهون ، وقناطر الرستين بين حمص وحماه ، والجامع المعلق المجاور لكنيسة الملكيين التي هدمها ، داخل قصر الشمع ، والمسجد الذي بخان الخليلي ، وعمل فيه درساً للشافعية ، وآخر للحنفية ، وغير ذلك ، وجامع الظاهر ، حيث لم شعثه بالبياض والبلاط ونحو ذلك ، وجامع الحاكم ، حيث أزال من بعض أروقته ما كان به من الأتربة المهولة ، وسقفه بعد تعطيله دهراً ، مع تبليط الجامع ، وحدد منبر مدرسة أستاذه البرقوقية ، وأنشأ رصيفاً هائلاً ببولاق ، انتهاؤه عند السبكية ، وجسراً لأسيوط من الجبل إلى البحر ، وفيه قناطر ـ أيضاً ـ وسوراً لخانقاه سرياقوس لم يتم ، وقرر لأهل الحرمين دهيشة للفقراء . . . وكان يرى أن إصلاح ما يشرف على الهدم أولى من الابتكار ، ولذا لم يبتكر مدرسة ، بل ولا تربة » [4] .

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٧٤ ب .
(٢) ابن إياس . بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ .
(٣) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٧٢ أ .
(٤) السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٣ .

بل نجده لم يعلل لتولية أو عزل السلاطين في « نزهة الأساطين » إلا في موضع واحد ـ فقط ـ متعلق بتولية « الأشرف ، موسى بن يوسف الأيوبي » ، قائلاً :

« . . . وأقيم في الملك طفلاً ، شريكاً للمعز ، قطعاً لألسنة الناس ، لكونه من البيت الأيوبي » (١) .

٥ ـ كما أنه لا يُعْنى بالإفصاح عن كيفية سلطنة أو عزل أو اغتيال المترجمين لديه ، مكتفياً في ذلك بالتنبيه على الولاية أو العزل أو الاغتيال ، مؤرخاً لذلك تأريخاً متفاوتاً بين تام وناقص .

٦ ـ أما ما يذكر للمترجمين لديه من آثار حربية أو عمرانية ، فإنه لم يرد بها « الشمول » ، ولكن « التمثيل للأشهر » ـ فقط ـ على نحو ما أُشِير إليه من إجماله لآثار « الظاهر ، جقمق » ، وقوله مترجماً « للمنصور ، قلاوون » :
« . . . وهو باني البيمارستان المنصوري بالقاهرة ، الذي ما بُنِيَ مثله في الإسلام ، وله أبنية غيره . وهو الذي افتتح طرابلس الشام ، وغيرها أيضاً » (٢) .

وهكذا ، فإنه قد اقتصر على ذكر « البيمارستان » ، عازفاً عن الإشارة إلى « القبة » و« المدرسة » (٣) ، واقتصر على فتحه « لطرابلس الشام » ، مكتفياً في غيرها بقوله : « وغيرها » (٤) .

تلك أمثلة لا يراد بها الإيحاء بأن مادة الكتاب يشيع فيها الوهم أو الإبهام شيوعاً يفسده ، وإنما أريد بها التنبيه على مثل تلك المواطن تصويباً لها ، فما زال فيه الكثير من النصوص الصحيحة ، التي يتأكد بمقابلتها على المصادر المعاصرة صدق مادتها وعظم فائدتها .

* * *

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٧ ب .
(٢) نفسه ق ٦٠ أ .
(٣) راجع بشأنها : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٣٧٩ ـ ٣٨١ .
(٤) عد له ابن دقماق (الجوهر الثمين ج ٢ ص ١٠٣) منها : « المرقب ، وجبلة ، واللاذقية ، والكرك ، والشوبك » .

النقد التأريخي

النقد التأريخي في « نزهة الأساطين » نقد سطحي ، لا يرقى إلى ما أدرك من نقد لدى غيره من المؤرخين « كالمقريزي » ، و « ابن حجر » ، و « ابن تغري بردى » ، و « السخاوي » ، أو المعاصرين « كابن إياس » فضلاً عن المثبت له عينه في « الروض الباسم » و « المجمع المفنن » .

ومن جوانبه لدى « عبد الباسط ـ الحنفي » تلك العاطفة المتبدية في تمني لو لم يُجْلب المماليك إلى مصر ، الواردة في قوله مترجماً « للصالح ، نجم الدين أيوب » :

« . . . وهو الذي جلب المماليك إلى مصر ، وليته ما فعل » (١) .

وهي عاطفة وإن تكن في غير صالح « المماليك » ، فإنها لم تقف به حائلاً دون إنصاف سلاطينهم ـ المترجمين لديه ـ وعدم التعصب عليهم ، حيث نجده قد أشاد بالكثيرين منهم ، ممجداً بعض آثارهم ، بنعوت متعددة ، منها قوله في ترجمة « المظفر ، قطز » : « . . . وهو الذي قام بنصرة الإسلام . . . وكان له اليد البيضاء في ذلك » (٢) . ونعته « الظاهر ، بيبرس » بالشهامة والإجلال ، قائلاً : « . . . كان ملكاً شهماً جليلاً » (٣) . ومبالغته في وصف أحد آثاره ، قائلاً : « . . . صاحب الجامع (٤) الأعظم

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٥ ب .

(٢) نفسه ق ٥٨ أ .

(٣) نفسه ق ٥٩ أ .

(٤) أشار إليه اليونيني (ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٣٦١) ضمن حوادث حولية خمس وستين وستمائة للهجرة بقوله :

« . . . وفيها ، شرع في بناء جامع الحسينية في ميدان قراقوش ، في منتصف جمادي الآخرة . . . فبنى أحسن بناء ، وزخرفت جهته القبلية ، وعُمِلَ على جهة المحراب قبة عظيمة ، وتمت عمارته في شوال سنة سبع وستين ، ورتب به إمام حنفي ، ووقف عليه حكر ما بقي في الميدان » . =

بالحسينية»[1]، وإشادته «بالمنصور، قلاوون» قائلاً: «. . . كان ملكاً عاقلاً، شهماً، جليلاً، من أجل ملوك الإسلام»[2]. ونعته أحد آثاره ـ البيمارستان المنصوري [3] ـ بأنه « ما بني مثله في الإسلام » [4] . ونعته « الأشرف ، برسباي » بأنه كان ضخماً ، شهماً ، عاقلاً ، عارفاً » [5] . مما يشير إلى أن تمني عدم جلب المماليك إلى مصر ليس سوى غضبة مقيدة الظرف ، لعل الدافع إليها ما عاصره في أخريات حياة دولتهم من اضطراب أحوالها وانفراط عقد نظامها ، انفراطاً أدى إلى امتداد أيدي أكثر المماليك إلى أرواح وممتلكات الناس دون تفرقة .

ومن جوانب النقد لديه ـ كذلك ـ التأريخ لسلطنة « شجر الدر » تأريخ معترف بسلطنتها ـ على الرغم من قصر مدة حكمها ، وما صاحبها من اعتراضات على توليتها ـ وهو ما يفهم من إشارته إلى « المعز ، أيبك التركماني » بأنه « أول ذكر تسلطن بمصر ممن مسه الرق » [6] . ـ وقد ترجم لها قبله ـ مما يؤكد على أن « شجر الدر » سلطان من نوع « الإناث » ، وهو اتجاه متحرر لا يفصل بين الجنسين ، ولا يأبه باعتبراض معترض ، وإن أُسِّسَ اعتراضه على شعور عام ، أو أثر ديني ، على العكس تماماً من « ابن دقماق » الذي عد فترة حكمها فترة وسطاً بين سلطانين ، مسقطاً لها من التسلسل الترتيبي لسلاطين الدولتين : الأيوبية والمملوكية ، معتبراً سلطنتها حدثاً جرى في حينه ، مما لا يبرر شرعية سلطنتها ، وبالتالي عدها ضمن سلاطين مصر [7] .

= وهو ما يزال قائماً حتى اليوم ، ويعرف باسم « جامع الظاهر بيبرس » ، وإن امتدت إليه عوادي الزمان

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٨ ب .

(٢) المصدر السابق ق ٦٠ أ .

(٣) شرع في بنائه في خط بين القصرين من القاهرة أول ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وفرغ منه في أقل من السنة .

راجع بشأنه : ابن عبد الظاهر. تشريف الأيام والعصور ص ٥٥ ـ ٥٧ ، المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٨ .

(٤) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٦٠ أ .

(٥) نفسه ق ٧١ أ .

(٦) نفسه ق ٥٧ أ .

(٧) راجع : ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٨ .

يضاف إلى ذلك ترجمته « للأشرف ، موسى بن يوسف الأيوبي » قرين ترجمة « المعز ، أيبك التركماني » ، ضمن سلاطين الدولة المملوكية ـ وقد ترجمه غيره ضمن سلاطين الدولة الأيوبية [1] ـ مشيراً في ذيل ترجمة « توران ـ شاه » إلى انقضاء الدولة الأيوبية بموته ، قائلاً : « . . . وبموته انقضت الدولة الأيوبية الكردية » [2] . مما يوهم بعدم اعتراف مؤرخنا بسلطنته ، وقد كانت ترضية للشعور العام في مصر والشام . فضلاً عن أنه اعتبر الدولة المملوكية الأولى امتداداً طبيعياً للدولة الأيوبية ، رُبما نتيجة لسلطنة هذا في أثناء دولتهم ـ وإن كانت سلطنته حدثاً جرى في حينه ، لا يعتد به واقعاً فإنه حسب تأريخاً ـ وهو ما يفسره قوله في ذيل ترجمة « الصالح ، حاجي » : « . . . وبخلعه انقضت دولة الأكراد وأولادهم ، ودولة الأتراك وأولادهم ، من منذ ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب وإلى هذه الدولة » [3] .

* * *

(١) ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ١. ص٤٧ ـ ٤٨ .
(٢) عبد الباسط ـ الحنفي . نزهة الأساطين ق ٥٦ ب .
(٣) نفسه ق ٦٧ ب .

الخاتمة

انقسم هذا البحث إلى بابين اثنين، عُنِيَ في أولهما بالترجمة لعبد الباسط الحنفي، حيث أُشِير إلى اسمه، ولقبه، وكنيته، ومذهبه، وتأريخي مولده ووفاته، والإرهاصات الأولى لتكوينه الفكري، ورحلاته داخل القطر المصري وخارجه، وثقافته، وأساتذته، وما نُعِتَ به لدى مترجميه من صفات.

بينما عُنِيَ في ثانيهما بالتعريف بمؤلفاته التاريخية، والتي أرخ بها للبشرية - منذ الخليقة وحتى عصره - في مؤلفات مستقلة ومتتابعة، منها ما كان مقتضباً (كتاريخ الأنبياء الأكابر، وغاية السؤال، ونزهة الأساطين)، ومنها ما كان مسهباً (كالروض الباسم، والمجمع المفنن)، مع الكشف عن منهجه في الكتابة التاريخية من خلالها؛ حيث وُجِدَ مؤرخنا وقد **تنوعت عناصر حوادثه**، لتتمثل في: الاستقرارات الوظيفية، وما يتبع الوظائف والمناصب والإمريات والإقطاعات من التغاير، ثورات وفتن المماليك والأجلاب، المصادرات والعقوبات، خروج العربان عن الطاعة ومحاولة الدولة إخضاعهم، أحوال النيل، أسعار النقد وبعض المأكولات، الأوبئة والطواعين، الكوائن والمحن، الحج وإدارة المحمل، الاحتفال بالمولد النبوي أو اختتام قراءة البخاري في القلعة، المواكب السلطانية، الحروب والغزوات، تبادل القصاد والمكاتبات، الأحوال المناخية والفلكية والكونية، مشاهير المهمات، العمائر المدنية والدينية، التغاير في الرسوم، النوادر ومستغربات الحدوث، التنبيه على مشاهير

العلماء الوافدين، أو المتوفين، كما **تنوعت عناصر ترجمته**، لتشتمل على: الاسم، والكنية، واللقب، واسم الشهرة، والنسبة، والمولد، وتقدير عمر المترجم له حال الوفاة، والتأريخ للوفاة مع بيان العلة المتسببة فيها وموضع الدفن وحال المترجم له آنذاك، والنشأة والتكوين، ومنزلة المترجم له ومكانته، ووظائفه وأعماله، وسجاياه وصفاته، وعلاقاته بذوي قرباه وشيوخه وأقرانه، وعلاقته بمؤرخنا، والنوادر أو الغرائب.

وكما تنوعت الحوادث والترجمات لدى مؤرخنا، **تنوعت ـ كذلك ـ مصادره**، والتي يمكن إجمالها في: المشاهدة والمشاركة، والمساءلة والمكاتبة، والمشافهة، والإجازات والخطوط، والوثائق، والمؤلفات السابقة.

وهو يراوح في الإسناد إليها بين نسبة منقولة عنها إليها مصرحاً بأسماء مؤلفيها، أو بنعتها بكلمة: «تاريخ»، كما أنه ينقل عنها نقلاً حرفياً حيناً، ويتصرف في النسقين الترتيبي والتعبيري المصاحبين لمنقوله عنها أحياناً كثيرة.

ثم هو صاحب «**نقد تأريخي واعٍ**»، موجه بحس ديني ومشرب صوفي، يأنف من الزهو والشمم والتعاظم، والتكالب على الدنيا، والخروج على الدين أو الرقة فيه، أو الاتجاه نحو الشح والبخل، أو التبذير، والكذب، وظلم الناس وأذاهم، ولذا تعددت جوانب النقد لديه وتنوعت. فكان من مظاهرها: إجلال منصب الخلافة العباسية وتمجيدها، إجلاله لشيوخه واحترامهم مع نعيه عليهم بعض تصرفاتهم، استهجانه دعاوى المنجمين وتكذيبهم، الأنفة من الظلم والجور، إجلال الشرع والدين ومراعاة تطبيقه والالتزام به، نقد أحوال مجتمعه.

على أن أهم ما يميز «عبد الباسط ـ الحنفي» في هذا المنحى هو **الانصاف في النقد**، والذي تبدى في: الموازنة بين المحاسن والمساوىء، والمقابلة بين الرأي والرأي الآخر، ومناقشة مصادره فيما أمدته به من تقاويم وأحكام تصويباً لمنقوله عنها.

ومع ذلك فقد يعتري بعض كتاباته الخطأ أو الوهم، على النحو المنبه إليه من خلال دراسة بعض مؤلفاته المقتضبة، كغاية السؤل ونزهة الأساطين.

الملاحق

[نصوص مختارة من كتابات « عبد الباسط ـ الحنفي » التاريخية [*]]

* خديعة واحتيال .
* محمد أم جقمق ؟!
* الناس على دين مليكهم .
* ساعده الدهر فاغتر .
* وحياة رأس مولانا السلطان ما توسطت في عمري .
* كائنة أصباي البواب .
* نادرة غريبة ، وكياسة قاضٍ .
* سرق ستراً فكشف ستره .
* الريح المريسية .
* النص الكامل لنزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين .

(*) روعي في إثبات هذه النصوص الحفاظ على أسلوب كاتبها بما فيه من أخطاء اللغة والنحو ، لما في ذلك من الدلالة على خصائص الأسلوب السابق التنويه إليها من خلال دراسة منهجه في الكتابة التاريخية .

خديعة واحتيال "١"

« ... وفيه (ربيع الأول ٨٧٠ هـ . / ١٤٦٥ م . (في هذه الأيام ورد الخبر إلينا بوهران بأن جمعاً من التجار كانوا توجهوا من تلمسان وغيرها إلى فاس وباعوا ما حملوه معهم للاتجار فيه . ولما جرت الفتنة حصروا عن الرجوع عائدين إلى أوطانهم ، فاتفق أربعة منهم على الرجوع بحيلة احتالوها مشت على العرب وقطاع الطريق ، بأن شروا حميراً وجعلوا عليها أخراجاً بما كان معهم من المال النقد ، وعمدوا إلى عبى عتيقة فجعلوها أغطية على الأخراج ، وأنهم أخذوا الطحال من الغنم فجففوه ودقوه وحملوه معهم مع شيء من الغراء وخرجوا . وكانوا إذا قربوا من طائفة من العربان أو نجعات أذابوا الغراء الذي معهم وجعلوا يلطخون بمواضع من أبدانهم على رقابهم ووجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى نصف الساق ، ثم يذرون على ذلك مما معهم من الطحال المدقوق المجفف ، ويمشون باستكانة ، يوهمون بأنهم مجاذيم من أهل البلاء ، وأنهم يجولون بحميرهم عليها زادهم وأثاثهم ، فكانوا إذا اجتازوا على العرب ورأوهم على تلك الحالة هربوا فارين منهم وأبعدوا عنهم يخشون العدوى حتى كانوا يجعلون لهم من أنواع المآكل على ممرهم بالطريق ، ويشيرون إليهم من البعد بأن يأخذوا ذلك ويدعون لهم من غير أن يقربوا منهم ولا يصلوا إليهم . ومنهم من كان يجعل الفضة على رأس رمحه ، فيناوله إياهم . ولم يزالوا على ذلك حتى وصلوا إلى بلادهم ، ولم يروا إلا الخير والسلامة ، وكان يكاد أن لا يطير الطير من شرور من اجتازوا بهم من العربان . وعد ذلك من غريب الحيل والنوادر » .

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ٣ ق ١١٠ ب ـ ١١١ أ .

محمد أم جقمق ؟!

« . . . استهلت هذه السنة (٨٤٤ هـ . / ١٤٤٠ م .) . . . وسلطان مصر والشام والحجاز وما والى ذلك من الممالك في هذه السنة السلطان الملك الظاهر أبو سعيد محمد جقمق .

هكذا أمر أن يكتب عنه في بعض الأماكن .

وسبب ذلك أنه لما تسلطن سمى نفسه محمداً ، وأراد أن يبطل اسم جقمق بالكلية ، فقيل له في ذلك ، وأوهم بأنه متى فعل ذلك ظن الظان ولا سيما النائي أن هذا المسمى بهذا الاسم ليس من الأتراك ، وأن جقمق لم يتسلطن ، فيطمع الطامع لعدم شوكة السلطان المسمى بهذا الاسم ، وشهرة شوكة الأتراك ، فتوقف عن ذلك ، بعد أن كان قصده أن يدوم مسمى هذا الاسم ، وأنه تصدر المكاتبات عنه به ، وأن ينقش على سكة الدرهم والدينار ، وأن يكون مثبتاً على جميع تعلقات السلطنة من الطراز والرنوك والداغات وغير ذلك ، ففتر عزمه بعد ذلك .

ذكر لي هذا من لفظه والدي رحمه الله . وذكر لي اسم الذي أوهمه ورجعه عن ذلك . ولا حاجة لنا بذكره صريحاً ، فإنه من الأقباط ، إذ ربما يظن الظان أنه مائل إلى دين آبائه الأول فيكون ذلك كالأذى في حقه ، حيث كان سبباً .

على أن الظاهر لو فعل ذلك لمضى ومشى ، ولم يكن شيئاً مما اختشى ولا مما وهم به ، ببركة مسماه عليه الصلاة والسلام ، لكن الأمور بيد الله تعالى .

فجعل جقمق بعد ذلك اسمه بالقاهرة مركباً من محمد جقمق ، وكتب ذلك بالقاهرة على بعض طراز الحوائط والرنوك بالقلعة وغيرها ، وعلى أبواب بعض المساجد والجوامع والمدارس .

ثم رأيته على المنبر الذي أنشأه الظاهر هذا محرراً له بمدرسة أستاذه الظاهر برقوق ، وكذا على باب المدرسة التي أنشأها الجمال ابن كاتب جكم - ناظر الخاص - باسم الظاهر هذا ، التي هي بقرب الأبو بكرية بالقرب من سوق الرقيق .

ورأيته - أيضاً - بجامع زين الدين الأستادار ببولاق وبمحال أخر »(١) .

* * *

(١) عبد الباسط - الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ١ ب - ٢ أ .

الناس على دين مليكهم

« . . . فكان عدة من حج في هذه السنة من الأمراء أربعة عشر أميراً ، ولعل هذا لم يقع في دولة من الدول .

أقول : والسبب في إكثار هؤلاء من الحج التقرب إلى خواطر السلطان الظاهر (جقمق) بذلك ، لأنه كان يحب أن يشاع عنه وعن أمرائه التعبد وإظهار الديانات ، وكان يظهر حب من يتعبد ويحج ويفعل الخير ، حتى أن جماعة كثيرة ممن فطن به وبأنه يعجبه ذلك صار يتقرب إلى خواطره بأنواع كثيرة من العبادة ، كالحج وبناء المدارس والجوامع وتجديدها ، وتأدب جماعة كثيرة ممن كان يرتكب أشياء قبل سلطنته ، وصار من له كنه من ذلك يظهر التوبة ، ويخفي ما فعله ، حتى يرجفه حين ارتكابه ذلك الفعل صفير الصافر ويخيفه خفق جناح الطائر ، كل ذلك لما كان يظهره هو ـ أعني الظاهر ـ من العبادة والخير والزهاد (ة) ؛ والناس على دين مليكهم »[1] .

* * *

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ١٥ أ .

ساعده الدهر فاغتر

« . . . وفيه ـ أعني ذي القعدة هذا ـ في يوم الأحد ، ثانيه ، ركب السلطان من القلعة ونزل في جماعة يسيرة من خواصه ، وتوجه إلى قليوب ، ولم يكن معه آلة سلاح ولا ما يمنع به إن حدث أمر ، وكانت البلاد مفتنة إلى الغاية ، والعربان يعطعطون بها ويخبطون ، ثم لما وصل إلى قليوب توجه منها إلى غيرها ـ أيضاً ـ ثم عاد إلى جسر أبي المنجا ، فرآه ، ثم عاد إلى قبة النصر ونزل بتربة يشبك من مهدي الدوادار ، فأقام بها إلى العصر ، ثم ركب وصعد إلى القلعة .

وأعيب ذلك عليه ، وأنشد بعضهم في معنى ذلك ما قيل :

ليس المعز بمحمود ولو سلما

إذ لو قدر خروج طائفة من عصاة العربان عليه مستعدين له لكان له معهم شأن ، فإنه توجه هذه المسافة البعيدة من غير استعداد ولا جند ، تابعاً رأيه ، ظاناً صلاح ما فعله .

وفيه في يوم الخميس سادسه ، ركب السلطان (الأشرف قايتباي) ـ أيضاً ـ وخرج إلى بعض الجهات ، فسير وتوغل سيره إلى بعد ، ثم عاد ، ولا عليه مما يقال في حقه ، وينسب إليه من تقليل ناموس ملكه ، إذ ما يقول القائل عنده كطنين الذباب ، لأنه يرى نفسه أعقل الناس وأكثرهم رأياً ، فأنى يرعوي لكلام غيره ! ولقد ساعده الدهر على ذلك بحيث ما أصابه يوماً في مثل أفعاله هذه ما يخيفه ولا يريبه ، ولهذا اغتر ، وما نعلم آخرته ما تكون ، والعلم إلى الله ـ تعالى ـ وعنده » (١) .

* * *

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ٤ ق ٢٢١ ب .

وحياة رأس مولانا السلطان ما توسطت في عمري

« . . . ولما عاد السلطان من بعض ركباته بدر هذا (المتمسخر) بالمشي أمامه في هيئة السعاة ، وهو يدعو له بتلك الدعوات ، وليس ذلك من عوائد السلاطين ، ولا أن يفعل ذلك أمامهم في مواكبهم ، فظن السلطان أن هذا من مشاهير السعاة ، فحنق منه ، وغضب غضباً شديداً ، وقال : وسطوا هذا . فبدر إليه جماعة لمسكه ، فصاح بأعلى صوته : الله ينصرك يا مولانا السلطان ، والله والله ، وحياة رأس مولانا السلطان ما توسطت في عمري قط ! فضحك منه السلطان ، وسكن ما به ، ثم كلمه بعض من حضر بأنه إنما قصد بذلك التطفل والتحمل ، وذكر له حاله وفقره ، فأمر له بعشرة دنانير »[1] .

* * *

---

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ٣ ق ١٣١ آ .

كائنة أصباي البواب

« . . . في هذه الأيام كانت كائنة أصباي البواب ، أحد مماليك السلطان وخواص خاصكيته المقربين عنده ، وهي أنه جمع جماعة من الحاكة فرسم عليهم موكلاً بهم حتى رمى عليهم شيئاً من الأطرون بثمن سماه هو واختاره بتشهي نفسه ، فشكوه للسلطان ، فأمر مقدم المماليك أن يخلصهم من أصباي المذكور ، فمال المقدم مع أصباي وراعاه خوفاً من شره ، فبعث بالجماعة مع قاصده إليه احتشاماً معه على العادة عندهم في مثل ذلك ، مستبعداً أن يقع منه في حقهم شيئاً ، وقد بلغوا السلطان ، فساعة وقوع بصره عليهم أمر بضربهم ، فضربوا ضرباً أشرفوا منه على الهلاك ، ثم ما كفاه ما فعله بهم حتى جاء بهم إلى تمر الوالي ، وأمره بضربهم وإشهارهم ، فامتنع من ذلك لما رآهم فيه من الحال ، فلا زال به حتى أجابه لإشهارهم ، فشهروا على الإجهار على حمير ، لعدم قدرتهم على المشي من كثرة ما حل بهم من الضرب ، وهم ينادى عليهم : هذا جزاء من يشكي مماليك السلطان ؛ وقد بلغ الناس ذلك ، فأخذوا في التأسف عليهم ، بل وتباكوا عليهم ، ثم بينا هم في أثناء إشهارهم إذ مات أحدهم ، وداموا به في الإشهار على الحمار وهو مكتوب عليه : ميت ، على ما أشيع ذلك ، ثم مات آخر ، بكرة هذا اليوم ، فعند ذلك انطلقت الألسن بالصباح ، واجتمعت الغوغاء من العوام وغيرهم ، وحمل الميتان في تابوتين إلى تحت القلعة ، فرأى السلطان وهو بالقصر هذه الغوشة العظيمة ، فأخبر بالحال ، وبينا هو في ذلك إذ نزل جماعة من الجلبان من الطباق حمية لأصباي ، فغاروا على العوام وعلى من حضر ، وحملوا على الخلق جملة واحدة ، وأرادوا أخذ القتيلين ، ويقال : إن ذلك كان قبل جلوس السلطان بالقصر ، فقاتلهم العوام وتكاثروا عليهم حتى هزموهم على أقبح وجه ، وكثر صياح الناس وقولهم : ما يحل ، وكان وقتاً هائلاً وحطة عظيمة ، فتلايق بأن أحضر أصباي وأمر خيربك الدوادار الثاني أنه يتسمله وينزل به إليهم ويتلطف بهم ، ويخبرهم بأن السلطان يرضيهم في المقتولين إما بقتل أصباي إن اختار

أولياؤهم ذلك أو بدية برضاهم ترضيهم ، وأن يوسع خيربك الحيلة بكل ما أمكنه في تسكين هذه الثائرة ، ويذكر لهم أن أصباي في الترسيم عنده إلى أن يكون ما يختاره أولياء المقتولين ، فنزل خيربك وتلطف بالقضية حتى سكن الحال ، وأخذ القتيلين إلى داره ، فجهزهما وأمر بدفنهما .

ولما أصبح السلطان من الغد قبض على صاحب المنطرون وأسلمه تمر الوالي وأمره بتسلمه وإشهاره ثم توسيطه ، فوسط ، ثم ذهب أصباي إلى داره ، وتردد إليه حواشيه للسلام عليه وتهنئته بسلامته ، ثم أمر السلطان أن ينادى بشوارع القاهرة أن لا يتجاهى بالخاصكية ولا يقف على بابهم ، ومن فعل ذلك أو اجتمع بواحد منهم لا يسأل ما يجري عليه ويشكي إن أخذ بغير معاودة ، فسكن الحال يسيراً ، وركدت الفتنة شيئاً ، وانكفء الكثير من الجلبان ، وحصل بعض فسحة من ذلك الجهد العظيم والبلاء الذي كان في الناس بواسطة الجلبان وتسليطهم على الناس وأذاهم ، وهذا كله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، فنعوذ بالله من ذلك .

ثم لم يزل خيربك يتلطف بأولياء المقتولين حتى صالح عنهما بألف دينار ، ورضوا بذلك ، فأقبضها إياهم ، وكتب بذلك سجلاً محكوماً فيه ، وعمل ما يجب عمله في مثل ذلك شرعاً ، وطلع بالأولياء إلى السلطان وطيب خاطرهم بعد أن قال لهم : أما أنتم فقد أخذتم حقكم من أصباي ، وبقي حقي أنا . ولما بلغ أصباي ذلك اختفى مدة ثم ظهر بشفاعة البعض ، لكنه انجمع عن الناس بالكلية ، لا جوزى »[1] .

* * *

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ٣ ق ١٣١ .

نادرة غريبة ، وكياسة قاض

« . . . وقعت نادرة غريبة من أغرب النوادر وأعجبها بالقاهرة ، ما سمعنا بمثلها قبلها قط ، وهي أن شخصاً كان له على آخر دين يسير ، وهو مبلغ سبعمائة درهم فلوس نقرة ، عبارة عن دينارين وثلث في زماننا هذا ، قضاه منها المذكور شيئاً وبقي خمسمائة ومطله فيه ، فاتفق أن مات المديون وعليه الدين بعد مدة يسيرة ، فجهز وأخرج ليدفن ، وقبل وصولها (أي الجنازة) إلى محل الدفن بلغ صاحب الدين ذلك وأنه أخرج ، فتوجه مسرعاً ومعه أربعة نقباء حتى أدرك الجنازة ، قبل أن توضع عن أعناق الرجال ، فأمسك نعش الميت ورجع به حتى دخل بالميت من باب النصر بعد أن عولج أشد علاج بأن يمهل إلى أن يدفن الميت ثم تعمل مصلحته ، فلم يرض بذلك ، ولما رأى العامة ذلك صاحوا : الشرع الشرع ، واجتمع جمعاً وافراً (*) منهم ، وأخذوا النعش بميته والغريم حتى وصلوا بهما إلى المدرسة الصالحية بين القصرين ، وقد زاد الناس وتوفر جمعهم ، وكثر السواد الأعظم من الناس لما تسامعوا بهذه الكائنة ، واتزاحموا ودخلوا بالدائن المشتكي والجنازة إلى داخل المدرسة حتى وقفوا عند القاضي جلال الدين ابن الأمانة ـ أحد نواب الحكم . . . للحكم في هذه الحادثة ، ولما رأى القاضي ذلك هاله الأمر ، وأخذ يتلابق في ذلك بحسن سياسة لئلا يحصل الفساد ويتسع الخرق ، فبدر أولاً بأن قام من وقته فتوضأ ثم صلى على الجنازة ، ثم عزر رب الدين أبلغ تعزير ، وكان في ذلك خلاص مهجته وإلا كانت العامة قتلوه بأيديهم ، على أنهم تناولوه بالضرب والشتم واللعن والتوبيخ ، وضربوا النقباء الذين كانوا معه ؛ ولولا القاضي سكن هذه الثائرة بما فعله لهلك رب الدين ، بل والنقباء . ثم حمل الميت إلى محل دفنه فدفن ، وعد ذلك من سياسة هذا القاضي ودربته وكياسته وحمد على ذلك » [1] .

(*) كذا في الأصل .

(1) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ٣ ق ١٨٧ ب .

سرق سترا فكشف ستره

« . . . وفيه . . . قبض على شخص تجسر على ضريح الإمام الليث بن سعد فسرق السترَ من عليه ، وكشف الله بواسطته سرقته الستر عنه ، فقطعت يده وطيف به شوارع القاهرة ، وتعجب الكثير من الناس من عظيم جراءة هذا وإقدامه على مثل ذلك ، وماذا كان بقلبه حين فعل ذلك ، وكاد العامة أن تبطش بهذا التعيس ، بل كادوا أن يقتلوه ، ولو علم به جمع كبير قبل قطع يده مثلاً لقتلوه ، لكن لما قطعت يده سكن عنه الحال شيئاً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله » [1] .

* * *

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ٢ ق ٧٥ ب ـ ١٧٦ أ .

الريح المريسية «١»

« . . . وفيه هبت الريح المريسية هبوباً شديداً خارجاً عن المعتاد ، وتأذى الناس بها إلى الغاية ، وهذه الريح إذا هبت في الشتاء كانت باردة ، وإن هبت في الصيف كانت حارة ، ويتعجب منها غالب من لا علم له بطبائع الأشياء .

ولقد سألت جماعة من أعيان الأطباء بمصر عن سبب ذلك ، فلم يجبني أحد منهم بجواب يليق .

وأنا أقول : سبب ذلك أن هذه الريح حارة لطيفة في أصلها ، فهي قابلة للانفعال بقدرة الفاعل الحكيم جل ذكره ،ففي البرد تقبل البرد ، فينفعل فيها بإرادة الفاعل سبب الأسباب جل وعلا ، وفي الحر كذلك . ولهذا تثير الغبار الكثير المترائي ، بخلاف غيرها ، إذ ليس كهي في ذلك ، لأن هذه تتمكن من مداخلة الأجسام أكثر من غيرها ، وتسمى المريسية نسبة إلى المريس من بلاد النوبة ، وإليه ينسب بشر المريسي من الحنفية ، وهي ريح الجنوب عند الأطباء ، وهي أأذى الرياح وأرداها عندهم ، لأنها سبب للتعفين ، لا سيما بمصر .

ولهذا قال بعض الأطباء : إن هذه الريح إذا ذهبت بمصر واتصل هبوبها دائماً خمسة عشر يوماً متوالية ليلاً ونهاراً أحدثت الوباء بقدرة الله تعالى » .

* * *

(١) عبد الباسط ـ الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ١٣ ب ـ ١٤ أ .

نزهة الأساطين

فيمن ولي مصر من السلاطين «*»

(*) اعتمد في تحرير هذا النص على مخطط . أحمد الثالث ـ تركيا ، ذات الرقم : ٢٨٠٣ ، والمرموز إليها بالرمز « أ » ، مع مقابلتها بمخطط . خذابخش بتنة ـ الهند ، ذات الرقم : ٢٣٢٢ والمرموز إليها بالرمز « ب » . وكنا قد أخرجنا هذا النص في نشرة مستقلة ، صدرت في القاهرة في صيف ١٩٨٧ م . ، ووقع فيها الكثير من الحذف والأخطاء الطباعية ، التي نبهنا الناشر إلى ضرورة التنبيه عليها ، فامتنع من ذلك ، مما حتم علينا ـ حرصاً على الأمانة العلمية ـ إعادة نشر النص ـ هنا ـ مرة أخرى مجرداً مصححاً ، اكتفاءً بما أُثبِت هناك من حواشٍ وتعليقات .

٥١ أ / كتاب نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين

جمع الفقير إلى الله تعالى الحفي

عبد الباسط الحنفي

غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، بمحمد وآله [١]

---

(١) في « ب » : « هذه رسالة لطيفة ، تشتمل على ذكر من ولي مصر من السلاطين ، تأليف الشيخ عبد الباسط الحنفي ، رحمة الله عليه وعلى جميع المسلمين » .

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف] ٥٢ أ

الحمد لله مالك الملوك ، الغني وما سواه الصعلوك ، والصلاة والسلام على أفضل الأنام ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الكرام .

وبعد ، فهذه رسالة لطيفة ، تليدة ظريفة ، جمعت فيها أسماء ملوك مصر السلاطين ، من دولة السلطان السعيد الشهيد ، الملك الناصر أبي [١] المظفر ، يوسف بن أيوب إلى هذا الحين . سميتها : « نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين » ، رتبتها دولاً .

٥٢ ب / وبالله - تعالى - في ذلك أستعين [٢] .

---

(١) في « أ » : « أبو » .
(٢) هذه المقدمة ، مبدلة في « ب » بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . هذه رسالة لطيفة ، تشتمل على ذكر من ولي مصر من السلاطين ، تأليف الشيخ عبد الباسط الحنفي » .

ابتداء الدولة الأيوبية الكردية

(١ - الناصر ، صلاح الدين ، يوسف)

يوسف بن أيوب (بن مروان) [١] بن شاذي [٢] ، الكردي ، الدويني . السلطان الملك الناصر ، صلاح الدين ، أبو المظفر .

هو أول ملوك الأكراد ، وأول سلاطين مصر على الحقيقة . يعرف [٣] هذا من له تأمل في التاريخ ، وله معرفة بمقاصده [٣] .

تسلطن[٤] في عاشر محرم سنة أربع وستين وخمسمائة ، ثم [٥] استبد بالأمر في سنة سبع وستين (وخمسمائة) ، وأزال باستبداده الدولة (الفاطمية) [٦] .

على [*] يده فتح بيت المقدس .

(وبنى) [٦] قلعة الجبل (و) [٧] الصور الأعظم بمصر - القاهرة ، دوره نحواً من ثلاثين ألف ذراع بذراع العمل .

توفي ليلة الأربعاء ، ثامن عشر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة . (فكانت) [٨] مدته خمساً وعشرين [٩] سنة .

* * *

---

(١) مضاف من المصادر ، ساقط من « أ » ، « ب » .
(٢) في « أ » ، « ب » : « شادي » ، والتصويب من المصادر .
(٣) ما بينهما ساقط من « ب » .
(٤) في « ب » : سلطنته .
(٥) ما بينهما ساقط من « ب » .
(٦) مضاف لاستكمال المعنى واستقامة النص .
(٧) نفسه .
(٨) مضاف ، على نسق ما في « أ » .
(٩) في « أ » : « وعشرون » .
(*) من هنا حتى آخر الترجمة التالية ساقط من مصورة « أ » ، مثبت من « ب » .

(٢ ـ العزيز ، عثمان)

[عثمان بن يوسف بن أيوب ، الملك العزيز ، أبو الفتح ، عماد الدين بن الناصر .

تسلطن في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، بعد موت أبيه ، وكان (قد سُلْطِنَ) قبل ذلك في منتصف شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

وتوفي ليلة سابع عشري (١) محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة . فكانت (٢) مدته : ست سنين] (*) .

* * *

(٣ ـ المنصور ، محمد)

٥٤ أ / محمد بن عثمان بن يوسف بن أيوب (٣) ، الملك المنصور ، أبو الفتح ابن العزيز ابن الناصر .

تسلطن في (٤) يوم الاثنين، سابع عشري (٥) محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وخُلِعَ في (٦) سنة ست وتسعين وخمسمائة . فكانت (٧) مدته : سنة وثمانية أشهر وعشرين (٨) يوماً .

* * *

(١) في « ب » : « سابع عشرين » .
(٢) « فكانت » مضاف ، على نسق ما في « أ » .
(*) ما بين المعقوفين ، ساقط من مصورة « أ » .
(٣) « ابن يوسف بن أيوب » ـ ساقط من « ب » .
(٤) « في » ـ ساقط من « ب » .
(٥) في «أ» ، « ب » « سابع عشرين » .
(٦) « في » ـ ساقط من « ب » .
(٧) « فكانت » ـ ساقط من « ب » .
(٨) في «ب» « وعشرون » .

(٤ ـ العادل ، أبو بكر)

أبو بكر بن أيوب بن شاذي [١] ، الملك العادل ، سيف الدين ، أبو الفتح .

تسلطن في يوم الجمعة حادي عشري [٢] شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة ، / وهو أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . ٥٤ ب

وله [٣] عدة فتوح ، و [٤] بنى المدرسة العادلية بدمشق وهو بها [٥] قبل سلطنة مصر .

ومات في [٦] يوم الخميس ، سابع [٧] جمادي الآخرة سنة خمس [٨] عشرة وستمائة .

وكانت [٩] مدته نحواً من ست عشرة [١٠] سنة .

* * *

(١) في « ب » : « شادي » .
(٢) في «أ» ، «ب» : « حادي عشرين » .
(٣) « وله عدة فتوح » ـ ساقط من «ب» .
(٤) الواو ـ ساقطة من «ب» .
(٥) في «ب»: « بدمشق قبل السلطنة » .
(٦) في «ب»: «وتوفي يوم » .
(٧) «سابع » ـ مكررة في «ب» .
(٨) في «أ» ، «ب» : « اثني عشر » وهو خطأ ، والتصويب من : ابن الأثير . الكامل ج ١٢ ص ٣٥٠ ، المنذري . التكملة لوفيات النقلة . ج ٢ ص ٤٣٠ ، أبي شامة . الذيل على الروضتين ص ١١٢ ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٠ ، الدواداري . كنز الدرر ج ٧ ص ١٩٧ ، ابن الوردي . تتمة المختصر ج ٢ ص ٢٠١ ، ابن الفرات . التاريخ ج ٥ ص ٢٣٩ ، ابن دقماق . الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦ ، المقريزي . السلوك ج ١ ص ٢٢٥ ، ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٥ .
(٩) في «ب» : «مدته : تسع عشرة سنة » .
(١٠) في «أ»: «ستة عشر » .

(٥ - الكامل ، محمد)

محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الملك الكامل [١] ، أبو المعالي .

وهو باني [٢] قبة الإمام الشافعي - رضي[٣] الله عنه - وصاحب المدرسة
٥٥ أ الكاملية - دار الحديث - بين القصرين ، تجاه [٤] دار تمر الوالي ، وتعرف [٥] /
- الآن - ببيت ماماي .

تسلطن بعهد من أبيه في حال حياته [٦] ، في جماد (ي) الآخر (ة) سنة خمس عشرة وستمائة [٧] ، ومات في آخر [٨] يوم الأربعاء ، حادي عشري [٩] رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وكانت مدته : ثلاثاً وعشرين[١٠] سنة ، تزيد[١١] شيئاً .

* * *

(٦ - العادل الصغير ، أبو بكر)

أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الملك العادل - أيضاً كجده[١٢] - ابن الكامل ابن العادل ، سيف الدين ، أبو الفتح .

---

(١) في «أ»: « الكامل الدين » .
(٢) « وهو باني » ، مبدل في « ب » بقوله : « بنى » .
(٣) « رضي الله عنه ، وصاحب المدرسة » : ساقط من «ب» .
(٤) « تجاه ... ماماي » ساقط من «ب» .
(٥) في «أ» : «ويعرف» .
(٦) « في حال حياته » : ساقط من «ب» .
(٧) في «أ» ، «ب»: « سنة اثني عشر وستمائة » ، والتصويب من المصادر .
(٨) « ومات في آخر يوم » ، مبدل في «ب» بقوله : « وتوفي يوم » .
(٩) في «أ» ، «ب» : « حادي عشرين » .
(١٠) في «ب» : « مدته : اثنان وعشرون سنة » ، وفي «أ» : «ثلاثاً وعشرين» .
(١١) « تزيد شيئاً » : ساقط من «ب» .
(١٢) «أيضاً كجده» - ساقط من «ب» .

تسلطن في يوم الخميس ، ثاني عشري [1] رجب [2] سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وخلع / في [3] يوم الخميس ، تاسع شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة . ٥٥ ب

وكانت [4] مدته . سنتين وشهرين [5] وثمانية عشر يوماً .

* * *

(٧ - الصالح ، أيوب)

أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الملك الصالح نجم الدين ، أبو الفتح ، ابن الكامل ابن العادل .

صاحب المدارس [6] الصالحية بين القصرين ، وباني قلعة الروضة التي هُدِمَت بعد ذلك ، وكانت عظيمة [7] .

وهو الذي جلب المماليك إلى مصر ، وليته ما فعل .

تسلطن في [8] عاشر شوال سنة تسع وثلاثين وستمائة وهو غائب ، حلف له الأمراء وسلطنوه ، وخُطِبَ له في يوم الجمعة / ، ثم دخل مصر في يوم الجمعة الثانية ليلاً ، ثالث عشري [9] شوال ، وأصبح جالساً على تخت الملك [10] . ٥٦ أ

---

(١) في «أ» ، «ب» : «ثاني عشرين » .

(٢) في «ب» : « شهر رجب » .

(٣) «في» : ساقط من «ب» .

(٤) «وكانت » : ساقط من «ب» .

(٥) في «ب» : «مدته : سنتان وشهران . . . » .

(٦) في «ب» : «المدرسة » .

(٧) « التي هدمت . . . عظيمة » : ساقط من «ب» .

(٨) «في» : ساقط من «ب» .

(٩) في «أ» : « ثالث عشرين » .

(١٠) « حلف له . . . تخت الملك » : ساقط من «ب» .

ومات في [1] ليلة الاثنين نصف شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة . فكانت [2] مدته نحواً من عشر سنين .

* * *

(٨٠ ـ المعظم ، توران شاه)

توران شاه ابن أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الملك المعظم ، سيف الدين ، أبو الفتح ، ابن الصالح ابن الكامل ابن العادل .

تسلطن بدمشق في [3] يوم السبت ، مستهل شوال سنة سبع وأربعين
٥٦ ب وستمائة ، وجلس [4] على تخت الملك بعد قدومه ـ بالمنصورة ، قريب ثغر / دمياط ـ لتسع بقين من ذي (الـ) قعدة من السنة المذكورة .

ومات قتيلاً في [5] يوم الجمعة ، سادس عشري [6] محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة .

وبموته انقضت الدولة الأيوبية الكردية .

وكانت [7] مدته : أحَدَ وسبعينَ يوماً .

* * *

(١) في «ب»: «وتوفي ليلة . . .» .
(٢) في «ب»: مدته : «عشرون سنة» .
(٣) «في»: ساقط من «ب» .
(٤) «وجلس . . . المذكورة» : ساقط من «ب» .
(٥) «في» : ساقط من «ب» .
(٦) في «أ» ، «ب» : «سادس عشرين» .
(٧) في «ب»: «مدته : أحد وسبعون يوماً» .

ابتداء الدولة التركية التترية

(١ ـ عصمة الدين ، أم خليل)

شجر[١] الدر ، الملكة عصمة الدين ، أم خليل ، سُرِّية الملك الصالح ، التركية .

تسلطنت في[٢] غيبتها بالقاهرة[٣] . أجمع[٤] الأمراء خشداشيتها[٥] على سلطنتها وهم بالمنصورة ، وتحالفوا لها في[٦] يوم قتلهم الملك[٧] المعظم ـ لرأيها[٨] وتدبيرها / وعقلها الكامل ، ولكون القلعة بيدها ـ وتحالفوا ٥٧ أ
على ذلك لها في اليوم المذكور[٨] ، سنة ثمان وأربعين وستمائة .

وهي صاحبة التربة بطريق المشهد النفيسي ، مسكن خلفاء عصرنا الآن .

وخلعت في سنتها . فكانت مدتها ثمانين يوماً .

* * *

(٢ ـ المعز ، أيبك)

أيبك ، التركماني ، الصالحي ، التركي ، الملك المعز ، عز الدين ، أبو العز ـ صاحب المعزية بمصر .

---

(١) في «ب»: «شجرة الدر» .
(٢) « في غيبتها »: ساقط من «ب» .
(٣) في «ب»: «في القاهرة» .
(٤) في «ب»: «اجتمعت» .
(٥) في «أ» : «خشداشيها» ، والكلمة ساقطة من «ب» . ولعل المقصود : « أربابها » ممن مسهم الرق ، على غير مفهوم المصطلح .
(٦) «في»: ساقط من «ب» .
(٧) في «ب»: «للملك» .
(٨) ما بينهما ساقط من «ب» .

هو أول ذكر تسلطن بمصر ممن مسه الرق ، وهو مملوك الصالح ، نجم الدين أيوب .

٥٧ ب تسلطن في [١] يوم السبت / سلخ ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة ، نزلت له شجر [٢] الدر عن الملك ، وتزوج بها ، ومات قتيلاً بيدها مع جواريها [٣] في ليلة الأربعاء ، رابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة .

وكانت [٤] مدته سبع سنين ، تزيد أياماً .

* * *

(الأشرف ، موسى)

موسى بن يوسف بن يوسف [٥] بن محمد بن أبي بكر بن أيوب الملك الأشرف .

أُقيم في الملك طفلاً شريكاً للمعز ، قطعاً لألسنة الناس ، لكونه [٦] من
٥٨ أ البيت الأيوبي [٦] . ولم يكن له من الأمر شيء سوى الاسم / ، وكانت مدته ثلاث سنين ، تزيد قليلاً ، وخلع ، واستبد أيبك (بالملك) [٧] ، وسجنه حتى مات بعد ذلك .

* * *

---

(١) «في»: ساقطة من «ب» .
(٢) في «ب»: «شجرة الدر» .
(٣) في «ب»: «جوارها» .
(٤) في «ب»: «مدته ٧ سنين» .
(٥) «ابن يوسف» : ساقط من «ب» لتوهم التكرار، والاسم الساقط ، ورد كذلك في بعض المراجع : «طسز» ، و«أقسيس» . راجع : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٢٣٧ .
(٦) ما بينهما ساقط من «ب» .
(٧) مضاف من «ب» .

(٣ ـ المنصور ، علي)

علي بن أيبك ، الملك المنصور ، أبو الفتح .

تسلطن في (١) يومِ الخميس ، سادس عشري (٢) ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة ، وخلِعَ في (٣) سنة سبْع وخمسيْن (وستمائة) (٤) ، فكانت (٥) مدته دون السنتين .

* * *

(٤ ـ المظفر ، قطز)

قطز المعزي ، سيف الدين ، أبو الفتح ، التركي .

تسلطن في (٦) يوم السبت ، رابع عشري (٧) (ذي) القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة .

وهو الذي قام بنصرة / الإسلام لما (٨) جاء التتار إلى هذه المملكة مع ٥٨ ب
هولاكو (٩) ملكهم بجيش عظيم ، وكان له اليد البيضاء في ذلك (٨)

ومات قتيلاً بعد عوده (١٠)، اغتيل قبل (١١) دخوله القاهرة في (١٢) يوم

---

(١) «في»: ساقط من «ب» .

(٢) في «ب»: «سادس عشر ، وفي «أ»: سادس عشرين .

(٣) «في»: ساقط من «ب».

(٤) «وستمائة»: مضاف من «ب» .

(٥) في «ب»: «مدته : دون سنتين» .

(٦) «في»: ساقط من «ب» .

(٧) في «أ» ، «ب»: «رابع عشرين» .

(٨) ما بينهما ساقط من «ب» .

(٩) في «أ»: «هلاكو» .

(١٠) «بعد عوده» : ساقط من «ب» .

(١١) «قبل دخوله القاهرة» : موضعه في «ب» آخر هذه الفقرة

(١٢) «في»: ساقط من «ب» .

السبت خامس عشري [1] (ذي) القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، فكانت مدته سنة ويوماً [2] .

* * *

(٥ ـ الظاهر ، بيبرس)

بيبرس البندقداري ، التركي ، الصالحي ، الكبير . الملك الظاهر ، ركن الدين ، أبو الفتح .

صاحب الجامع الأعظم بالحسينية ، والمدرسة الصالحية الظاهرية العتيقة تجاه البيمارستان المنصوري [3] ، وباني قناطر السباع ، وصاحب / الفتوحات العديدية [4] .

كان [5] ملكاً شهماً جليلاً .

تسلطن في [6] يوم قتل المظفر قطز [7] سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ومات في [8] يوم الخميس ، سابع عشري [9] محرم سنة ست وسبعين وستمائة ، فكانت [10] مدته ثمان عشرة [11] سنة ، تزيد يسيراً .

* * *

(١) في «ب» : «حادي عشرين» ، وفي «أ» : «خامس عشرين» .
(٢) في «ب» : «مدته : سنة» .
(٣) « المنصوري » : ساقط من «ب» .
(٤) « العديدة » : ساقط من «ب» .
(٥) « كان ملكاً شهماً جليلاً » : ساقط من «ب» .
(٦) « في » : ساقط من «ب» .
(٧) « قطز » : ساقط من «ب» .
(٨) «في» : ساقط من «ب» .
(٩) في «أ» ، «ب» : «سابع عشرين» .
(١٠) «فكانت» : ساقط من «ب» .
(١١) في «أ» : « ثمانية عشر سنة » .

(٦ ـ السعيد ، بركة خان)

بركة خان بن بيبرس ـ ويسمى محمداً أيضاً ـ الملك السعيد ، ناصر الدين ، أبو السعد ، ابن الظاهر .

تسلطن في [١] يوم الخميس ، سادس عشري [٢] صفر سنة ست وسبعين وستمائة ، وكان والده سلطنه قبل ذلك ـ أيضاً [٣] ـ في حال / حياته ، وهذه السلطنة بعد وفاته [٣] . ٥٩ ب

وله حمام بقرب مدرسة الناصر حسن ، هي من آثاره [٤] .

خُلِعَ في سابع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة ، فكانت [٥] مدته سنتين وشهراً ، تزيد أياماً .

* * *

(٧ ـ العادل ، سلامش)

سلامش [٦] بن بيبرس ، الملك العادل ، بدر الدين ، أبو الفتح ابن الظاهر .

تسلطن في يوم خلع أخيه ، سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وخلع فيها ـ أيضاً ـ بعد شهر وبعض أيام ، هي مدته .

* * *

---

(١) «في» : ساقطة من «ب» .
(٢) في «أ» ، «ب» : « سادس عشرين » .
(٣) ما بينهما ساقط من «ب» .
(٤) « هي من آثاره » : ساقط من «ب» .
(٥) في «ب» : « وخلع بعد شهرين وأيام» .
(٦) هذه الترجمة ساقطة من «ب» .

(٨ ـ المنصور ، قلاوون)

قلاوون ، الصالحي ، النجمي ، الألفي ، التركي ، أبو السلاطين
٦٠ أ / الملك المنصور ، سيف الدين ، أبو الفتح .

تسلطن في يوم الأحد العشرين (١) من رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة .

وهو باني البيمارستان المنصوري بالقاهرة (٢) ، الذي ما بني مثله في الإسلام (٣) ، وله (٤) أبنية غيره .

وهو الذي (٥) افتتح (٦) طرابلس الشام وغيرها أيضاً (٧) .

وكان ملكاً عاقلاً ، شهماً ، جليلا ، من أجل ملوك الإسلام (٧) .

مات (٨) في ليلة السبت سادس ذي [الـ] ـقعدة سنة تسع وثمانين وستمائة .

وكانت (٩) مدته إحدى عشرة سنة وثلاثة شهور ونصف .

* * *

(٩ ـ الأشرف ، خليل)

٦٠ ب خليل بن قلاوون ، الملك الأشرف ، صلاح الدين / أبو الفتح ، ابن المنصور .

---

(١) في «ب»: «يوم الأحد والعشرين» .
(٢) « بالقاهرة » : ساقط من «ب» .
(٣) في «ب»: « ما بني في الإسلام مثله » .
(٤) « وله أبنية غيره » : ساقط من «ب» .
(٥) « وهو الذي » : ساقط من «ب» .
(٦) في «ب»: «وفتح» .
(٧) ما بينهما ساقط من «ب» .
(٨) في «ب»: «توفي» .
(٩) في «ب»: « مدته إحدى عشر وثلاث شهور ونصف » ، وفي «أ»: « وكانت مدته أحد عشر سنة وثلاث شهور ونصف » .

صاحب المدرسة الأشرفية العتيقة [١] بقرب المشهد النفيسي . وفاتح عكا ، وغيرها .

تسلطن في [٢] يوم الأحد [٣] ، سابع ذي القعدة [٤] سنة تسع وثمانين وستمائة .

ومات قتيلاً في عاشوراء ، سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وكانت [٥] مدته ثلاث سنين ، تزيد شيئاً .

* * *

(١٠ ـ الناصر ، محمد بن قلاوون)

محمد بن قلاوون [٦] ، الملك الناصر ، ناصر الدين ، أبو المعالي ، ابن المنصور .

صاحب العمائر الهائلة ، والآثار الطائلة [٧] ، من ذلك القصر الأبلق بالقلعة ، والجامع بها [٨] ، والإيوان المعظم ، وغير ذلك من أبنية [٩] .

/ تسلطن في [١٠] يوم السبت سادس عشر محرم سنة ثلاث وتسعين ٦١ أ
وستمائة ، وخُلِعَ في [١١] يوم الأربعاء ، حادي عشر محرم سنة أربع وتسعين [وستمائة] ، بعد سنة ، وهي السلطنة الأولى .

---

(١) في «ب» : «توفي» .
(٢) «في» : ساقط من «ب» .
(٣) في «أ» : «الأحد يوم» .
(٤) في «أ» : « ذي قعدة» .
(٥) في «ب» : «مدته ثلاث سنين» .
(٦) في «أ» : «قلاوون» .
(٧) « والآثار الطائلة » : ساقط من «ب» .
(٨) «بها» : ساقط من «ب» .
(٩) «من أبنيـة » : ساقط من «ب» .
(١٠) «في» : ساقط من «ب» .
(١١) نفسه .

ثم أُعِيد بعد مدة (١) في يوم الاثنين سادس جماد [ي] الأولـ] ـى] سنة ثمان وتسعين وستمائة . ثم خُلِعَ في سنة ثمان وسبعمائة (٢) ، فكانت مدته الأولى سنة ، ومدته (٣) الثانية عشر سنين وسبعة (٤) شهور ، وهي (٥) السلطنة الثانية . عاد لها ولم يغير لقبه (٥).

٦١ ب ثم أُعيد ، وهي سلطنته الثالثة (٦) ، في يوم الخميس ثاني / شوال سنة تسع وسبعمائة ، ولم (٧) يغير اللقب ـ أيضاً ـ وبقي في السلطنة مدة طويلة (٧) .

ومات في (٨) ليلة الخميس حادي عشري(٩) [ذي](١٠) الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

فكانت(١١) مدته الأولى والثانية والثالثة نحواً من ثلاثٍ وأربعين سنة .

وأحدث في سلطنته (١٢) أشياء كثيرة يُذكر بها .

وفي أيامه كان حلق(١٣) الأتراك رءوسهم ، وكانوا(١٤) قبل ذلك سلاطينهم وأمراءهم وجندهم ، الكل بالشعر ، وكان شعاراً لهم ، فتركه لرمد حصل لعينه ، وتبعوه ، فاستمر على ذلك(١٤) .

* * *

---

(١) «بعد مدة» : ساقط من «ب» .
(٢) في «ب» : «٦٩٨» .
(٣) « مدته» : ساقط من «ب» .
(٤) في «أ» ، «ب» : «سبع» .
(٥) ما بينهما ساقط من «ب» .
(٦) « وهي سلطنته الثالثة » : يقابلها في «ب» بعد قوله : « سنة تسع وسبعمائة » ، قوله : « وهي السلطنة الثالثة » .
(٧) ما بينهما ساقط من «ب» .
(٨) في «ب» : «وتوفي» .
(٩) في «أ» : « حادي عشرين » ، وفي «ب» : «حادي عشر» .
(١٠) «ذي» : ساقط من «أ» ، مثبت من «ب» .
(١١) يقابل هذه العبارة في «ب» قوله : « مدته في الجميع ٤٨» .
(١٢) في «ب» : « في السلطنة » .
(١٣) « يذكر بها ، وفي أيامه كان حلق » ساقط من «ب» .
(١٤) ما بينهما في «ب» قوله : «لأنهم كانوا قبل ذلك يربوا شعور رءوسهم ، فكان ذلك شعارهم ، فلما حصل للسلطان الرمد وحلق رأسه حلقوا الجميع رءوسهم » .

/ (١١ ـ العادل ، كتبغا) ٦٢ أ

كتبغا (١) ، المنصوري ، التركي ، الملك العادل ، زين الدين ، أبو الفتح .

تسلطن في يوم الأربعاء ، حادي عشري (٢) محرم سنة أربع وتسعين وستمائة ، وهو يوم خَلْعِ الناصر من سلطنته الأولى .

وخُلِعَ في سنة ست وتسعين وستمائة ، فكانت مدته سنتين وسبعة عشر يوماً .

* * *

(١٢ ـ المنصور ، لاجين)

لاجين ، المنصوري ، التركي ، الملك المنصور ، أبو الفتح ، حسام الدين .

صاحب تجديد جامع ابن طولون ، ومرتب أموره بعد دثوره ، فله هذه المنقبة .

/ تسلطن في (٣) [يوم] (٤) الثلاثاء ، سابع عشري (٥) محرم سنة ست ٦٢ ب
وتسعين وستمائة . ومات مقتولاً في (٦) ليلة الجمعة ، حادي عشري (٧) ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة .

---

(١) في «ت»: «بيبغا» .
(٢) في «أ»، «ب»: «حادي عشرين» .
(٣) «في»: ساقط من «ب» .
(٤) «يوم»: مثبت من «ب» .
(٥) في «أ»، «ب»: « سابع عشرين» .
(٦) «في»: ساقط من «ب» .
(٧) في «أ»، «ب»: «حادي عشرين» .

فكانت مدته سنتين وبعض شهورٍ ، وَوَلي بعده محمد بن قلاوون ، الناصر [1] [السلطنة] الثانية .

* * *

(١٣ ـ المظفر ، بيبرس الجاشنكير)

بيبرس المنصوري ، التركي ، الثاني ، المعروف بالجاشنكير [2] ، الملك المظفر ، أبو الفتح ، ركن الدين .

صاحب الخانقاه [3] البيبرسية .

تسلطن في [4] يوم السبت ، ثالث عشري [5] شوال سنة ثمان وسبعمائة ،

٦٣ أ وخُلِعَ / [6] في يوم الثلاثاء ، سادس عشر رمضان سنة تسع وسبعمائة ، فكانت [7] مدته أحد عشر شهراً . وأعيد بعده « محمد بن قلاوون » إلى سلطنته الثالثة ، التي [8] مات بعدها من غير خلع [8] .

* * *

(١٤ ـ المنصور ، أبو بكر)

أبو بكر بن محمد بن قلاوون [9] ، الملك المنصور ، سيف الدين ، أبو الفتح ابن الناصر ابن المنصور .

---

(١) «الناصر» : ساقط من «ب» .
(٢) في «أ» : «بالجاسنكير» .
(٣) في «أ» : «الخانقات» .
(٤) «في» : ساقط من «ب» .
(٥) في «أ» ، «ب» : «ثالث عشرين» .
(٦) «في» : ساقط من «ب» .
(٧) «فكانت» : ساقط من «ب» .
(٨) ما بينهما ساقط من «ب» .
(٩) في «أ» : «قلاوون» .

تسلطن في [1] يوم الخميس حادي عشري [2] [ذي] الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وهي سنة موت الناصر والده .

وخُلِعَ في سنة اثنتين [3] وأربعين وسبعمائة ، / فكانت [4] مدته ٦٣ ب شهرين [5] .

* * *

(١٥ ـ الأشرف ، كجك)

كجك بن محمد بن قلاوون [6] ، الملك الأشرف ، سيف الدين ، أبو الفتح ، ابن الناصر ابن المنصور .

تسلطن في [7] سنة اثنتين [8] وسبعمائة ، وخُلِعَ فيها ، فكانت مدته خمسة [9] شهورٍ .

* * *

(١٦ ـ الناصر ، أحمد)

أحمد بن محمد بن قلاوون [10]، الملك الناصر ، شهاب الدين ، أبو المعالي ، ابن الناصر ابن المنصور .

---

(١) «في»: ساقط من «ب».
(٢) في «أ»، «ب»: «حادي عشرين» .
(٣) في «أ»: «اثنين» .
(٤) في «ب»: «فكان» .
(٥) في «أ»: «شهران» .
(٦) في «أ»: «قلاون» .
(٧) «في»: ساقط من «ب» .
(٨) في «أ»: «اثنين» .
(٩) في «أ»، «ب»: «خمس شهور» .
(١٠) في في «أ» : «قلاون» .

تسلطن في سنة اثنتين (١) وأربعين وسبعمائة ، وخُلِعَ فيها بعد ستة أشهرٍ ، فكانت (٢) مدته .

* * *

(١٧ ـ الصالح ، إسماعيل)

٦٤ أ / إسماعيل بن محمد بن قلاوون (٣) ، الملك الصالح عماد الدين ، أبو الفداء ، ابن الناصر ابن المنصور .

تسلطن في محرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

وهو الذي بنى الدهيشة بالقلعة .

ومات في (٤) يوم الخميس ، رابع ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبعمائة ، فكانت (٥) مدته ثلاث سنين تزيد شيئاً .

* * *

(١٨) الكامل ، شعبان)

شعبان بن محمد بن قلاوون ، الملك الكامل ، سيف الدين ، أبو الفتح ، ابن الناصر ابن المنصور .

٦٤ ب تسلطن في يوم موت أخيه الصالح ، سنة ست وأربعين / وسبعمائة ، وخُلِعِ في سنة سبع وأربعين وسعبمائة ، فكانت مدته [سنة وثمانية وخمسين يوماً] (٦) .

* * *

---

(١) في «أ»: «اثنين».

(٢) «فكانت مدته»: ساقط من «ب».

(٣) في «أ»: «قلاون».

(٤) «في»: ساقط من «ب».

(٥) ما بينهما يقابله في «ب» قوله: «مدته: سنتان تزيد شيئاً» .

(٦) في «أ» : « فكانت مدته هي » وقد بيض لما بعدها ، وفي «ب» : « مدته سنة » ، وما بين المعقوفتين من المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٢٤٠ ، والسلوك ج ٢ ص ٧١٣ ، ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٤٠ .

(١٩ ـ المظفر ، حاجي)

حاجي بن محمد بن قلاوون (١) ، الملك المنصور (*) ، زين الدين ، أبو القاسم ، ابن الناصر ابن المنصور .

تسلطن في يوم قتل أخيه الكامل شعبان ، وهو يوم الاثنين مستهل جماد[ى] الآخر[ة] سنة سبع [وأربعين](٢) وسبعمائة، وخُلِعَ في يوم الاثنين، ثالث عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، فكانت (٣) مدته سنة ونحواً من أربعة (٤) شهور .

* * *

(٢٠ ـ الناصر ، حسن)

حسن بن محمد بن قلاوون (٥) ، الملك الناصر / ، بدر الدين ، أبو ٦٥ أ المعالي ، وأبو المحاسن ، ابن الناصر ابن المنصور .

صاحب المدرسة المعظمة الهائلة ، تجاه القلعة ، التي ما عُمِرَ مثلها في الإسلام ، ولا نظير لها في الدنيا . وله تربة ـ أيضاً ـ بالقرافة .

تسلطن في يوم الثلاثاء ، رابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وخُلِعَ في (٦) يوم الأحد رابع عشري (٧) جماد[ي] الآخر[ة] سنة اثنتين (٨) وخمسين وسبعمائة ، ثم أعِيد في يوم الاثنين ، ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

---

(١) في «أ» : «قلاون» .
(٢) « وأربعين » : ساقطة من «أ».
(٣) «فكانت» : ساقطة من «ب».
(٤) في «أ»، «ب» : «أربع».
(*) كذا في «أ»، «ب»، وصوابه : «المظفر» .
(٥) في «أ» : «قلاون» .
(٦) «في» ساقط من «ب».
(٧) في «أ»، «ب» : «رابع عشرين» .
(٨) في «أ» : «اثنين».

ب· ومات مقتولاً في [١] يوم الأربعاء / ، تاسع جماد[ي] الأولـ[ـى] سنة اثنتين [٢] وستين وسبعمائة [٣] .

فكانت مدته الأولى والثانية نحواً من أربع عشرة سنة .

* * *

(٢١ ـ الصالح ، صالح)

صالح بن محمد بن قلاوون ، الملك الصالح ، صلاح الدين ، أبو الفتح ، ابن الناصر ابن المنصور .

تسلطن في يوم الاثنين ، ثامن عشري [٤] جماد[ى] الآخر[ة] سنة اثنتين [٥] وخمسين وسبعمائة .

وهو الذي أفرد قرية « بيسوس » على كسوة الكعبة [المشرفة] [٦] ، وجعل لها ناظراً على حِدَةٍ ، وصارت وظيفة [٧] .

وخُلِعَ في سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، فكانت [٨] مدته ثلاث سنين ، وأربعة [٩] شهور .

* * *

(١) «في»: ساقط من «ب».
(٢) في «أ» : «اثنين » .
(٣) في «ب»: «سينة ٧٧٢» .
(٤) في «ب»: «ثامن عشر» .
(٥) في «أ»: «اثنين».
(٦) ما بين المعقوفتين مضاف من «ب».
(٧) « وجعل . . . وظيفة »: ساقط من «ب»
(٨) « وخلع»: ساقط من «ب».
(٩) في «أ»: «وأربع».

(٢٢ ـ المنصور ، محمد)

/ محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون (١) ، الملك المنصور ، ٦٦ أ
صلاح الدين ، أبو الفتح ، ابن المظفر ابن الناصر ابن المنصور .

تسلطن في يوم الأربعاء ، تاسع جماد[ي] الأول[ى] سنة اثنتين (٢) وستين وسبعمائة ، و(٣)خُلِعَ في يوم الثلاثاء ، نصف شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة . فكانت (٤) مدته سنتين (٥) وثلاثة شهور وخمسة أيام .

وهو أول سلطان من أولاد أولاد الناصر محمد بن قلاوون (٦) .

* * *

(٢٣ ـ الأشرف ، شعبان)

شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، الملك الأشرف ، زين الدين ، أبو الجود ، ابن الأمجد ابن / الناصر ابن المنصور . ٦٦ ب

والأمجد حسين أبوه لم يتسلطن .

تسلطن شعبان في يوم خلع محمد المنصور ، سنة أربع وستين وسبعمائة .

وهو باني المدرسة العظيمة (٧) التي هُدِمَت بعد ذلك (٨) ، وصارت

---

(١) في «أ» : «قلاون» .
(٢) في «أ» : «اثنين» .
(٣) الواو : ساقطة من «ب» .
(٤) « فكانت » : ساقطة من «ب» .
(٥) في «أ» : «سنتان» .
(٦) في «أ» : «قلاون» .
(٧) في «ب» : «المعظمة» .
(٨) «ذلك» : ساقط من «ب» .

تُعرف بالبِيْمَارَسْتَان العتيق ، وباني المدرسة لأمة بالتبانة ، المعروفة بأم السلطان ، وهي « الخوند بركة » .

وهو الذي ابتدأ بقراءة صحيح (1) البخاري بالقلعة .

مات مقتولاً في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة . وكانت مدته أربع عشرة (2) سنة وشهرين .

* * *

(٢٤ ـ المنصور ، علي)

٦٧ أ علي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون / ، الملك المنصور ، علاء الدين ، أبو الفتح ، ابن الأشرف ابن الأمجد ابن الناصر ابن المنصور .

تسلطن في ثالث ذي القعدة (3) سنة ثمان وسبعين وسبعمائة . ومات في يوم الأحد . ثالث عشري (4) صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة . فكانت مدته خمس سنين وثلاثة (5) شهور وخمسة عشر يوماً .

وهو أول سلطان من أولاد أولاد (أولاد) الناصر محمد بن قلاوون (6) .

* * *

(٢٥ ـ الصالح ، حاجي)

حلجي ، ويقال : أمير حاج بن شعبان بن حسين بن محمد بن

---

(١) «صيحيح»: ساقط من «ب».
(٢) في «أ»: «أربعة عشر سنة» .
(٣) في «أ»: «ذي القعدة».
(٤) في «أ» ، «ب»: «ثالث عشرين» .
(٥) في «أ»: «ثلاث» .
(٦) في «أ»: «قلاون».

قلاوون (١) الملكِ الصالح ، زين الدين ، أبو الجود / ، ابن الأشرف ابن ٦٧ ب الأمجد ابن الناصر ابن المنصور .

تسلطن في يوم الاثنين ، رابع عشر صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وخُلِعَ في يوم الأربعاء ، تاسع عشر (٢) رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، فكانت (٣) مدته سنة ونصف سنةٍ (٤) ، تزيد أياماً .

ثم أُعيد ، وتلقب بالمنصور ، ثم خُلِعَ في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وهي السنة التي وَلِي فيها .

وبخلعه انقضت دولة الأكراد وأولادهم ، ودولة الأتراك وأولادهم ، من منذ ولاية الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وإلى هذه المدة .

* * *

---

(١) في «أ» : «قلاون».
(٢) في «أ» : «تاسع عشرين»، وهو خطأ .
(٣) «فكانت» : ساقط من «ب».
(٤) «سنة ، تزيد أياماً» : ساقط من «ب».

ابتداء الدولة الجركسية

(١ ـ الظاهر ، برقوق)

برقوق بن آنَصْ ، العثماني ، اليلبغاوي[١]، الجركسي ،الملك الظاهر ، سيف الدين ، أبو سعيد . أول ملوك الجراكسة بمصر .

تسلطن في يوم الأربعاء ، تاسع عشر رمضان ، يوم خُلع حاجي المنصور[٢] ، في سنة أربع وثمانين وسبعمائة .

وخُلِعَ في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وسجن بالكرك . فكانت مدة سلطنته الأولى ست سنين وشهوراً .

ثم ولي حاجي ، الصالح ، المنصور ، وخُلِعَ على ما تقدم .

ثم أعِيد برقوق ـ وهي سلطنته / الثانية ـ في سنة إحدى وتسعين ٦٨ ب وسبعمائة .

وهو باني البرقوقية ، المدرسة المعظمة بين القصرين ، وصاحب التربة المعظمة ، الحافلة ، الهائلة .

وعا ، فلم يغير لقبه .
ومات في[٣] ليلة الجمعة ، نصف شوال ، سنة إحدى وثمانمائة .
فكانت مدة سلطنته[٤] الثانية عشر سنين إلا بعض أيام .
ومجموع المدتين : ست عشر[ة] سنة وأياماً[٥] .
وكان[٦] شهماً جليلاً .

* * *

(١) في «ب»: « البلبغاوي » .
(٢) في «ب»: «حاجي ، محمد ، المنصور» .
(٣) «في» ـ ساقط من «ب».
(٤) في «ب»: «المدة لسلطنته» .
(٥) في «ب»: «عشر سنين وأيام» .
(٦) « وكان شهماً جليلاً » ـ ساقط من «ب» .

(٢ ـ الناصر ، فرج)

فرج بن برقوق بن آنص . الملك الناصر ، زين الدين ، أبو السعادات ، ابن الظاهر .

٦٩أ تسلطن كأبيه / مرتين :

الأولى [١] يوم الجمعة ، نصف شوال سنة إحدى وثمانمائة . وخلع في سنة ثمان وثمانمائة ، فكانت [٢] مدته الأولى ست سنين وخمسة [٣] شهور .

ثم أعيد في خامس جماد[ي] الآخرة [٤] سنة ثمان وثمانمائة .

ومات مقتولاً بدمشق ، في [٥] سادس عشر صفر ، سنة خمس عشرة وثمانمائة .

فكانت [٦] مدته الثانية ست سنين وعشرة [٧] شهور وجملة [٨] المدتين نحواً من أربع عشرة سنة .

* * *

(٣ ـ المنصور ، عبد العزيز)

عبد العزيز بن برقوق بن آنص ، الملك المنصور [٩] ، عز الدين ، أبو العز ، ابن الظاهر ، وأخو الناصر .

---

(١) « الأولى » ـ ساقط من «ب».
(٢) « فكانت » ـ ساقط من «ب».
(٣) في «أ»، «ب»: «خمس».
(٤) في «ب»: «الآخر».
(٥) «في» ـ ساقط من «ب».
(٦) « فكانت » ـ ساقط من «ب».
(٧) في «أ»: «وعشر شهور».
(٨) « وجملة . . . سنة» ـ ساقط من «ب».
(٩) « الملك المنصور» ـ ساقط من «ب».

تسلطن في / ليلة الاثنين [عند] (١) أذان العشاء ، سادس عشري (٢) ربيع الأول ، سنة ثمان وثمانمائة . وخُلِعَ فيها . ٦٩ ب

فكانت (٣) مدته شهرين (٤) وعشرة أيام .

وأُعِيدَ الناصر فرج .

* * *

(٤ ـ المستعين بالله ، العباس
الخليفة ، السلطان)

العباس بن محمد بن أبي بكر بن سليمان بن أحمد ، العباسي ، المصري (٥) ، الخليفة ، السلطان ، أمير المؤمنين ، [أبو] (٦) الفضل ، المستعين بالله ، ابن المتوكل ابن المعتضد .

تسلطن مضافاً إلى الخلافة في سنة خمس عشرة وثمانمائة بالشام ، وحضر إلى مصر . ثم خُلِعَ من السلطنة ، وبقي على خلافته .

وكانت مدة سلطنته مضافاً سبعة أشهرٍ .

* * *

(٥ ـ المؤيد ، شيخ المحمودي)

/ شيخ المحمودي ، الظاهري ، الجركسي ، الملك المؤيد ، سيف الدين ، أبو النصر . ٧٠

---

(١) ما بين المعقوفين ، إضافة لاستقامة النص .
(٢) في «أ»، «ب»: «سادس عشرين»
(٣) « فكانت» ـ ساقط من «ب».
(٤) في «أ»، «ب»: «شهران».
(٥) في «ب»: «المنصوري».
(٦) ما بين القوسين ـ مضاف من «ب».

تسلطن في مستهل شعبان ، يوم الاثنين ، سنة خمس عشرة وثمانمائة .

ومات في [1] يوم الاثنين ، ثامن محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

فكانت [2] مدته ثمان سنين وأربعة [3] شهور وثلاثة وعشرين [4] يوماً .

وهو صاحب المدرسة المؤيدية ، البناء المعظم الهائل الحافل [5] بداخل باب زويلة .

* * *

(٦ ـ المظفر ، أحمد)

أحمد بن شيخ ، الملك المظفر ، شهاب الدين ، أبو العز ابن المؤيد .

تسلطن وهو طفل رضيع في يوم / وفاة أبيه ، في سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، وخُلِعَ بعد ثمانية أشهر .

* * *

(٧ ـ الظاهر ، ططر)

ططر ، الظاهري ، الجركسي . الملك الظاهر ، سيف الدين ، أبو الفتح .

تسلطن بدمشق في تاسع عشري [6] شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

---

(١) «في» ـ ساقط من «ب».

(٢) «فكانت» ـ ساقط من «ب».

(٣) في «أ» : «وأربع».

(٤) في «أ»، «ب» : «عشرون».

(٥) في «ب» : الكامل» .

(٦) في «أ» ، «ب» : «تاسع عشرين».

ومات في [1] رابع ذي [2] الحجة منها . فكانت [3] مدته ثلاثة شهور ويومين [4] .

* * *

(٨ ـ الصالح ، محمد)

محمد بن ططر ، الملك الصالح ، ناصر الدين ، أبو السعادات ابن الظاهر .

تسلطن في يوم موت أبيه ، في سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

وخلع في سنة خمس / وعشرين وثمانمائة . ٧١ أ

فكانت مدته أربع شهور [5] وأربعة أيام .

* * *

(٩ ـ الأشرف ، بَرِسْبَاي)

برسباي ، الدقماقي ، الظاهري ، الجركسي . الملك الأشرف ، سيف الدين ، أبو النصر .

تسلطن في يوم الاثنين ، ثاني ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة .

وهو صاحب المدرسة الحافلة بالعنبرانيين بين القصرين ، والجامع بالخانكة ، والتربة بالصحراء .

---

(١) «في» ـ ساقط من «ب».
(٢) «ذي» ـ ساقط من «ب».
(٣) « فكانت»: ساقط من «ب».
(٤) في «أ»: «ثلاث شهور ويومان».
(٥) في «أ»: «أشهر».

ومن محاسنه وأعظم مناقبه [1] فتح قبرس .

وكان [2] ضخماً ، شهماً ، عاقلاً ، عارفاً .

مات في [3] يوم السبت ، ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى / وأربعين وثمانمائة .

وكانت [4] مدته ست عشرة سنة ، وتسعة [5] شهور ، وعشرة أيام .

* * *

(١٠ ـ العزيز ، يوسف)

يوسف بن برسباي ، الملك العزيز ، جمال الدين، أبو المحاسن ، ابن الأشرف .

تسلطن في [6] يوم السبت ، ثالث [7] عشر ذي الحجة ، يوم موت أبيه ، سنة إحدى وأربعين وثمانمائة .

وخُلِعَ في [8] يوم الأربعاء ، تاسع عشر ربيع [الأول] [9] سنة اثنتين [10] وأربعين وثمانمائة .

فكانت [11] مدته ثلاثة [12] شهور وستة أيام .

* * *

---

(١) « وعظيم مناقبه» ـ ساقط من «ب».
(٢) ما بينهما ساقط من «ب».
(٣) في «ب»: «توفي يوم . . . » .
(٤) « وكانت» ـ ساقط من «ب».
(٥) في «أ»: «تسع».
(٦) «في» ـ ساقط من «ب».
(٧) في «ب»: «ثاني عشر».
(٨) «في» ـ ساقط من «ب».
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من «أ»، «ب»، مضاف من المصادر .
(١٠) في «أ»: «اثنين».
(١١) «فكانت» ـ ساقط من «ب».
(١٢) في «أ»: «ثلاث شهور».

(١١ ـ الظاهر ، جَقْمَقُ)

جقمق ، العلائي ، الظاهري ، الجركسي . الملك الظاهر ٧٢ أ
/ سيف الدين ، أبو سعيد .

تسلطن في [١] يوم الأربعاء ، تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .

وليس له من الآثار [٢] شيء [٣] معتبر ، غير تراميم بعض أمكنة ، وبناء [٤] رصيف بولاق .

ومات في [٥] ليلة الثلاثاء ، ثالث صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة .

فكانت [٦] مدته أربع عشرة سنة وعشرة شهورة ويومين .

* * *

(١٢ ـ المنصور ، عثمان)

عثمان بن جقمق ، الملك المنصور ، فخر الدين ، أبو السعادات ، ابن الظاهر .

تسلطن في [٧] يوم الخميس ، حادي عشر محرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة .

/ وخُلِعَ بعد ثلاثة وأربعين يوماً ، هيِ مدة ملكه . ٧٢ ب

* * *

---

(١) «في» ـ ساقط من «ب».
(٢) في «ب»: «الأبنية».
(٣) «شيء» ـ ساقط من «ب».
(٤) في «ب»: «وبناية».
(٥) في «ب»: «توفي».
(٦) «فكانت . . ويومين» ـ ساقط من «ب» . وفي «أ»: «أربعة عشر سنة وعشر شهو ـ ويومين» .
(٧) «في» ـ ساقط من «ب».

(١٣ ـ الأشرف ، أَيْنَالُ)

أينال ، العلائي ، الناصري ، الجركسي . الملك الأشرف ، سيف الدين ، أبو النصر .

تسلطن في يوم الاثنين ، ثامن ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة .

وله تربة حسنة بناها بالصحراء .

ومات في [١] يوم الاثنين ، ثامن ربيع الأول سنة خمس وستين وثمانمائة .

فكانت [٢] مدته ثمان سنين وشهرين [٣] وسبعة أيام .

* * *

(١٤ ـ المؤيد ، أحمد)

أحمد بن أينال ، الملك المؤيد ، شهاب الدين ، أبو الفتح ابن الأشرف .

تسلطن في [٤] يوم موت أبيه / سنة خمس وستين وثمانمائة .

وخُلِعَ فيها في [٥] يوم السبت ، ثامن عشر رمضان .

فكانت [٦] مدته أربعة [٧] شهور وثلاثة أيام .

* * *

---

(١) في «ب» : «توفي يوم . . .» .
(٢) « فكانت » ـ ساقط من «ب» .
(٣) في «ب» : «وشهران » .
(٤) «في» ـ ساقط من «ب».
(٥) نفسه .
(٦) « فكانت » ـ ساقط من «ب».
(٧) في «أ» : «أربع شهور».

(١٥ ـ الظاهر ، خُشْقَدَمُ)

خشقدم ، الناصري ، المؤيدي [١] ، الرومي . الملك الظاهر ، سيف الدين ، أبو سعيد .

تسلطن في يوم الأحد ، تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة .

له تربة بالصحراء .

مات في [٢] يوم السبت ، عاشر ربيع الأول [٣] ، سنة اثنتين [٤] وسبعين وثمانمائة .

فكانت [٥] مدته ست سنين وخمسة [٦] شهور وعشرين [٧] يوماً .

* * *

(١٦ ـ الظاهر ، يُلْبَاي)

/ يلباي الأَيْنَالي [٨] ، المؤيدي ، الجركسي . الملك الظاهر ، سيف الدين ، أبو سعيد . ٧٣ ب

تسلطن في [٩] يوم السبت ، عاشر ربيع الأول سنة اثنتين [١٠] وسبعين وثمانمائة .

وخلع فيها ، قبل تمام شهرين ، هي مدة سلطنته [١١] .

* * *

---

(١) في «ب» : «الديري» .
(٢) في «ب» : «توفي يوم . . . » .
(٣) في «ب» : «شهر ربيع الأول» .
(٤) في «أ» : «اثنين» .
(٥) «فكانت» ـ ساقط من «ب» .
(٦) في «أ» ، «ب» : «وخمس شهور» .
(٧) قس «أ» ، «ب» : «وعشرون» .
(٨) «الأينالي» : ـ ساقط من «ب» .
(٩) «في» ـ ساقط من «ب» .
(١٠) في «أ» : «اثنين» .
(١١) « وهي مدة سلطنته» ـ ساقط من «ب» .

(١٧ ـ الظاهر ، تَمْرُبُغَا)

تمربغا ، الظاهري ، الرومي . الملك الظاهر ، سيف الدين ، أبو سعيد .

تسلطن في [١] يوم الخميس سنة اثنتين [٢] وسبعين وثمانمائة .

وخُلِعَ فيها [٣] قبل تمام شهرين ـ أيضاً ـ ولم [٤] ينكب .

* * *

(١٨ ـ الأشرف ، قَايْتبَاي)

قايتباي ، المحمودي ، الظاهري ، الجركسي . الملك الأشرف ، سيف الدين ، أبو النصر .

٧٤ أ تسلطن في [٥] [يوم] [٦] الاثنين ، سادس / رجب سنة اثنتين [٧] وسبعين وثمانمائة .

وهو الذي أنشأ برج المنار [٨] الحافل الهائل بميناء الإسكندرية . وأنشأ [٩] القبة المعظمة والمقصورة الحديد المسبك الحافلة [١٠] على قبر النبي ـ ﷺ ـ ورخم مسجده ـ عليه السلام [١١] ـ وجدد عمارة الجامع الأموي بدمشق

(١) «في» ـ ساقط من «ب».
(٢) في «أ»: «اثنين».
(٣) «فيها» ـ ساقط من «ب».
(٤) «ولم ينكب» ـ ساقط من «ب».
(٥) «في» ـ ساقط من «ب».
(٦) «يوم» ـ مضاف من «ب».
(٧) في «أ»: «اثنين».
(٨) «المنار الحافل الهائل بميناء الإسكندرية» ، يقابله لدى «ب»: «منار الإسكندرية» .
(٩) «وأنشأ» ـ ساقط من «ب».
(١٠) في «ب»: «والمقصورة الشريفة بالحديد» .
(١١) في «ب»: «عليه الصلاة والسلام».

بعد حريقه [1] على ما هو عليه الآن [2] ، وجدد إيوان القلعة ، وأنشأ آثاراً عظاماً ، ما بين مدارس وجوامع ومساجد وأسبلة ومكاتب ودياراً ، وغير ذلك بعدة مدن من مملكته ، كمكة والمدينة [3] وبيت المقدس ودمشق [4] ، وغيرها [5] .

/ مات في [6] يوم السبت ، حادي عشري [7] [ذي] [8] القعدة سنة إحدى [9] وتسعمائة . ٧٤ ب

فكانت [10] مدته تسعاً وعشرين سنة وأربعة شهور وأحد وعشرين [11] يوماً .

* * *

(١٩ ـ الناصر ، محمد بن قَايْتَباي)

محمد بن قايتباي ، الملك الناصر ـ الأشرف ، صاحب اللقبين في سلطنة واحدة ، ناصر الدين ، أبو السعادات ، ابن الأشرف .

تسلطن في [12] يوم السبت ، سادس عشري [13] [ذي] [14] القعدة .

---

(١) في «ب» : «خربه» .
(٢) «على ما هو عليه الآن» ـ ساقط من «ب» .
(٣) بعدها في «ب» : «الشريفتين» .
(٤) بعدها في «ب» : «المحروسة» .
(٥) في «ب» : «وغير ذلك» .
(٦) «في» ـ ساقط من «ب» .
(٧) في «أ» ، «ب» : «حادي عشرين» .
(٨) «ذي» : مضاف لاستقامة النص .
(٩) في «أ» : «أحد» .
(١٠) «فكانت» ـ ساقط من «ب» .
(١١) في «أ» : «تسع وعشرون سنة وأربع شهور وأحد وعشرون يوماً » .
(١٢) «في» ـ ساقط من «ب» .
(١٣) في «أ» : «سادس عشرين» ، وفي «ب» : «ثامن عشرين» .
(١٤) ما بين المعقوفتين ليس في «أ» ، و«ب» .

وهو (١) اليوم الذي [خُلِعَ] (٢) فيه الأشرف قايتباي والده ، قبل موته سنة إحدى وتسعمائة .

ومات (٣) مقتولاً بالجيزية في (٤) يوم الأربعاء ، خامس عشر ربيع الأول (٥) .

١٧٥ أ فكانت / مدته سنتين وعشرين (٦) يوماً .

وكان قَانِصَوه خمسمائة (٧) قد ثار به (٨) ، واستولى على باب السلسلة ، وحاربه وخلعه ، وبويع بالسلطنة (٩) في يوم الأربعاء ، ثامن عشري (١٠) جماد[ي] الأولـ[ـى] سنة اثنتين (١١) وتسعمائة ، وأخذ (١٢) في حصار القلعة بعد أن (١٢) تلقب (١٣) بالأشرف ، وكني بأبي النصر ، وصدرت عنه الأوامر إلى النواحي .

وفر (١٤) في ثالث يوم ، و (١٥) هو يوم الجمعة سلخ (١٥) جماد[ي] المذكور .

فكانت (١٦) مدته دون الثلاثة (١٧) أيام .

---

(١) «وهو» - ساقط من «ب».
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من «أ»، وموضعه في «ب» قوله : «مات».
(٣) في «ب» : «توفي».
(٤) «في» - ساقط من «ب».
(٥) «الأول» - ساقط من «ب».
(٦) في «أ» : «سنتين وعشرون»، وفي «ب» : «سنتان وعشرون».
(٧) « خمسمائة قد» - ساقط من «ب».
(٨) في « ب » : « عليه » .
(٩) في « ب » :) « تولى السلطنة » .
(١٠) في « أ » ، « ب » : « عشرين » .
(١١) في « أ » : « اثنين » .
(١٢) ما بينهما ساقط من « ب » .
(١٣) في « ب » : « وتلقب » .
(١٤) في « ب » : « وقرر » .
(١٥) ما بينهما ساقط من « ب » .
(١٦) « فكانت » - ساقط من « ب » .
(١٧) في « أ » : « الثلاث » .

ولم يلبس شعار السلطنة ، لأنه لم يوجد في [1] يومه ذلك ، ولا جلس على سرير .

وبقي [2] محمد بن قايتباي بعد أن عُمِلَت / صورة عوده إلى السلطنة . ٧٥ ب

* * *

(٢٠ ـ الظاهر ، قَانِصَوْه)

قانصوه ، المحمدي ، الأشرفي ، الجركسي ـ خال الناصر ـ الملك الظاهر ، سيف الدين ، أبو سعيد .

تسلطن في [3] يوم الجمعة ، سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعمائة ، بعد أن [4] قتل ابن أخته الناصر [5] محمد بن قايتباي ، وهو [6] ثالث يوم من قتله .

وخُلِعَ في [7] يوم السبت ، تاسع عشري [8] ذي القعدة [9] سنة خمس وتسعمائة فكانت [10] مدته عشرين [11] شهراً وتسعة أيام .

* * *

---

(١) في « ب » : « من » .
(٢) هذه العبارة مستبدلة في « ب » بقوله : « ثم عُمِلَ صورة لعود محمد بن قايتباي إلى السلطنة » .
(٣) « في » ـ ساقط من « ب » .
(٤) « أن » ـ ساقط من « ب » .
(٥) « الناصر » ـ ساقط من « ب » .
(٦) « وهو » ـ مكرر في « أ » .
(٧) « في » ـ ساقط من « ب » .
(٨) في « أ » ، « ب » : « تاسع عشرين » .
(٩) في « أ » : « ذي قعدة » .
(١٠) « فكانت » ـ ساقط من « ب » .
(١١) في « أ » : « عشرون شهراً وتسع أيام » ، وفي « ب » : « عشرون شهراً وتسعة أيام » .

(٢١ ـ الأشرف ، جَانْبُلاط)

جانبلاط من (١) يَشْبَك ، الأشرفي ، الجركسي . الملك الأشرف / سيف الدين ، أبو النصر ، المعروف بالناظر .

تسلطن في (٢) يوم الاثنين ، ثاني ذي [الـ]ـحجة سنة خمس وتسعمائة .

وهو صاحب التربة خارج باب النصر ، ذات المنارة بالرأسين و(٣) ذات القبتين ، على غير طريقة بناء مصر . وله الدار الحافلة بخط الكافوري .

خُلِعَ في (٤) يوم السبت ، ثامن عشر جماد[ي] الآخر[ة] سنة ست وتسعمائة .

فكانت مدته ستة أشهرٍ وستة أيامٍ .

* * *

(٢٢ ـ العادل ، طُوْمَان بَاي)

طومان باي من قانصوه ، الأشرفي ، الجركسي ، الملك العادل ، سيف الدين ، أبو النصر .

٧٦ ب تسلطن بمصر في يوم / السبت ، ثامن عشر جماد (ي) الآخر (ة) سنة ست وتسعمائة .

وخُلِعَ في (٥) يوم السبت ، مستهل شوال منها .

فكانت مدته مائة يوم سواء بمصر . وأما مدة سلطنته بدمشق فزيادة على الشهر . فإنه بُويِعَ (٦) بها هناك .

---

(١) في « ب » : « ابن » ، وهو خطأ .
(٢) « في » ـ ساقط من « ب » .
(٣) الواو ـ ساقطة من « ب » .
(٤) « في » ـ ساقطة من « ب » .
(٥) « في » ـ ساقط من « ب » .
(٦) في « ب » : « ولي هناك » .

وأنشأ تربة حافـلة في أيام إمرته بالريدانية .

* * *

(٢٣ ـ الأشرف ، قَانِصَوْه الغوري)

قانصوه من [١] بَيْبَرْدَى ، الأشرفي ، الجركسي . الملك الأشرف ، سيف الدين ، أبو النصر ، المعروف بالغوري . سلطان عصرنا الآن .

تسلطن فـي عيـد [٢] الفطـر ، وهو يوم السبت مستهل شوال سنة ست وتسعمائة .

٧٧ أ وهو الذي أنشأ / المدرسة الحافلة ، وما تجاهها من القبة الهائلة بالجملون ، وما يليها من المكتب والسبيل . واخترع بناء منارة هذه المدرسة بأربعة [٣] رءوس .

وجدد الميدان ، وأعلى شرفاته ، وأنشأ به الغيط العظيم ، وجدد مقعده ، وأنشأ [٤] بغيطه قصوراً وأمكنة وبحيرة عظيمة [٤] ، وأنشأ المجراة الحافلة .

وجدد أماكن بالقلعة متعددة حافلة [٥] .

وهو باقٍ على [٦] سلطنته إلى يومنا هذا .

وهذا آخر الكلام على أسماء سلاطين مصر ، والحمد لله رب العالمين [٧] .

* * *

---

(١) في « ب » : « قانصوه بن بيبردي » ، وهو خطأ .

(٢) في « ب » : « يوم عيد . . . . » .

(٣) في « أ » ، « ب » : « بأربع » .

(٤) ما بينهما ساقط من « ب » .

(٥) « حافلة » ـ ساقط من « ب » .

(٦) « على سلطنته إلى يومنا هذا » ـ ساقط من « ب » .

(٧) يأتي بعد ذلك بدلاً من قوله : « والحمد لله رب العالمين » ، قوله في « ب » : « وقتل في مرج دابغ ، ودخل السلطان سليم يوم الخميس ، مستهل محرم سنة ٩٢٣ ، والحمد لله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ودائماً أبداً إلى يوم الدين » .

ولا شك أن هذا مما زاده ناسخ « ب » على أصل المؤلف ، إذ أن هذا الخبر تسبقه وفاة مؤرخنا ، كما هو مشار إليه في ترجمته من هذا الكتاب .

المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر :

* ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم :
ـ الكامل في التاريخ . بيرت ، صادر ، ١٩٧٩ .

* ابن إياس ، أبو بكر محمد بن أحمد :
ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور . ت . محمد مصطفى . القاهرة ، مختلفة .
ـ جواهر السلوك في الخلفاء والملوك . مخط . أحمد الثالث ، برقم : ٣٠٢٦ .

* البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل :
ـ التاريخ الصغير . ت . محمد إبراهيم زايد . بيروت ، المعرفة ، ط ١ ، ١٩٨٦ .
ـ الصحيح . بيروت ، عالم الكتب (عن ط . المنيرية ، ١٠٤٨ هـ .) .

* البرديجي ، أبو بكر أحمد بن هارون بن روح :
ـ كتاب فيه طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث . ت . سكينة الشهابي . دمشق ، طلاس ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

* البري ، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني :
ـ الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة . ت . د . محمد التونجي . الرياض ، الرفاعي ، ط ١ ، ١٩٨٣ .

* البقاعي ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر :
ـ عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران . مخط . دار الكتب المصرية

المصور (عن مخط . كوبريلي) ، ذات الرقم : ١٠٠١ ـ تاريخ .
* البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر :
ـ أنساب الأشراف . مختلفة .
* البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين :
ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . ت . د . عبد المعطي قلعجي . بيروت ، العلمية ، ١٩٨٥ ، ط ١ .
* ابن تغري بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف :
ـ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور . مخط . آيا صوفيا ، برقم : ٣١٨٥ .
ـ الدليل الشافي على المنهل الصافي . ت . فهيم محمد شلتوت . مكة ، جامعة أم القرى ، بدون تاريخ .
ـ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي . ج ١ . ت . أحمد يوسف نجاتي . القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٥٦ .
ـ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (١ : ٥) . ت . محمد محمد أمين ونبيل عبد العزيز . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٨٤ ـ ١٩٨٩ .
ـ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي . مخط . عارف حكمت ، برقم : ٦٣٠ ـ تاريخ .
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ، مختلفة .
* ابن جماعة ، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله :
ـ المختصر الصغير في سيرة البشير النذير . مخط . بغداد كشك ، برقم : ٢٦٠ ، ومخط . الأزهرية ، برقم : ٩٩٧ ـ رواق المغاربة .
* الجهشياري ، أبو عبد الله بن عبدوس :
ـ الوزراء والكتاب . ت . مصطفى السقا وغيره . القاهرة ، الحلبي ، ١٩٣٨ ، ط ١ .
* ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي :
ـ تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير . القاهرة ، الآداب ، ١٩٧٥ .

* ابن حبيب ، أبو جعفر محمد :
- المحبر . ت . د . ايلزه ليختن شتيتر . بيروت ، المكتب التجاري ، بدون تاريخ .

* ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي :
- الإصابة في تمييز الصحابة . ت . علي محمد البيجاوي . القاهرة ، نهضة مصر ، بدون تاريخ .
- إنباء الغمر بأنباء العمر . ت . د . حسن حبشي . القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٩ وما بعدها .
- إنباء الغمر بأنباء العمر . الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٧ وما بعدها .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . بيروت ، الجيل ، بدون تاريخ (عن ط . الهند ، ط ١) .

* الخزاعي التلمساني ، أبو الحسن علي بن محمد :
- تخريج الدلالات السماعية . ت . أحمد محمد أبي سلامة . القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨١ .

* ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم :
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ت . د . إحسان عباس . بيروت ، صادر ، ١٩٧٧ .

* ابن دقماق ، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر :
- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين . ت . د . محمد كمال الدين عز الدين . بيروت ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٩٨٥ .
- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين . مخط . حكيم أوغلي رقم : ٢٩٨٤ / ٢ .

* السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن :
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . بيروت ، الحياة (عن ط - القاهرة ، القدسي) .

* ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع :
- الطبقات الكبرى . بيروت ، صادر ، بدون تاريخ .

* السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد :
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية . بيروت ، المعرفة ، ١٩٧٨ .

* ابن سيد الناس ، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد :
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . بيروت ، الجيل ، ط٢ ، ١٩٧٤ .

* السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد :
- تخريج أحاديث شرح المواقف . بيروت . عالم الكتب .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . ت . محمد أبي الفضل إبراهيم . القاهرة ، الحلبي ، ط١ ، ١٩٦٧ .
- الخصائص الكبرى . ت . هراس . القاهرة ، الحديثة .
- مسالك الحنفا في والدي المصطفى (ضمن كتاب : الحاوي للفتاوي) .
- نظم العقيان في أعيان الأعيان . ت . د. فيليب حتي . نيويورك ، ١٩٢٧ .

* ابن شاكر الكتبي ، أبو عبد الله صلاح الدين محمد :
عيوان التواريخ . مختلفة .

* أبو شامة ، شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم :
- الروضتين في أخبار الدولتين والذيل عليها . بيروت ، الجيل ، ط٢ ، ١٩٧٤ .

* ابن شداد ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي :
- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة . ت . دومنيك وسامي الدهان . دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ٥٣ - ١٩٦٢ .

* أبو الشيخ الأصفهاني ، عبد الله بن جعفر بن حيان :
- العظمة . ت . رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري . الرياض ، دار العاصمة ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .

* الصفدي ، صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله :
- الوافي بالوفيات . ت . هلموت رتير وغيره . بيروت ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية .

* **الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير :**
- **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) . ت . محمد أبي الفضل إبراهيم . القاهرة ، المعارف ، ط٢ .**

* عبد الباسط بن خليل بن شاهين - الحنفي :
- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم . مخط . الفاتيكان ، برقم : ٧٢٨ .
- غاية السؤل في سيرة الرسول . مخط . أحمد الثالث ، برقم : ٢٨٠٣ / ١ .
- غاية السؤل في سيرة الرسول . ت . د. محمد كمال الدين عز الدين . بيروت ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٩٨٨ .
- المجمع المفنن بالمعجم المعنون . مخط . بلدية الإسكندرية ، برقم : ٨٠٠ ب .
- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين . مخط . أحمد الثالث ، برقم : ٢٨٠٣ / ٢ ، مخط . خدابخش بتنة ، برقم : ٢٣٢٢ .

* ابن عبد الظاهر ، محيي الدين :
- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور . ت . د . مراد كامل . القاهرة ، الشركة العربية ، ط ١ ، ١٩٦١ .

* ابن العربي ، محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي :
- اختصار سيرة رسول الله ﷺ . مخط . يوسف الخالدي . القدس ، برقم : ١ (مجاميع) .

* ابن عساكر ، أبو القاسم ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله :
- تاريخ دمشق . دمشق ، مجمع اللغة العربية ، مختلفة .

* القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي :
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى . ت . البيجاوي . القاهرة ، الحلبي .

* العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى :
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . ت . عبد الرزاق الطنطاوي القرموط . القاهرة ، الزهراء ، ط ١ ، ١٩٨٩ .

ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ج ١٩) . مخط . أحمد الثالث ، برقم : ٢٩١١ .

* الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني :
ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين . ت . فؤاد السيد وغيره القاهرة السنة المحمدية ، ٦٠ ـ ١٩٦٩ .

* أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل :
المختصر في أخبار البشر . القاهرة ، الحسينية ، ١٣٢٥ هـ .

* ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم :
ـ تاريخ ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك) . مخط . دار الكتب المصرية ، المصورة عن (مخط . فينا) ، رقم : ٣١٩٧ ـ تاريخ .
ـ تاريخ ابن الفرات . ت . د . قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين . (ج ٧ ، ٨ ، ٩) . بيروت ، الجامعة الأميركية ، ٣٦ ـ ١٩٣٨ .

* ابن قاضي شهبة ، تقي الدين أبو بكر محمد :
ـ التاريخ (ج ٣) . ت . عدنان درويش . دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٩٧٧ .

* ابن قدامة ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد :
ـ التبيين في أنساب القرشيين . ت . محمد نايف الديلمي . بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٨ ، ط ١ .

* ابن قنفذ القسنطيني ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي :
ـ وسيلة الإسلام بالنبي . ت . سليمان الصيد . بيروت ، الغرب الإسلامي ، ١٩٨٤ .

* ابن كثير ، أبو الفداء :
ـ الفصول في سيرة الرسول . ت . الخطراوي وغيره . دمشق ، ابن كثير ، ١٩٨٥ .

* الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب :
ـ أعلام النبوة . ت . طه عبد الرءوف . القاهرة .

* مسلم القشيري ، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن كوشاذ :
ـ الجامع الصحيح . القاهرة ، التحرير .

* المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر :
- السلوك لمعرفة دول الملوك . ت . د . محمد مصطفى زيادة ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور . القاهرة ، اللجنة، ودار الكتب المصرية ، ٣٤ - ١٩٧٣ .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) . القاهرة ، بولاق ، ١٨٥٣ .

* المنذري ، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي :
- التكملة لوفيات النقلة . ت . د . بشار عواد . بيروت ، الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٨١ .

* ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي :
- مختصر تاريخ دمشق . ت . روحية النحاس وغيرها ، دمشق ، الفكر، ١٩٨٤ .

* أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني :
- دلائل النبوة . ت . د . محمد رواس وغيره . بيروت ، النفائس ، ١٩٨٦ .

* النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف :
- تهذيب الأسماء واللغات . بيروت ، العلمية ، بدون تاريخ .

* النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب :
- نهاية الأرب في فنون الأدب . القاهرة ، مختلفة .

* ابن هشام :
- السيرة النبوية . ت . مصطفى السقا وغيره . القاهرة ، الحلبي ، ١٩٥٥ .

* ابن واصل الحموي ، جمال الدين محمد بن سالم :
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب . ت . د . جمال الدين الشيال وغيره . القاهرة ، ١٩٥٣ وما بعدها .

* ياقوت بن عبد الله الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله :
- معجم البلدان . بيروت ، صادر ، ١٩٧٧ .

* اليونيني ، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد :
- ذيل مرآة الزمان . الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٥٤ وما بعدها

ثانياً ـ المراجع :

* د. محمد كمال الدين عز الدين علي :

ـ البدر الزركشي مؤرخاً . بيروت ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٩٨٩ .

ـ الحركة الفكرية في مصر في دولة المماليك الجراكسة . بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٠ .

* د . محمد مصطفى زيادة :

ـ المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ، القرن التاسع الهجري ، القاهرة ، اللجنة ، ط ٢ ، ١٩٥٤ .

* * *

فهرست المحتوى